القائد الروحي

أولف اكمان

القائد الروحي

القائد الروحي

الفهرس

مقدمة	٥
تعريف القيادة	٧
قائد له رؤيا	١٩
القائد الخدوم	٣٩
الاستعداد للقيادة	٤٩
القيادة والعمل الجماعي	٦١
النمو والتكاثر	٧١
مخاطر وإغراءات القيادة	٨١
الحياة الشخصية للقائد	١٠٥
هيكل القيادة	١٢٣
التوكيل، والشركاء الجيدون	١٤٣
طريقة تعامل القائد ومعرفته الذاتية عن نفسه	١٥٧
يسوع – المثال الأعظم للقائد	١٨١

مقدمة

• • • • • • القائد الروحي

تأليف كتاب عن القيادة ليس بالأمر السهل. يختلف الناس في فهمهم لكلمة «القيادة». لا تنال القيادة في مجتمعنا اليوم التقدير اللازم، وهي تثير ردود فعل قوية في بعض الأوساط. لكننا نحتاج في أيامنا هذه إلى القيادة أكثر من أي وقت مضى، فالعالم يواجه أزمة من ناحية القيادة. هناك حاجة ماسة لقيادة عادلة، سواء في الكنيسة أو المجتمع.

إن غايتي أن أقدم صورة واضحة مبسطة عن القيادة، يتسنى لك من خلالها اكتشاف موقعك في القيادة. في الواقع، كل منا يمارس القيادة بطريقة أو بأخرى. عندما يكتشف الناس الطريق الصحيح لممارسة قدراتهم الكامنة، تحدث أمور عظيمة. عندما يدرك كل شخص دوره وطاقاته الكامنة الحقيقية، عندئذ ستتدفق المواهب، وفي النتيجة سيتبارك الكثير من الناس بطريقة جديدة.

القيادة لا تعني إنشاء أرضية ملائمة من أجلك، لكنها تعني أن تأخذ على عاتقك مسؤولية تغيير حياة الناس. القيادة ليس معناها أن تكون أنت في دائرة الضوء، لكن أن تكون قدوة – بدون أن تدَّعي الكمال– حتى تستطيع أن تشجع الناس وتعطيهم الأمل. القيادة لا تتعلق بذاتك لكن تتعلق بالآخرين. إنها تعني أن تساعد الناس ليصبحوا على الصورة التي يريدها الله لأجلهم، فهي ليست لإشباع طموحاتك وغرورك.

إن القيادة الروحية لا تعني أن تقدم الحقائق الكتابية العظيمة فحسب، بل أن تحث الناس ليعيشوا وفقاً لها. إنها تعني إقامة علاقة خاصة مع الرب يسوع والاقتداء به من خلال خدمة أولئك الذين وضعهم الله في طريقنا بكل إخلاص.

هذا هو مثال القائد الذي يريده الروح القدس أن يصنعه منّا.

تعريف القيادة

• • • • • • الفصل الأول

من هو القائد؟ ما هي القيادة؟ هناك مئات التعريفات للقيادة، وكثير منها يركز على القدرات الشخصية الطبيعية أو الذهنية للقائد، أو يتناول بعض الجوانب الخاصة في القيادة. قد تكون مثل هذه التعريفات مفيدة، لكنها غير شاملة.

يتحدث هذا الكتاب عن القيادة الروحية من منظور الكتاب المقدس، لكن قبل أن نفهم هذا النمط من القيادة، علينا أن نعود إلى قصة خلق الله للإنسان. فعندما خلق الله الإنسان، وضع فيه بعض الخصائص، واحدة منها هي الرغبة الدفينة في القيادة، بل والقدرة على ذلك.

«فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» (تك ١ :٢٧-٢٨).

هنا نرى أن الإنسان قد خُلق لغرض معين، لكي يثمر، ويتكاثر، ويملأ الأرض وأن يكون له السلطان، على أن تحدث كل هذه الأمور من خلال الشركة مع الله وبانسجام مع خططه وأهدافه.

أصبح الإنسان شريكاً لله في العمل، لكنه بقي خاضعاً له. فقد كان ينبغي

عليه أن يحيا في طاعة كاملة لله، وأن يتمجد الله في كل شيء. لا يستطيع الإنسان أن يعمل أي أمر بدون الله، لكن مع الله كل شيء مستطاع. قال الرب يسوع في يو ١٥ :٥ «أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا».

لقد خُلق الإنسان ليكون معتمداً على الله، ومعه كان سينجز أعمالاً عظيمة ويثمر ويتسلط على الأرض، وهكذا كان سيتمجد الله ويملأ مجده كل الأرض. إن هذا هو هدفنا ومصيرنا، وذلك موجود في «جيناتنا» الروحية، وهو ما يتوق إليه إنساننا الداخلي. هذا هو معنى الحياة، وكل من يحيد عن هذا، ويرفض أو يهمل هدفه في الحياة سوف يصاب بالإحباط.

هل تذكر مثل الوزنات؟ الشخص الذي أخفى وزنته في الأرض فشل في الامتحان، فقد كان عليه أن يتاجر بالوزنة التي أعطاه إياها سيده حتى تربح.

عندما خلق الله الإنسان أوصاه أن يتكاثر ويملأ الأرض، وأن يستثمر أيضاً كل الأمور التي وهبها له الله. نعم، فنحن لم نُخلق لنحافظ على بقائنا فقط، بل لنكون منتصرين. نحن مدعوون لنتكاثر داخلياً وخارجياً، فالحياة ليست مجرد محافظة على البقاء! ولكن لكي نحقق كل هذا نحن بحاجة إلى ممارسة القيادة. فمعنى القيادة هو أن نتولى المسؤولية والمبادرة، وأن نُلهم بل ونُحفّز وننظم الآخرين لنعمل معاً حتى نصل إلى هدف معين.

وجها القيادة

لقد أعطى الله أمرين للإنسان بعدما خلقه:

السيطرة على الخليقة (تكاثر– املأ الأرض– تسلط) (تك ١ :٢٨)

اعتنِ بالخليقة وحافظ عليها (إرعاها واحرسها) (تك ٢ :١٥).

من خلال هذه التعليمات التي قدمها الله للإنسان، نستطيع أن نفهم بكل وضوح وجهي القيادة: أن تكون مبادراً وتتوسع، لكن في ذات الوقت أن تخدم وتحمي. القادة الأكثر شهرة على وجه العموم هم الشخصيات البارزة التي استولت على العالم. في حين أن الوكيل الأمين أو المدير الذي يبدو أمام الناس أنه بلا خبرة قد يكون أكثر أهمية، لأن الشيء الذي يتم اكتسابه، ولكن لا يلقَ العناية والحماية، فهو سينهار سريعاً.

الخطيئة تفسد القيادة

إن سقوط الإنسان قد أفسد موهبة القيادة التي أوجدها الله في الإنسان، وأصبحت القيادة تخدم أنانية الإنسان وخطاياه، وهكذا باتت فاسدة. لكن هذا لا يعنى أن موهبة القيادة قد زالت، إنما سُخِّرت لأغراض خاطئة، الأمر الذي يفسر لنا سبب وجود كراهية إزاء القادة في هذه الأيام. لقد شهد الناس انحراف القادة، لاسيما من خلال الأشكال المتعددة للدكتاتورية السياسية. مثل هؤلاء القادة، استعبدوا شعوبهم التي أصبحت تعاني معاناة شديدة، الأمر الذي سجله التاريخ القديم في أيام نيرون الطاغية، وسجله تاريخنا الحديث في عهد قادة كثيرين أذكر منهم على سبيل المثال هتلر وصدام حسين. إن هذا ولَّد لدينا هواجس تجاه القادة، وأصبح من السهل أن نميل إلى تطرف الفكر: إما أن الكل يقود الكل، أو لا أحد يقود أي شخص. فكم من مرات نقول: «لا يجب أن يحاول أي شخص أن يقودني، أنا أستطيع أن أفعل الأفضل بنفسي!». وهكذا كنتيجة لسقوط الإنسان، أصبحنا نكره الخضوع لأي نوع من القيادة.

لكي نستطيع أن نفهم القيادة بطريقة صحيحة علينا أولاً أن نفهم الإنسان، طبيعته ومصيره. لا يمكن أن تكون لنا نظرة صحيحة عن مضمون القيادة ودورها، إن لم نفهم أولاً خلق العالم، وسقوط الإنسان، والعلاج الذي تم بواسطة

الرب يسوع. وإلا ستصبح القيادة وسيلة أخرى نحاول من خلالها أن نظهر أنفسنا ونثبت ذواتنا. سوف نتناول هذا الموضوع في فصل آخر.

يتناول هذا الكتاب موضوع القيادة الروحية، لكن بما أن الله هو الخالق، فقد وضع هذه القدرات في كل الناس، سواء كانوا على علاقة به أم لا. نستطيع أن نتعلم الكثير عن القيادة من أمثلة ليست كتابية، فالمعايير هي ذاتها، لأن الله هو الذي قد خلق كل شيء، لكن النتائج ليست نفسها دائماً، لأن الخطيئة تفسد، وتدمر، وتشوه أفضل العطايا.

ما هي القيادة؟

عادة ما أستخدم التعريف البسيط التالي: القيادة هي القدرة على تحريك مجموعة من الأشخاص من النقطة (أ) إلى النقطة (ب). بالطبع، القيادة تستلزم اشتراك أشخاص آخرين، قد يكونون قليلين أو كثر، فالعدد ليس عاملاً أساسياً في هذا الأمر. إذاً القيادة هي القدرة على تحريك مجموعة من الناس من مكان لآخر، من رؤية لأخرى، من إعلان أو اختبار إلى إعلان أو اختبار آخر.

من السهل أن يعتقد الوعاظ، خصوصاً هؤلاء الذين يعظون أعداداً كبيرة من الناس أنهم يقودون، كونهم يقدمون عظة أو يديرون اجتماعاً. فالوعظ قد يكون مصدراً للإلهام أو محفزاً للآخرين، إلا أن القيادة تبدأ من حيث ينتهي الوعظ. فالإلهام الذي يأتي عن طريق العظة هام جداً، لكنه ليس كافياً، قد يكون هو أول الخطوات. فتوجيه رسالة إلى مجموعة من الناس لا يعني أنك حركتهم من النقطة (أ) إلى النقطة (ب).

قال أحدهم: «إذا كنت تسير للأمام والتفتّ إلى الوراء ووجدت أن هناك مجموعة من الناس تتبعك، فأنت قائد». أعرف مرشداً سياحياً في مدينتنا هو

صورة حقيقية عن القائد. فالكل يتبعه، والكل يريد أن يعرف ما يعرفه هذا المرشد، ولا يشعر أحد من السائحين أنه يقع تحت سيطرة المرشد أو أن المرشد يتحكم به. إنما هم يريدون أن يروا ما يريهم إياه هذا المرشد، لأنهم يدركون أنه يعرف أكثر منهم في هذا المجال. فالأمر في غاية البساطة ولا يحتوي على أية تعقيدات. لاحظوا معي في هذا المثال أن الأمر المهم ليس المرشد في حد ذاته، بل ما يريه إياهم هذا المرشد، إلا أنه في ذات الوقت هو ضروري وحيوي، لأن بدونه سنفقد أموراً كثيرة.

أحياناً يكون الناس كالأطفال، يصيحون ويقولون: «أستطيع أن أعملها بمفردي!» إلا أن الطفل البالغ من العمر ثلاث سنوات لا يستطيع أن يفعل كل شيء بنفسه، لكنه يحتاج إلى من يساعده. على ذات المنوال، نحن نحتاج إلى إرشاد روحي. فالتعالي وعدم فهم الأمور يجعلنا نصر على عمل كل الأمور بأنفسنا. التركيز في العالم الغربي على كيفية الحصول على المتعة الشخصية له نتائج وخيمة. فنحن لا نريد أن يجبرنا أحد على عمل ما، وبالتأكيد لن نعمل أمر نشعر أننا لا نريد أن نعمله. للأسف هذا هو التفكير السائد في العالم المسيحي في الدول الغربية، إن هذا الأمر يعود بنا إلى مرحلة الطفولة الروحية. إن المقاومة الشديدة للقيادة الروحية أصبحت سبباً من أسباب الفشل في أيامنا هذه.

القدرة على التحفيز

إذاً القيادة هي القدرة على تحريك مجموعة من الناس من النقطة (أ) إلى النقطة (ب). بلا شك ينبغي أن يكون القائد على علاقة بهذه المجموعة، وتكون هناك ثقة متبادلة بينه وبينهم، يعرف احتياجاتهم ويكتسب ثقتهم، فلا توجد قيادة بدون علاقات، فالقائد لا يمكن أن يحرك المجموعة بجهاز التحكم عن بعد! بما أن هدف القائد هو تحريك المجموعة من النقطة (أ) إلى النقطة (ب)، لذا ينبغي

عليه أن يكون موجوداً في النقطة (ب)، ويعرف كيفية الوصول إليها. عندما نزل موسى من الجبل كان يدرك تماماً ماذا اختبر، ومن قابل. لذلك ليس من الأمانة، بل وأعتبره أمراً خطيراً أن نحاول تطبيق نظريات – لم نختبرها – على الناس. لقد قال الرسول يوحنا: نحن نتكلم معكم عن "الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا». من الضروري جداً أن يكون القائد على دراية بالأمور التي يتكلم بها. عليه أن يعرف الهدف الذي يقود المجموعة نحوه، بل عليه أن يكون هناك. قد لا يدرك كل تفاصيل الطريق، لكن عليه أن يضع ثقته في الله. كقائد عليه أن يدرك كل ما يجري من حوله، مستوعباً الأمور التي لا يستطيع أن يفهمها الآخرون.

لذا، على القائد أولاً أن يكون في المكان الذي يريد أن يقود الناس إليه، وعليه أن يعرف هدفه بالتحديد. أما الأمر الثاني الذي ينبغي أن يتوفر في القائد هو مقدرته على أن يحفز الآخرين ليتبعوه. فليس هدفه أن يصل بمفرده إلى النقطة التي يريدها، لأن القائد المسيحي لا يجاهد فقط ليصل هو شخصياً إلى مستوى روحي سامي، أو لينال إعلانات من السماء. من الضروري أن يكون القائد فوق قمة الجبل ويرى من حوله الأرض، لكنه أمر محزن عندما لا يقدر هذا القائد أن يأخذ معه الآخرين إلى هذه الأرض التي يراها. لنتذكر موسى، فبالرغم من كل الاختبارات والإعلانات التي تمتع بها، وكل ما اختبره من معجزات، إلا أنه لم يدخل الأرض الموعودة. لم يكن ليشوع اختبارات وإعلانات مثل موسى، ولم يلتقي بالله بذات الدرجة التي التقى فيها موسى مع الله، إلا أنه هو الذي قاد الشعب وأدخله الأرض الموعودة. كانت قدراته القيادية مختلفة. لقد كان الشعب يخاف موسى ويحترمه باعتباره نبي، ولكن من جانب آخر، كان ليشوع موهبة استطاع من خلالها أن يجذب ويحفز الشعب ليسير خلفه. إن القدرة على تحفيز وتحريك الشعب عامل هام جداً بالنسبة للقائد الروحي.

الوعظ ليس إلا البداية

كثير من المؤمنين ملّوا من العظات. قد يرجع هذا لعدم ملائمة العظات لحاجة الناس أو كونها غير عملية. قد لا تقود العظات الإنسان إلى أمر محدد، فهي أحياناً تكون مثل الأعمال الأدبية التي تدوّي في الهواء دون أن تجري في سياق محدد. أحياناً يعتقد الواعظ أنه أدى مهمته بتقديم العظة، إلا أن العظة ليست إلا البداية. إنها جزء من خدمة القائد، فمن خلالها يُطلع الناس على أمور جديدة ويحفزهم بهدف تحريكهم نحو الأمام. ومن ثم يبدؤون المسيرة التي سيصلون بواسطتها نحو الهدف. فلا عجب أنه من أيام إبراهيم إلى أيام يسوع وبولس، يصف الكتاب الحياة المسيحية بأنها مسيرة.

إننا نعيش الآن في عصر يكثر فيه التقلب وعدم الاستقرار والشك، لكن من المؤسف أن الكنيسة بدأت تتأثر بهذه الأمور بل وتقبلها. قال أحد رجال الدين السويديين: «إن الرعاة والقادة ليسوا مجرد مرافقي سبيل، بل أصحاب قضية»، للأسف في وسط عالمنا هذا لا يتبنى بعض المسيحيين المندمجين مع العالم أية قضية يدافعون عنها، معتبرين أن ذلك قد يجرح مشاعر الآخرين، إلا أن هذا ليس صحيحاً! يستطيع القائد أن يعرف الله ويختبره، وبالطبع هو لا يعرف كل شيء عنه، لكنه يعرف بقدر ما يكفيه لإرشاد الآخرين بكل ثقة. بالتأكيد، لا ينبغي على القائد أن يتظاهر أنه يعرف كل شيء، لكن عليه أن يعلن بثقة أنه يعرف بعض الأمور. فهناك طريق يستطيع الآخرون أن يسلكوا فيه لأنه سبق للقائد أن سلك فيه من قبل. لعل هذا الأمر يثير غضب أصحاب الفكر الدنيوي والجسديين الذين لا يطيقون أن يسمعوا الآخرين يتحدثون بكل ثقة وجرأة عن أمور يفتقدونها هم. الرياء يقول: «أنا لا أعرف» في حين أنه يعرف. التواضع الحقيقي يقول: «بفضل نعمة الله أنا أعرف ما أعرفه".

الفعالية الروحية والحساسية

عندما تتولد دوافع في قلوب الناس، يصبح من الضروري إبداء حساسية روحية وحرية، وكذلك مهارات تنظيمية لتتمكن تلك المجموعة من بلوغ الهدف. للأسف يبدو للوهلة الأولى أن هذين العاملين متناقضان. على سبيل المثال هناك بعض الطوائف المسيحية التي تمتلك نظاماً دقيقاً صارماً في الخدمة لا يسمح إطلاقا بأي مجال لحرية الحركة. لا يمكن لأية أفكار تلقائية أن تخترق مثل هذا النظام! في بعض الكنائس الأخرى، حيث يفتخر شعبها بأنه تحت قيادة روح الله، قد لا يكون هناك أي نظام، وتتم كل الأمور بتلقائية، تحكمها العواطف، وهكذا يتحول الأمر إلى نوع من الفوضى الروحية. إلا أن الصواب يقع بين هذين النمطين. قال أحدهم: "يتواجد المسيحيون في وسط الطريق، فقط عندما يعبرون من أحد طرفي الطريق إلى طرفه الآخر". في الحقيقة، نحن كمسيحيين متمتعين بمواهب الروح القدس نحتاج لأن نكون أكثر حساسية لما يقوله روح الله للكنيسة، لكننا نحتاج أيضاً إلى كفاءة في التنظيم حتى نستطيع أن نتمم أهداف روح الله. إن اجتماعات العمل الكثيرة قد تكون مملة ومتعبة! فكثير من الوقت يهدر للاتفاق في الآراء من أجل تنفيذ خطوة ما! إن انعدام النظام وعدم التوصل إلى نتيجة مجدية يحزن روح الله القدوس تماماً كما تحزنه النبوءات الصادرة عن الجسد.

إن الفعالية الواضحة في حفظ النظام تُمكِّن أعضاء الكنيسة من التقدم إلى الأمام واكتساب خبرات حقيقية في الحياة. إن الخطابات والأحاديث الدينية الكثيرة للقائد الروحي قد تولّد – شعوراً بعدم المصداقية – لدى الناس، فهم يصابون بالاضطراب ويتهيأ لهم أنهم لا يتحركون بأي اتجاه. كل الأمور التي يتحدث عنها قادتهم ويناقشونها تبقى على مسامعهم فقط، وهم يدركون أنه في

الحقيقة لا أحد يعلم أنهم إلى أين يسيرون. ومن المؤسف جداً عندما يصاب القائد بالعمى، ويقع الجميع في "الحفرة".

الكنيسة التي لا تمتلك رؤيا، أهداف إيمان، ميزانية، تخطيط سليم، تعليم القيادة الروحية والتدريب عليها، لن تتمكن بأي حال من الأحوال من تلبية احتياجات الشعب. فليس هناك بديل عن وجود هدف واضح ونشاط هادف لتصبح الكنيسة ناجحة. عندما لا يكون صوت البوق واضحاً، لا يستطيع الشعب أن يتأهب للحرب. إذاً فالقيادة تعني التحفيز لانجاز عمل معيّن.

متى تكتمل المهمة؟

تكتمل المهمة بمجرد أن تصل مجموعتك التي تقودها إلى الهدف المنشود. بالطبع يمكن قياس مدى تحقيق الأهداف! فنحن نستطيع أن ندرك إذا كنا قد وصلنا إلى خط النهاية أم لا، قد أكملنا مهمتنا أم لا. إذا كنا نتحرك بطريقة لا ندرك من خلالها إن كنا أنجزنا الرؤيا أم لا، فهذا يدل على الضعف وعدم انضباطنا روحياً، الأمر الذي أعتبره أنه ينم عن أنانية. فالالتزام وسيلة لتحقيق الهدف، وبه تستطيع أن تخدم الناس بفعالية أكبر. أما الشخص غير الملتزم فهو شخص أناني يهتم بنفسه ويستخدم الإيمان كوسيلة لإشباع الذات بدلاً من التضحية بالذات.

نحن في حاجة لقادة حقيقيين، وليس لمجرد وعاظ، خاصة مثل هؤلاء المغرمون بالوقوف على المنابر، أو التواجد في بؤرة الأضواء. لذلك فأنا أرى أنه من المهم الآن أكثر من أي وقت مضى أن نضع التعريف الصحيح لمعنى القيادة. عندئذ نستطيع أن نعطي خداماً روحيين يهبون قلوبهم لا للوعظ أو المساعدات العاجلة فقط، بل لمهمة طويلة الأمد، وذلك بتعليم أناس آخرين حتى

يتمكنوا من تحقيق الأهداف التي وضعها الله لحياتهم.

القادة يجب أن يتكاثروا

هناك وجه آخر للقيادة نجده في سفر التكوين. نحن دُعينا لنتكاثر طبقا للنوع. وهذا يعني أن القادة يلدون قادة. فالقائد لن يكون قائداً حقيقياً ما لم يتكاثر ويعطي قادة مثله. كان هذا مبدأً جوهرياً في كل ما فعله الرب يسوع. لهذا السبب اختار يسوع إثني عشر تلميذاً تأسست بواسطتهم الكنيسة وانتشرت في كل أنحاء العالم. لقد ركز يسوع على مجموعة صغيرة مترابطة من التلاميذ يتعلمون تعليماً جيداً مكثفاً، حتى يستطيع كل منهم أن يدرب آخرين، وهكذا يثمر ويعطي تلاميذ جدد. لقد تمكن الرب يسوع أن يصل إلى العالم أجمع عن طريق تلاميذه. تستطيع أن تعمل عملاً أعظم من خلال تدريبك لمجموعة قليلة، وهذا العمل بلا شك سيكون أعظم من أن تعظ مجموعة كبيرة من الناس. لكن لا نستطيع أن نهمل الوعظ ونهتم بالتدريب فقط، فكلاهما مهم. ينبغي أن يتكاثر القادة ويزدادوا حتى نتمكن من تلبية الاحتياجات المتصاعدة، وأن نصل إلى عدد أكبر من القارات، وأن نختبر إنجازات وانتصارات أعظم.

لعل أكثر الأمور الكتابية الغير ملحوظة هو تدريب القادة. فمن خلال تدريبك للآخرين تستطيع أن تحقق ما وضعه الله في قلبك. تستطيع أن تصل إلى الأجيال الجديدة وتنقل لهم خبرتك. للأسف، لقد نتج عن الجهل بمبادئ القيادة مشاكل كبيرة، وجمود، واحباط لدى كل من الرعاة والمؤمنين. للأسف كثير من الناس يريدون أن يكونوا قادة، لكن القليلين يريدون أن يكونوا معلمين أو مدربين.

في هذا السياق من المهم أن نفرق بين المشورة التي لها أهمية قصوى، وبين التدريب الروحي الذي يعمل على إعداد القادة.

إن منبر الوعظ الذي يمثل جزءاً صغيراً من الحياة المسيحية، ليس هو المكان الذي يستعرض فيه المؤمن ذاته وينال الإعجاب. إنما هو نقطة انطلاق لأجيال جديدة من القادة المتدربين الذين هم على استعداد لخدمة الآخرين.

قائد له رؤيا

• • • • • • الفصل الثاني

تقوم الكنائس عادة ببعض الأنشطة التي تعبر عن استعداد الأعضاء لأن يشاركوا ويذهبوا للخدمة خارج أسوار الكنيسة. لكن لسبب أو لآخر قد تكون هذه الأنشطة متعبة. أحد هذه الأسباب هو عدم وجود رؤيا وهدف. مكتوب في سفر الأمثال أنه بلا رؤيا يجمح الشعب. إن لم نكن نعرف إلى أين نذهب، فبلا شك سنصاب بالإعياء ونتوه، وفي النهاية سنتوقف وننسحب، ستخور عزيمتنا ونصاب بالإحباط، وسيتملكنا عدم الإيمان. إن هذا الأمر يحدث كثيراً، لذلك فكل عمل روحي يحتاج أن يبدأ برؤيا، فالرؤيا هي الألف والياء في كل ما نعمله.

ما هي الرؤيا؟ تُستخدم كلمة (رؤيا) كثيراً في حياتنا، لذا من السهل أن تفقد معناها الحقيقي. تُستخدم هذه الكلمة في هذه الأيام في مجتمعاتنا عندما نناقش أي خطة أو نشاط، بل وتُستخدم كثيراً في عالم الأعمال (البيزنس).

الرؤيا هي أمر تراه، فهي شيء مرئي. يبحث العقل البشري دائماً عن الصور، الأفكار، التي تعطي له فهماً للأمور وترسم أمامه الطريق، الأمر الذي يدفعه إلى العمل. هكذا خلقنا الله. تتضمن كلمة "رؤيا" معان عديدة: بصيرة، إعلان، نبوءة، أحلام. فهي تحوي خططاً مستقبلية، أهدافاً ومهاماً. إنها تزودنا بالأمثلة والنماذج، التي نرغب في أن نصل إليها ونتممها. أعتقد أن معظم الناس في مجتمعاتنا يتفقون معنا على أغلب هذه الأمور.

لقد أقدم أناس لا يعبدون الله على عمل جريء بالاعتماد على رؤياهم، فنجدهم في سفر التكوين يخططون لبناء برج بابل: "وَقَالَ الرَّب :هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَل. والآن لا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أنْ يَعْمَلُوهُ» (تك ١١ :٦). لقد رأى الشعب أمراً أمامهم، ألا وهي الرؤيا، وأصبح لديهم دافع لتحقيقها. وهكذا تواصلوا معاً واتحدوا لتحقيق هذه الرؤيا، ولم يعد الأمر مستحيلاً من أجلهم. إن كان هذا قد حدث مع الأشرار الذين أرادوا أن يعصوا الله، فكم بالحري مع المؤمنين الذين يحبون الرب يسوع ويريدون أن يتبعوه ويطيعوه؟ نرى هنا أن الله وضع هذا الأمر في الإنسان، وعلى أساس هذه الآية يستطيع الإنسان أن يذهب إلى القمر، ويستطيع أن يتسلق الجبال ويكتشف القارات، ويشطر الذرة، ويبني سفن الفضاء. سواء كان الإنسان مؤمناً أم لا فهو يستطيع أن يتحرك من خلال الرؤيا. إلا أنه مازال هناك فرق بين هذا والإعلان الذي نناله من الله. فالأحلام البشرية، والرؤى والخطط تنبع من فكر الإنسان، وغالباً ما يكون هدفها هو تمجيد الإنسان، ذلك لأنها تتغذى بالأنانية والخطيئة. لأجل هذا قد يلجأ الناس إلى الكذب، السرقة، بل وحتى القتل، ليزيحوا من أمامهم كل ما يمنع أحلامهم ورؤاهم من أن تتحقق.

إذاً ما الذي يميز الرؤيا المسيحية؟ إنها تحوي كل العناصر التي سبق وتحدثت عنها، إلا أنها لا تنبع من الذهن البشري، لكن من الله. في حبقوق ٢ :١-٣ يقول النبي: «عَلَى مَرْصَدِي أَقِفُ، وَعَلَى الْحِصْنِ أَنْتَصِبُ، وَأُرَاقِبُ لأَرَى مَاذَا يَقُولُ لِي، وَمَاذَا أُجِيبُ عَنْ شَكْوَايَ. فَأَجَابَنِي الرَّبُّ وَقَالَ: «اكْتُبِ الرُّؤْيَا وَانْقُشْهَا عَلَى الأَلْوَاحِ لِكَيْ يَرْكُضَ قَارِئُهَا، لأَنَّ الرُّؤْيَا بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ، وَفِي النِّهَايَةِ تَتَكَلَّمُ وَلاَ تَكْذِبُ. إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا لأَنَّهَا سَتَأْتِي إِتْيَانًا وَلاَ تَتَأَخَّرُ».

تبوح لنا هذه الآيات بأمور كثيرة عن الرؤيا. أولاً: الرؤيا هي إعلان من الله. كلمة «إعلان» تعني أن هناك أمراً كان مخفياً لكنه الآن ظهر للعيان. على

سبيل المثال عندما رد بطرس على سؤال يسوع بالقول: «أنت هو المسيح ابن الله الحي»، قال له يسوع: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت ١٦ :١٧). فالإعلان والرؤيا يحملان ذات المعنى، فكلمة «إعلان» قد تشير أكثر إلى المحتوى، أي مضمون الرسالة، بينما كلمة «رؤيا» تشير أكثر إلى الوسيلة أو الطريقة التي يظهر بها هذا الإعلان، أي كيفية رؤية وفهم هذا الإعلان أو تلك الرسالة.

إن ما يتم فهمه واستيعابه من خلال الرؤيا هو رسالة، مهمة، أمر، أو كلمة من الله. لقد تلقى نوح الرسالة وبنى الفلك. ولقد أدركها إبراهيم أيضاً، فخرج من مدينة الكلدانيين «أور». كما نال هذا الإعلان يوسف، موسى، جدعون، داود، بولس وبطرس. في كل الكتاب المقدس نستطيع أن نرى أشخاصاً استمعوا إلى صوت الله، وتغيرت حياتهم عندما أدركوا رسالتهم في الحياة، وبالتالي استطاعوا أن يغيروا العالم من حولهم. لذا لا عجب إن كان أهم عنصر في العمل الروحي بل وفي القيادة الروحية الرؤيا! إن لم ننجح في فهم الرؤيا من البداية، فسنفشل في كل أمر نفعله.

في دراستنا للعهد الجديد نستطيع أن نكتشف أن إعلانات الله أصبحت أكثر وضوحاً. فعندما وعظ بطرس في اليوم الخمسين اقتبس من نبوءات يوئيل مؤكداً أن هذا هو وقت تحقيق هذه النبوات (أعمال. ٢ :١٧-١٨). «يَقُولُ اللهُ: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤىً وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَما، عَلَى عَبِيدِي أَيْضاً وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ فَيَتَنَبَّأُونَ».

بكلمة أخرى، يتحدث الله في العهد الجديد إلى كل أبنائه وخدامه من خلال الرؤى والإعلانات. ما لم يكن شائعاً في العهد القديم أصبح أمراً طبيعياً في العهد الجديد، ومتاحاً لكل شخص، لذلك علينا أن نفهم ونتفاعل ونتآلف مع الطريقة

التي اختارها الله ليعلن عن نفسه في أيامنا هذه.

أنقياء القلب سيرون الله

من المهم أن ندرك أن الإعلان الأولي والنهائي هو كلمة الله المكتوبة: الكتاب المقدس. بحسب كلمة الله، يتحدث الله لخدامه عن بعض المهام من خلال رؤى. عندما كان الرسول بولس في طريقه إلى آسيا الصغرى (أعمال ١٦ :٦-١٠) كان صوت الله له من خلال رؤيا، فرأى رجلاً مكدونياً، وغيَّر اتجاهه، وسافر بناء على هذه الرؤيا إلى أوروبا. نعم لقد قادته الرؤيا. نستطيع أن نلخص هذا الأمر ونقول أن الرؤيا هي كلمة من الله لقلب المؤمن. من الممكن أن تأتي إليه من خلال طرق عديدة. فليس المهم طريقة إعلانها، أكانت في حلم أو رؤيا أو استنارة خاصة من خلال قراءة كلمة الله، أو صوت داخلي. المهم هو مضمون الإعلان، حيث يمكن دراسته، ومن ثم الخضوع له.

دعونا نرجع مرة أخرى إلى حبقوق. لقد كان النبي يهدّئ نفسه أمام الله، ليتمكن الله من التحدث إليه. هذا يعني أنه كان ينبغي على إنسانه الداخلي أن يكون على تلك الدرجة من الاتزان ليستطيع أن يستوعب ما يريد أن يقول له الرب. سأتحدث في فصل لاحق بالتفصيل عن الحياة الداخلية للقائد، لكن أريد أن أذكر أمراً واحداً الآن ألا وهو ما أكد عليه الكتاب المقدس بأن أنقياء القلب سيرون الله (مت ٥ :٨). إذا كان إنسانك الداخلي فاسداً، لن تستطيع أن ترى الله. فالرؤيا هي صورة تستطيع أن تراها بقلبك. لذلك ينبغي أن تكون نافذة قلبك نظيفة، حتى تستطيع أن تبصر العالم الروحي. يقول الكتاب: «....القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب» (عب ١٢ :١٤). القداسة تعني النقاء وعزل النفس عن الأمور الشريرة والنجسة. إنها لا تعني أن تكون كاملاً، لكن أن تكون، خاضعاً، وملتزماً، ومنفتحاً لروح الله، ومطيعاً لله، ومستعداً لأن تتغير وتتوب.

لقد كان حبقوق يطلب الله ليسمع ما سيقوله له الله. فهو لم يأت ليطلب بركة الله على خططه الشخصية. لقد كان منفتحاً، لذلك كلّمه الله. لم يرفض حبقوق كلمة الله ولم يحاول أن يعيد صياغتها لكي تتفق مع خططه.

لا تدع الوقت أو الأفكار السلبية تخمد الرؤيا

قال الرب لحبقوق أن الرؤيا مؤكدة، لكنها قد تتأخر. كثير من الناس يعتقدون أن الرؤيا التي يريهم إياها الله ستتحول إلى واقع في التو واللحظة، إلا أن تحقيق الرؤيا قد يستغرق عدة سنوات. عندما تكلم إلي الرب لأول مرة عن الإتحاد السوفييتي، مر حوالي ثمانية عشر عاماً قبل أن أستطيع أن أذهب إلى هناك. إن هذه السنوات التي مرت لم تذهب هباء، فأنت لا تقعد وتنتظر بلا معنى. الرؤيا لها حياة في ذاتها، حتى وإن كانت لا تتم على الفور. إن كلمة الله هي روح وحياة، وتتمم غرضها التي أُرسلت لأجله (إشعياء ٥٥ :١١)، وستصبح واقعاً حتى لو مر الوقت. إن الرؤيا جزء من الأبدية، والأبدية لا تعرف الوقت. ولهذا السبب، عندما يتكلم الرب يتملكك شعور قوي وكأن الوقت لا وجود له. وبعد أن تنزل من جبل التجلي، يضغط عليك واقع الحياة اليومية، فتحفظ هذه الأمور في قلبك مثلما فعلت مريم، وإلا ستتبخر هذه الرؤى، أو تأتي الصعوبات وتبددها. لا يوجد شيء أهم من الكلمة التي تسلّمناها من الله، وسمحنا لها أن تخترق قلوبنا وتستقر فيها، حيث يمكن لها أن تنبت وتثمر.

عندما تأتي الكلمة من السماء تكون مثل حبة الخردل الصغيرة، قد تبدو صغيرة جداً حتى أننا في بعض الأحيان لا ننتبه إليها أو قد نتغاضى عنها، وهكذا نفقد كثيراً من الرؤى. بما أننا لا نستطيع أن نرى أية علامات لتحقق الرؤيا، فنحن معرضون أحياناً أن نأخذ الكلمة بعدم جدية. فنحن قد اعتدنا أن نعتمد على فكرنا، مشاعرنا، والظروف الخارجية. عندما تحاصرنا كل هذه

الأمور السلبية، نكون في خطر فقدان الرؤيا.

لكن هناك مشكلة أخرى، فأحيانا يكون لدينا رفض داخلي، يظهر عندما يبدأ الرب في إعلان رؤيته لنا. إن لم نسمح لروح الله أن يعالج حالة الرفض الداخلي في حياتنا، عندئذ سنرفض كلمة الله، وخططه لنا. في كثير من الأحيان نلبس ثوب الإنسان الروحي المتواضع ونقول: «بالطبع لا أستطيع»، «بالطبع لا يجب أن أفعل هذا»، ويخفي هذا الإتضاع كبرياء الجسد. قد تبدو هذه الكلمات كلمات شخص مؤمن، لكنها تخفي وراءها عدم إيمان وعدم استعداد. علينا أن ننتزع هذه الروح من جذورها. إن هذه الروح تختلف تماماً عن روح التقوى والاحترام لله، الروح التي تأتي من خلال عشرتنا العميقة لله، التي من خلالها ندرك أننا لا شيء من دونه، لكن به ومعه نستطيع أن نعمل كل شيء، مهما كان مستحيلاً.

لغة الروح القدس للمؤمنين

الرؤيا معناها أن أرى ما يعلنه لي الله. من الممكن أن تأتي الرؤيا من خلال طرق عديدة، لكنها دائما نبوية، أي أنها تتحدث عن أمور لم تحدث بعد وكأنها حدثت، كما يذكر الكتاب في (رومية ٤ :١٧). إنها تتحدث عما سيحدث في المستقبل. في (أعمال ٢) يتحدث الرسول بطرس عن ثلاثة أمور: نبوءة، أحلام، رؤى. إنها ثلاثة مظاهر لأمر واحد. إنها لغة الروح القدس للمؤمنين. قال القس الكوري يونغي تشو: «إن الأحلام هي لغة الروح القدس». لذلك عليك أن تكون يقظاً للأحلام الروحية. ما هو هذا الحلم؟ إن الحلم هو صورة معبرة لأمور غير متوقعة، لكنها تبدو وكأنها حقيقية في فكرك. في الأحلام لا يوجد مستحيل. أنت تحلق عبر الأجواء، ترتحل من قارة إلى أخرى، تجلس فوق السحاب، وتعمل كل الأمور التي لا تستطيع أن تعملها إلا في الحلم. عندما تستيقظ تقول «لقد كان حلماً». إن الحلم يمثل المستحيل وغير المحدود. عندما

تستيقظ تدرك الحقيقة بكل أبعادها وحدودها. كان يوسف صاحب أحلام، ولكن لم يتم الترحيب به من قبل الأشخاص المحاصرين ضمن حدودهم الذاتية، الذين يمقتون «الخيال» ويغلقون قلوبهم أمام الحقائق الروحية. هؤلاء لم يعطوا أي اعتبار لأقوال يوسف، إلا أن يوسف وحلمه هما اللذان أنقذاهم من الموت جوعاً.

تشهد أحلامنا أن الله يستطيع أن يصنع المستحيلات، وأن له موارد غير محدودة يساعد من خلالها أبناءه في تحقيق أهدافه. بدون أحلام تصبح الحياة رمادية، بدون أحلام قد نصبح صغاراً مثل الفئران، بدون أحلام لا نستطيع أن نفهم الله ولا نستطيع أن نتجاوب مع مناشداته في حياتنا.

الرؤى، الأحلام والنبوءات المؤسسة على كلمة الله، تستطيع أن تحركنا وترشدنا. لذا ينبغي أن يكون القادة أصحاب رؤى. كذلك ينبغي أن تؤسس الكنائس على الكلمة التي تتسلمها من الله، وإلا لن تثبت.

ينبغي أن تُبنى الكنيسة على رؤيا واضحة من الله

في (مت ١٦ :١٦-١٧) قال الرب يسوع أمراً هاماً. لقد شرح أن الإجابة التي أدلى بها بطرس عن سؤاله – عن كونه المسيا- ليست من بطرس ذاته، لكن من خلال إعلان الله له. ثم قال الرب يسوع له: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦ :١٨). الرب يسوع يبني كنيسته التي اقتناها بدمه. هذه الكنيسة ستكون كنيسة منتصرة لا يقدر عليها العدو بكل ما له من قوة (تلك القوة التي لم تعد عظيمة لأن الرب يسوع هزمه في الجلجثة). لن يستطيع العدو أن يمنع الكنيسة من النمو، لماذا؟ لأن الكنيسة مبنية على الصخرة. إذن من هو هذه الصخرة؟ إنها ليست بطرس كشخص- لأن ذلك سيكون ضعيفاً- لكنها الكلمات التي خرجت من فم بطرس،

أقصد الإعلان الذي من السماء. قال الرب يسوع لبطرس إن هذا الإعلان من «أبي». بكلمة أخرى، إذا كانت الكنيسة مبنية على إعلان سماوي، إذا كان الرب يسوع – المسيا– ملكاً على الكنيسة، فعندها لن يهزمها شيء. هناك قوة عجيبة في الإعلان، في الكلمة النبوية، في الأحلام، في الرؤى. إن مثل هذه الأمور قد تُنهض الكنيسة وتنتشلها من الهزيمة، من روح المهادنة، من روح العالم، من السلبية، ومن كل المعطلات التي تمنعها من حياة الإنتصار. لهذا السبب ينبغي أن يكون القادة الروحيين من أصحاب الرؤى، وأن يقودوا كنائسهم من خلال هذه الرؤى.

علينا أن نتجنب هذا الشرك الذي قد نقع فيه أحياناً، فنعتقد أنه طالما أن هناك شعب يجتمع وينظم نفسه من خلال أمور روحية، فهذا يعني أن تلك الجماعة روحية وترضي الله. الإنسان كائن اجتماعي. كنيسة المسيح لها طبيعة سامية، وهي متميزة في تكوينها، أهدافها وعملها. بدون عمل الروح القدس، تتحول الكنيسة إلى مجرد نادي مقدس، مكون من أشخاص تجمعهم بعض الأهداف المشتركة، إلا أن كنيسة المسيح تختلف عن هذا تماماً. إنها مبنية على الكلمة النبوية، ورؤيا واضحة مصدرها الله. هذه الرؤيا يستطيع المؤمنون أن يحققوها من خلال الروح القدس. عندئذ يمتد ملكوت الله منتصراً. إن هذا هو وعد الرب يسوع لنا، إن جعلناه ملكاً على الكنيسة، سننتصر ولن تقوى عليها أبواب الجحيم. تشير الأبواب في الكتاب المقدس إلى أنماط مختلفة من السلطة. فعند أبواب المدينة نجد التجار يبيعون ويشترون، يصدّرون ويستوردون. وعند الأبواب يجلس الشيوخ يحكمون ويقضون ويجمعون الضرائب. مهما كانت السلطة التي بناها إبليس، سواء في مجال السياسة، الأفكار، الثقافة، تستطيع الرؤيا السماوية أن تنتصر عليها وتحرر النفوس.

من المهم أن نطلب وجه الله مثل حبقوق إلى أن ننال كلمة من السماء. عندئذ

نستطيع أن نسلك طبقاً لهذه الكلمة، وقد نقضي سنوات لإتمامها. عندما تحدث الله إلى نوح، لم تكن أقواله عبارة عن صفحات طويلة من الجمل المعقدة، لكنها كانت كلمات بسيطة واضحة استمر تنفيذها لسنوات: «اصنع فلكاً!». هاتين الكلمتين وهذه الرؤيا كانت كافية لإنقاذ البشرية والحفاظ عليها.

هناك ثلاث خطوات لإتمام الرؤيا:

أن يتم تلقيها من قبل شخص ما، وهو الذي سيكون صاحب الرؤيا.

ينبغي على ذلك الشخص أن يوصلها لفريق العمل الذي سيتعاون معه.

على الناس أن يقبلوها ويتعاونوا معه في إتمامها.

نرى في نحميا مثالاً جيداً على هذه الخطوات الثلاث. نستطيع أن نكتشف هذا من خلال دراستنا للإصحاحات الستة الأولى من سفر نحميا.

قبول الرؤيا

أولاً، كان نحميا على استعداد أن يقبل كلمة الله بعد أن صلى، اتضع أمام الله وتاب معترفاً بخطيئته وخطايا شعبه. إن هذه الخطايا تسببت في هدم أسوار أورشليم، وحرق أبوابها وأسر الشعب (نح ١ :٤-١١). إن القلب المتضع الجائع النقي هو الذي يستطيع أن يتقبل الرؤيا من السماء.

ثانيا، لقد وجد نعمة في عيني الملك، فأعطاه سلطاناً لكي يتمم العمل (نح ٢ :٤-٨). إن ملكنا الرب يسوع، فعل هذا تماماً معنا. عندما بدأ نحميا يمارس سلطته، بدأ سنبلط الحوروني يقاومه، فقد كان يرفض أي شيء يعود بالخير على إسرائيل (نح ٢ :١٠). كان الهجوم الأول ضد الرؤيا ذاتها، والسلطة التي تتبعها. وبدأ العدو يشكك في كل شيء. كثير من الناس يضطربون عندما تبدأ المشاكل ويشتد الهجوم. لم تكن أبعاد الرؤيا قد ظهرت بوضوح، لكن كان العدو يريد أن

«يُجهض» الطفل قبل أن «يُولد». إلا أن نحميا لم يعر سنبلط أي اهتمام. لقد تجاهل كل تحدياته ولم يسمح لهذه التحديات أن تشغله أو تعطله عن العمل، لكنه بدأ يعمل بمفرده وتفحص أسوار أورشليم والأبواب (نح ٢ :١١-١٤). ينبغي على كل قائد أن يتخيل ما سيعمله ثم يناظره على الطبيعة.

حتى هذه اللحظة لم يخبر نحميا أي شخص بأي أمر (نح ٢ :١٦). فهناك وقت للكلام ووقت للصمت. فلو أن المجوس الذين ذهبوا للسجود للطفل يسوع في بيت لحم أدركوا هذه الحقيقة ولم يتحدثوا إلى أي إنسان، ما كان أطفال بيت لحم قد قتلوا.

الكلمة التي تقال في وقت غير مناسب لشخص غير مناسب قد تسبب أضراراً بليغة. فليس كل شخص يرحب بما يقال أو يقبل أن يساعد في عملية البناء. هناك من يستمتعون بانتقاد الناس وانتقاد كل الإنجازات. إن مثل هؤلاء يريدون امتداداً لنفوذهم ومجدهم، لا امتداداً لملكوت الله. هناك من يقاومون الرؤيا لأنهم لا يحصلون على المكانة التي يعتبرون أنها تليق بهم. يريدون أن يكونوا في بؤرة الأضواء، بل ويريدون أن يكونوا من أصحاب النفوذ. عندما لا يحصلون على هذا، قد يصابون بالمرارة، ويبدأون بالهجوم على الأشخاص الذين يظنون أنهم يقفون في طريقهم. لا يستطيعون أن يدركوا أن الله هو الذي أوقف حماقتهم وأنانيتهم.

انقل الرؤيا إلى المساعدين

عندما استوعب نحميا الرؤيا، بدأ ينقلها إلى الآخرين، ليس لكل شخص بل لهؤلاء الذين سيكونون جزءاً من فريق العمل الذي سيحقق الرؤيا. لقد نقلها نحميا إلى الكهنة والرؤساء لأنه رأى أنهم يمثلون طاقة كامنة للعمل. لقد أخبرهم كيف

كانت يد الله عليه، وما قاله الرب له، وخطته للعمل. لقد قدّم لهم خطة واضحة بسيطة مركزة، يستطيع أن يفهمها كل شخص بسهولة. لم يقدم لهم الرؤيا من خلال كلمات روحية معقدة، مطالباً إياهم بدعم خدمته، لكنه جعلهم يشاركون في الخدمة. قال لهم: «أنتم ترون الشر الذي نحن فيه كيف أن أورشليم خربة وأبوابها قد أحرقت بالنار. هلم فنبني سور أورشليم ولا نكون بعد عارا» (نح ٢ :١٧). لقد حفز الآخرين وكان هو جزء من مجموعة العمل. لقد شجعهم ووفّر الدعم لهم، لذلك قالوا: «نقوم ونبني»، ثم بعد ذلك شددوا عزائمهم لهذا العمل الصالح. (نح ٢ :١٨).

كان نحميا يعمل كشخص محفز للرؤيا. لقد كان مستعداً لها، لذلك استطاع أن يتممها. لقد نجح في أن يتواصل مع القادة ليقنعهم بهذه الرؤيا، وأصبح هو القائد الذي يبذل قصارى جهده لتنفيذ هذه الرؤيا. لقد أعطاه الرب رؤيا للعمل، ولهذا كان في حاجة للمسحة لتنفيذ هذه الرؤيا. من المهم أن ندرك أن الله لا يطلب منا أن نقوم بعمل لا نستطيع أن نتممه. إنه يؤهلنا بالمسحة الخاصة لتنفيذ الأمر الذي قد يبدو أمامنا مستحيلاً. بدون هذه المسحة، لا يمكن أن نتمم الرؤيا. إن كلمة الله هي روح وحياة، وعندما تصل إلينا الكلمة، تصل معها المسحة.

الشعب يقبل الرؤيا ويتفاعل معها

قد يبدو أن القيادة هي «دور شخص واحد»، إلا أن هذا ليس حقيقي. لقد فقد الكثيرون في العالم الغربي الاحترام إزاء الرسالة الإلهية. عندما يتلقى أحدهم رسالة، لا يكون أفضل من الآخرين، لكنه تلقى رسالة ينبغي عليه أن يتممها. إن هذا ليس معناه أنه عليه أن يتممها بمفرده. عندما يخبرنا القائد بما ناله من عند الله، علينا أن ندرس هذا الكلام أولاً، ثم علينا أن نعمل معاً لنتمم ما قاله الله. إن هذا ما فعله القادة عندما شاركهم نحميا برؤيته، وبهذه الطريقة استطاعوا

إتمام العمل.

إن هذا الموقف يختلف تماماً عن موقف الكنائس في هذه الأيام. هناك عناصر كثيرة مفقودة. أولاً، نحن نفتقر إلى التوبة الحقيقية، التي تجعلنا نضحي بخططنا الخاصة ونكون على استعداد لاتباع الرب يسوع أينما ذهب. ثانياً، يعوزنا الاستعداد للعمل على رؤيا مشتركة، لأننا عادة نعمل ما نريد أن نعمله نحن. ثالثاً، نحن في حاجة إلى مجموعات تتمتع بحس عال من المسؤولية، ولها قيادات فريدة. كل هذه المسائل مجهولة أو معروفة إلى حد ما في المسيحية المعاصرة التي تميل إلى العلمانية. وفي النتيجة نحن نلاحظ حالة من الضعف الملموس والتشويش وعدم الفعالية.

مقاومة الرؤيا والهجوم عليها

جمع نحميا الشعب وحفّزه ووحّده. وما إن فعل هذا حتى بدأت المقاومة تزداد، لكن لا يستطيع أحد أن يوقف أصحاب الرؤى. أتى سنبلط وبدأ بالهجوم. كان يريد أن ينزع الكلمة (الرؤيا) قبل أن تتأصل وتثبت في قلب الشعب (نح ٢ :١٩). ثم بدأ الهجوم الثاني بعد أن بدأ الشعب في العمل. غالباً أصحاب الرؤى لديهم نظرة أبعد للأمور مما لغيرهم. عندما يبدأ بالعمل، تظهر عظمة المهمة وصعوبة تنفيذها. إن العمل اليومي بكل صعوباته قد يصيب الشعب بالإحباط. فالكثيرون يريدون انتصارات وإنجازات سريعة، ولا يفضلون بذل مجهود كبير. يريد الكثيرون نهضة الآن، ولا يريدون أن يتعبوا في السعي يوماً بعد يوم ليصلوا إلى هدفهم.

عندما انتهى العاملون من بناء نصف السور، بدؤوا يشعرون بالتعب. لم يكن العمل سهلاً كما كان في البداية. لقد خمدت الجذوة الأولى. في ذات الوقت

كان سنبلط العدو دائم المقاومة لهم، هادفاً إلى إيقاف العمل على السور. لقد تأثر الشعب من المقاومة الخارجية والخوف الداخلي والاضطراب والتشويش، لذلك قال يهوذا: «قد ضعفت قوة الحمالين والتراب كثير ونحن لا نقدر أن نبني السور» (نح ٤ :١٠).

هناك حقيقة معروفة وهي أنك تستطيع أن تعمل أكثر بكثير مما تعتقد. في مجتمعاتنا المعاصرة فقد الكثير من الناس الشجاعة لوضع أهداف عظيمة، فأصيبوا بالكسل والضعف الروحي. فهم لم يتدربوا ولم يستعدوا للمقاومة، ومواجهة الصعوبات أو الصراعات، وبالتالي ينسحبون بسهولة عند مواجهة أقل مشكلة. في كل مجالات العمل، لابد أن تواجهك صعوبات، وفي أغلب الأوقات يفضل الإنسان الانسحاب، آملاً في الراحة أو متذمراً على القادة. أعتقد أن موسى من الأشخاص الذين واجهوا صعوبات كثيرة. أدرك نحميا حقيقة وجود الصعاب، وعالجها في الحال، فنجده نظم الأشخاص بحسب عائلاتهم، ووضع في يد كل شخص سلاحاً. كان يدرك إنه إذا لم يتقيد الشعب بالنظام ويمثل للتعليمات، سيخور نفسياً ويكون من السهل أن يقع فريسة بين يدي الأعداء.عندما تفقّدهم قدم لهم رسالة قصيرة وقال: «لاَ تَخَافُوهُمْ بَلِ اذْكُرُوا السَّيِّدَ الْعَظِيمَ الْمَرْهُوبَ وَحَارِبُوا مِنْ أَجْلِ إِخْوَتِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَائِكُمْ وَبُيُوتِكُمْ» (نح ٤ :١٤). بكلمة أخرى، إن ما يشغل ذهنك سوف يستولي عليك عاجلاً أم آجلاً!

كل الأعمال قد تكون متعبة. لكن أعتقد أنه لا يوجد شيء يتعب أكثر من النقد المستمر. لأجل هذا السبب نجد أن العدو يجند أشخاصاً ينتقدون عمل الرب ويحاولون إيقافه. فهم يحاولون استدراج من يقومون بالعمل في الجدال. مبدأ أساسي في حياتي أني أتجنب الدخول في مثل هذا الجدال. حاول الكثير من الصحفيين والمحررين، ومقدمي برامج في الإذاعة والتلفزيون أن يدعوني إلى برامج حوارية. في كل مرة كنت أسأل الله عن هذا، كنت أسمع إجابة «لا».

إن مثل هذه الحوارات لن تؤدي إلى شيء، لكنها سترفع من شأن المُحاوِر الذي يوجه الأسئلة. انتقاد العمل أمر مختلف تماماً عن الاشتراك فيه واتمامه. في يوم من الأيام، عندما نذهب إلى الملكوت، لن يسألنا الرب كم مرة انتقدنا الآخرين، لكن سيسألنا عن الانجازات التي صنعناها لأجله.

لقد وجه نحميا انتباه العاملين ليركزوا على الرب، على الرؤيا، على ما هو إيجابي. عندئذ بدأت الأمور السلبية تتقلص وأصبحت بلا قيمة. هكذا استمد الشعب قوة جديدة، واستمر في العمل.

لكن هناك شيئاً آخر نجده في نحميا، ألا وهو اشتراكه شخصياً في العمل. كان يتابع العمل يومياً. لم يأت لمجرد زيارات بين الحين والآخر. كان يعيش وسط الشعب، وحرم نفسه من امتيازات له الحق فيها. نتيجة لهذا، تأكد الشعب أنه ليس لدى نحميا أية دوافع خفية. هذا جعله يتعامل مع الفساد الذي كان واضحاً بين الأغنياء بكل شجاعة (نح ٥ : ٨-٩).

طاعة الرؤيا

رؤى الله واضحة ومن السهل أن نوصلها للناس. فعندما يُعلن الله أمراً ما، علينا أن نكون حذرين أثناء تحقيقه. عندما كان موسى على الجبل، أراه الله خيمة الإجتماع بكل تفاصيلها، ثم قال له: «انظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذي أظهر لك في الجبل» (عب ٨ :٥).

إن الرؤيا عبارة عن صورة أو نموذج لشيء ما سيحدث. لهذا من المهم أن تعرف الرؤيا جيداً، وتتمسك بها. في بعض الأحيان قد يكون هذا الأمر من الصعب تفهمه من قبل فريق العمل الذي اعتاد أن يقدم آراءً ويتخذ قرارات. إن جلسات «العصف الذهني» قد تكون مفيدة، لكن ليس عندما يعطي الله أمراً

واضحاً. في هذه الحالة ليس على القائد إلا أن يطيع وينفذ هذا الأمر.

قال بولس لأغريباس: «لم أكن معاندا للرؤيا السماوية» (أع ٢٦ :١٩). عندما يتعلق الأمر بالكنيسة، ما يقوله الرب ينبغي أن يُنفذ. عندما أمر الله نوح أن يبني «فلك»، فهذا ليس معناه «سفينة». عندما قال لموسى «خيمة»، هذا ليس معناه «قصر». عندما أُرسل بولس إلى الأمم، فهذا ليس معناه أن «يذهب إلى مؤتمر لاهوتي في أورشليم». عندما طُلب من نحميا أن «يبني السور»، هذا ليس معناه «أن يتشاور مع الشعب حول هذا الأمر».

لنأخذ مثالاً آخر، عندما أُرسل بولس ليعظ في أوروبا، وكان عليه أن يدخل مقاطعة آسيا أوقفه الروح. المدهش في الأمر أن نرى بولس لم يتوقف منتظراً، لكنه بدأ يتحرك ويعمل ما كان يدرك أنه ينبغي أن يعمله إلى أن أتاه الروح برؤيا جديدة: «وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَى بُولُسُ فِي رُؤْيَا رَجُلاً مِنْ أَهْلِ مَقِدُونِيَّةَ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: «اعْبُرْ إِلَى مَقِدُونِيَّةَ وَأَنْجِدْنَا!». عِنْدَئِذٍ تَأَكَّدْنَا أَنَّ الرَّبَّ دَعَانَا لِلتَّبْشِيرِ فِي مَقِدُونِيَّةَ. فَاتَّجَهْنَا إِلَيْهَا فِي الْحَالِ.» (أع ١٦ :٩-١٠).

لعلنا نلاحظ أن بولس وحده هو الذي تلقى الرؤيا. كان مع فريق العمل ولم يكن وحده، لكن في ذات الوقت، ليس هناك أدنى شك أنه هو الذي قاد الفريق. فبعد أن تلقى الرؤيا، بدأ يعلنها لمعاونيه، وإلا ما كانوا قد عرفوها. لم ير هذه الرؤيا باقي الأشخاص. لكن نتيجة رؤية بولس لهذه الرؤيا، شعر كل واحد في فريق العمل أنه جزء من هذه الرؤيا، وفهموا أن الله لم يدعُ بولس فقط، لكنه دعاهم جميعاً ليكرزوا بالإنجيل في مكدونية. لذلك كانوا مستعدين لطاعة ما قاله الرب لبولس. أي أنهم كانوا على استعداد للاتحاد وتنفيذ ما طلبه الله منهم. إن مثل هذا النوع من الشركة أمر لا يقدَّر بثمن، وبمثل هذا النوع من الالتزام من الممكن تحقيق الكثير.

الرؤيا الشاملة تؤمّن نطاق العمل

منذ عدة سنوات أعلن لي الرب: «لا حدود لما أستطيع أن أعمله من خلال كنيسة كرّست نفسها لي بشكل تام». فبلا شك تتمتع الكنيسة المتحدة مع الله بقوة عظيمة. قد يفهم البعض أن الاتحاد يعني أن يكون كل شخص مثل الآخر ويعمل نفس العمل. بالتأكيد ليس هذا هو المقصود، كل شخص عضو في ذات الجسد لكن ليس لكل شخص ذات العمل. ففي جسد المسيح تنوع عجيب. عندما يعطي الرب للكنيسة رؤيا أو إرسالية، تكون واسعة بحيث أنها تشمل كل ما في الكنيسة، كل عضو، كل قائد، كل موهبة، الكل سيكون له دور في هذه الرؤيا، والكل سينمو والكل سيجد اكتفاءه الروحي. إن الروح القدس يهيئ الكنيسة بطريقة ما ليكون هناك مجال للعمل والراحة، للخدمة والتسلية. هناك مكان لكل شخص، من الممكن أن يستخدم كل شخص إمكاناته ومواهبه، وهكذا يستطيع كل شخص أن يفهم ويستوعب دوره في تحقيق الرؤيا الشاملة للكنيسة. تؤمّن الرؤيا الشاملة نطاق العمل، المسار، الهدف، الفعالية، القوة، الطاقة الإلهية، والحماية لكل أعضاء فريق العمل.

إذن ماذا عن دور الحرية الشخصية؟ لا توجد مشكلة إذا كنت تراها من وجهة نظر الكتاب المقدس. لدينا مشكلة في الغرب وهي أننا تأثرنا بالفردية الدنيوية، التي لا علاقة لها بروح الله. فنحن نركز في هذه الأيام على الفرد، لا على العلاقة بالمجتمع والأسرة والكنيسة، التي تبدو بوضوح في فكر الكتاب المقدس. نحن نبحث دائماً عن فائدتنا، وأول ما يتبادر إلى أذهاننا هو هذا السؤال: «ما الذي تستطيع الكنيسة أن تفعله لي؟»، وليس: «ما الذي يمكنني أن أفعله من أجل الكنيسة والله؟» وبالتالي أصبح التركيز في المسيحية الكارزماتية (المتمتعة بمواهب الروح القدس) على الخدمة الفردية، على الذات، على الرؤيا

الشخصية، على ما «اختبرته» وما «أشعر» به. كل هذه الأمور هامة لكنها ليست كافية. إن الكنيسة لا تتكون مني أنا فقط، أو حتى منا. إنها جسد المسيح، وكل أعضائها يعتمدون الواحد على الآخر. إنها هيكل لروح الله، مكونة من حجارة متماسكة. الرؤيا الإلهية تُفعِّل كل هذه الأمور، فتسمح بانطلاق المواهب الطبيعية والروحية، وهكذا يعمل روح الله في الجميع لا في فئة محددة.

من المهم أن نفهم الارتباط بين الفرد والجماعة. في كثير من الأحيان تكون لنا رؤى فردية. كل شيء يبدأ وينتهي بي. إن هذا هو عمل الجسد، الطبيعة الفاسدة، التقوقع حول الذات، الأمر الذي يؤدي إلى الضعف. لذلك تصبح أولوياتنا هي ذواتنا، وندافع بأنانية عن حريتنا المزيفة. إن هذا الأمر يجعلني في قراراتي أضع مصالحي الذاتية فوق باقي الأشياء. في هذه الحالة لا يكون الرب يسوع هو السيد، لكن أصبح أنا سيد حياتي، حتى لو عبَّرت عن أفكاري بلغة روحية سامية. إن شخص مثل هذا هو شخص يمثل أدواراً روحية، لكن أعتقد أنه ليس مؤمناً حقيقياً تاب عن خطاياه، وقرر أن يتبع الرب يسوع بجدية. إن الكنيسة التي تسمح بقيادة من مثل هذا النوع، لا تستطيع النمو والوصول إلى ما يريده الله منها.

نحن نريد تغييراً جذرياً في الفكر المسيحي. فالمؤمن ليس هو الشخص الذي يتمتع باختباراته الروحية فحسب، لكنه يساهم في خلق حياة روحية في الآخرين باعتماده على الرب يسوع باعتباره الكرمة. كذلك المؤمن ليس عبارة عن جندي مجرد من إرادته في لعبة شطرنج يكون فيها القائد هو الشخص الوحيد المهم. بل على العكس، ينبغي أن يجد كل شخص مكانه ويدخل في الخدمة. لكن علينا أيضاً أن نقبل بخضوع بالمكان الذي يضعنا الرب فيه. فهو الذي يبني كنيسته، وهو الذي يقرر. إن رفضنا أن نأخذ المكان الذي رسمه لنا الله سوف ينتج عن هذا نوع من الفوضى الروحية، الأمر الذي يؤدي إلى التشويش والضعف.

تعالوا بنا ندرس ما فعله جورج واشنطن عندما هزم إنجلترا التي كانت أقوى إمبراطورية في العالم في ذلك الوقت، وأسس أمة جديدة، هي الولايات المتحدة الأمريكية. في بداية الأمر واجهته كثير من المشاكل والصعوبات. فالجيش الذي أسسه كان مكوناً من جنود غير ملتزمين، بدون تدريب، أو خبرات أو هدف. كانوا يظهرون عند توزيع الطعام أو دفع الأجور، ويختفون في وقت التدريب والوقت الذي يتعلمون فيه الانضباط. إن أعظم عمل قام به واشنطن هو أنه أخذ هذا الجمع غير الملتزم، الذي لم يكن يجمعه هدف واحد، وكان لكل منهم رأيه الخاص، وصنع منهم جيشاً مؤهلاً للحرب. هذا الجيش استطاع أن يهزم أعظم قوة في العالم في ذلك الوقت. إن هذا ينطبق أيضاً على ملكوت الله. الكنيسة المتحدة التي لها رؤيا، والمكرسة للرب وكلمته، تستطيع أن تؤثر تأثيراً قوياً، حتى لو كانت قليلة العدد. إن مثل هذه الكنيسة لا تعرف حدوداً.

لدى صاحب الرؤيا رؤية أوسع

عندما نزل موسى من الجبل، كان يدرك أن عليه أن ينفذ بالتفصيل ما رآه (عبرانيين ٨ :٥). الله يهتم بالتفاصيل. لم يكن الأمر خياراً سيتم التصويت عليه، ليرى كيف يتم إنشاء الخيمة. كان الأمر من السهل أن يتحول إلى «مهمة الرجل الواحد»، الأمر الذي يستحيل من خلاله إتمام المهمة. إلا أن الله مسح بصلئيل وأهوليآب، وكل شخص ماهر أعطاه الله كفاءة ومقدرة ليعمل في إنشاء الخيمة. (خروج ٣٦ :١). كان عليهم أن يتمموا الأدوار التي حددها لهم الله، إلا أن موسى كان هو الشخص الذي يعرف ما هو الشكل النهائي للخيمة، لذلك تواصل مع هؤلاء وشجع الشعب لكي يقدموا المواد الخام لبناء الخيمة. كان موسى بمثابة المحفز لإتمام العمل على أكمل وجه. لم نر موسى من خر ٣٦ :٨ إلى خر ٣٩ :٤٢، لكن كنا نرى معاونيه ينفذون العمل. في خر ٣٩ :٤٣ أتى موسى

وتأكد أن العمل تم وفقاً لما أمر به الرب، فباركهم. إن هذا مثال آخر عن القائد صاحب الرؤيا، الذي يحفز معاونيه ويوكل لهم مهام خاصة، ويوحِّد أولئك الذين لهم استعداد للتضحية والعمل. عندما تم بناء الخيمة حل عليها مجد الله. حل مجد الرب بعد أن ذهب موسى وعاين الخيمة ووضع كل شيء في مكانه. لقد رأى رؤيا بشأن الخيمة، لذلك كان لديه تصور أفضل للصورة مكتملة، الأمر الذي لم يكن لدى كل الذين اشتركوا في بناء أجزاء مختلفة من الخيمة.

إن القيادة معناها أن تمتلك الرؤيا العامة للمشروع، وصاحب الرؤيا يستطيع أن يرى الأمور بصورة أشمل وأبعد من هؤلاء الذين ينشغلون في التفاصيل. أحياناً قد يضايق هذا الأمر الموهوبين – على سبيل المثال – في مجال العبادة، الوعظ، التنظيم. إن القائد ليس متخصصاً في كل المجالات، الأمر الذي قد يجعل المتخصصون في مجالات معينة يسخرون منه. إلا أن القائد له رؤيا عامة وتمييز من خلال الدعوة والمسحة التي أخذها من الله. إن هذا بالطبع لا يجعله كاملاً، فبلا شك ستكون هناك بعض الأخطاء، لكن في النهاية عندما يحقق الرؤيا التي رآها على «الجبل»، سيتكلل عمله بالنجاح، وعندئذ ستتحول الرؤيا إلى واقع.

القائد الخدوم

• • • • • • الفصل الثالث

بلا شك نحن في أمس الحاجة إلى قادة في هذه الأيام، إلا أن هذا ليس احتياج هذا العصر، لكنه احتياج كل العصور، فالحصاد كثير لكن العمال قليلون (مت ٩ :٣٧). فليس هناك نقص في الحصاد، لكن هناك نقص في العمال. أن تكون خادماً هذا معناه أنك تتولى المسؤولية، أي أنك تصبح قائداً. في تعريفنا للقيادة من المهم أن نشير إلى أن القيادة الروحية هي دائماً قيادة خدومة. في هذه الأيام ينظر الناس للقيادة نظرة فيها نوع من الريبة، فهم يرون في القائد ديكتاتوراً أو مستغلاً، يحاول أن يستغل البسطاء ويسيء إليهم. هذا يتنافى مع مفهوم الكتاب المقدس عن القيادة. لكن هناك خطورة في أننا لو حاولنا تجنب هذه الحفرة، قد نقع في حفرة أخرى، ففي محاولتنا لتجنب القيادة الدكتاتورية قد نجد أنفسنا في وضع لا قيادي على الإطلاق. ربما هذا نوع من القيادة التي لا تريد أن تلعب دورها القيادي، وتتستر خلف التواضع الكاذب. أو لعله نوع من القيادة التي ترفض تحمل المسؤولية بسبب الجبن، أو تكون غير مستعدة للتعامل مع الصراعات، مفضلة إحالتها إلى شخص آخر.

القيادة تعني الاستعداد لتحمل المسؤولية والقيام بالخدمة

في سفر القضاة (٩ :٨-١٥) نجد توضيحاً لهذا الأمر: ذهبت الأشجار لتنصب ملكاً عليها. إلا أن شجرة الزيتون رفضت أن تتخلى عن زيتها قائلة: هل أتخلى عن زيتي الذي يكرمون به الله والناس لكي أصبح ملكة على الأشجار؟ ورفضت التينة أيضاً أن تصبح ملكة وتتخلى عن حلاوتها وثمرها الطيب. وهكذا رفضت الكرمة أيضاً أن تصبح ملكة وتتخلى عن خمرها الذي يفرح الله والناس. لم يتبق أمام الأشجار إلا شجرة العوسج، ولما طلبت الأشجار من شجرة العوسج أن تكون ملكة عليها، غمرتها السعادة ولم تكد تصدق حقيقة ما تسمع. فبسبب عدم استعداد بقية الأشجار للقيادة، لم يتبق سوى القائد السيئ الذي منه سوف تنبعث النيران، التي تحرق وتتسلط وتدمر. باختصار، عدم الاستعداد لتقبل مسؤولية القيادة قد يفتح المجال لأسوأ أنواع القيادة.

لا يشجع الكتاب الأشخاص الذين ينسحبون من مواضع القيادة بحجة التواضع الكاذب. فهذا ليس إلا أنانية. لقد رنمت دبورة في القديم وقالت: «بَارِكُوا الرَّبَّ لأَنَّ الرُّؤَسَاءَ تَوَلَّوْا زِمَامَ الْقِيَادَةِ فِي إِسْرَائِيلَ وَلأَنَّ الشَّعْبَ انْتَدَبُوا أَنْفُسَهُمْ مُتَطَوِّعِينَ» (قض ٥ :٢). إنه أمر عظيم يستحق أن نمجد الله عليه عندما يقوم القادة بمسؤولياتهم.

ترتبط القيادة بكل من السلطة والتأثير، تلك السلطة التي قد تكون فاسدة. إلا أن الحل ليس في رفض السلطة، لكن في معرفة كيفية التعامل معها وإدراكك أنك وكيل تقدم حساباً أمام الله. السلطة والمتعة مؤثران شائعان في المجتمع العالمي، من الممكن للقيادة المسيحية أن تتأثر بهما. لذلك، فمن الضروري أن يتحرر القائد من هذه الأمور التي سنتناولها بتفصيل بأكثر في فصل آخر.

الرب يسوع هو مثالنا في كل شيء، لقد كان له تأثيرٌ عجيب على الجموع،

إلا أن تصفيق الجموع له لم يملؤه بالغرور. كان شخصاً مهماً، لكنه كان متاحاً للجميع. لقد رفض التجربة التي من خلالها كان سينال إعجاباً ومديحاً من الناس عندما يلقي بنفسه من على جناح الهيكل. رفض أن يصنع معجزة هدفها جذب أنظار الناس ونيل إعجابهم. لم ينحنِ الرب يسوع أمام الجموع كما يفعل الممثلون والمغنون لينال تصفيق الجماهير. ولم يبنِ لنفسه مؤسسة تسيطر بالقوة على الناس.

نحن المؤمنون عندما نُبعد أنفسنا عن هذه الأمور، تصيبنا أحياناً حالة من الحساسية المفرطة إزاء قبول أي شكل من أشكال «تسلسل المراكز». إن مفهوم «تسلسل المراكز» هو من أقل المفاهيم شيوعاً اليوم، ولكن له مضمون في غاية الأهمية. يوضح الكتاب المقدس أنه هناك «تسلسل مراكز» حقيقي مستوحى من فكر المسيح ويهدف إلى الخدمة. لقد تحدث الرب يسوع بكل وضوح عن هذا الأمر حين قال:

«فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه؟ طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله»(مت ٢٤ :٤٥-٤٧).

نستطيع أن نرى في هذا المقطع بعض الأمور المثيرة للاهتمام:

العبد هو عبد وليس سيد، فبغض النظر عن مكانته أو مركزه، المهم القيام بالخدمة.

لقد أعطاه سيده مركزاً ما. ولم يكن مركز العبد وقلبه في حالة تناقض.

كانت مكانته أعلى من مكانة باقي الخدام، فهناك شكل من أشكال تسلسل المراكز. في واقع الأمر، أصحاب النفوذ قادرون على تقديم الأكثر للآخرين من أولئك الذين ليس لهم نفوذ أو مراكز قيادية.

لقد كانت الغاية من تولي المركز القيام بالخدمة، وليس التباهي أو التحول إلى مستبد.

على الخادم أن يدرك ما الذي ينبغي أن يعمله وفي أي وقت.

إذا فعل هذا بأمانة، فسيتم تكريمه بمنحه منزلة أرفع.

الطاعة الداخلية والخارجية

هناك شيء في طبيعتنا الخاطئة يجعلنا نرفض أن يُنصب أحد علينا. لكن بلا شك، الرب يسوع هو فوقنا جميعاً. فهو ليس مخلصنا وشافينا فحسب، لكنه الرب والسيد. لقد تعهدنا أن نكون مطيعين ومخلصين له. كما أنه وضع قادة علينا. يقول الكتاب بوضوح في (عب ١٣ :١٧): «أطيعوا مرشديكم، واخضعوا لهم، لأنهم يسهرون على مصلحتكم الروحية، كما يسهر الذي يحمل مسؤولية، وسوف يقدم حساباً عن قيامه بها. وعندئذ يؤدون مهمتهم بفرح دون تذمر. فلن يكون في تذمرهم نفع لكم!» (ترجمة كتاب الحياة). إن لم يكن هناك نظام وترتيب في جسد المسيح – الكنيسة– فلن تستطيع الكنيسة أن تؤدي رسالتها. لذلك علينا أن نعالج أولاً مسألة عدم الرغبة في الخضوع والطاعة.

إن روح المسيح هو روح الطاعة، يقول الكتاب في (عب ١٠ :٧): «عِنْدَئِذٍ قُلْتُ لَكَ: هَا أَنَا آتِي لأَعْمَلَ إِرَادَتَكَ، يَاالله. هَذَا هُوَ الْمَكْتُوبُ عَنِّي فِي صَفْحَةِ الْكِتَابِ». فالكنيسة ستنمو والعمل سينجح إن كان لدينا استعداد لطاعة الرب. نستطيع أن نعبر عن تلك الطاعة من خلال طاعتنا لخدامه. عندما نقبل المسيح وتتغير حياتنا، يكون للطاعة دور أساسي في هذا الأمر. إن هدف التغيير ليس أن نتمتع بثمار الخلاص فحسب، لكن أن ندخل في حياة الخدمة، التي فيها تكون قلوبنا على استعداد أن تعمل كل ما يوصينا به الرب. يقول الرسول

بولس في (رو ١ :٥): «الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم». من أهم الأمور التي ركز عليها الرسول بولس هو موضوع الطاعة في الإيمان.

في عصرنا الحالي، ينظر العالم المسيحي إلى الطاعة نظرة ارتياب. فبالتأكيد هي ليست من الكلمات الشائعة الآن. أحيانا ترتبط في الذهن بالطاعة العمياء، أو طاعة العبيد، لكن هذا ليس المعنى المقصود في الكتاب المقدس. فالطاعة الحقيقية ترتبط دائماً بالإيمان وليس بالخوف. أنا أسمع صوت الراعي، ولأني أعرفه فأنا أثق فيه. كانت مريم مثالاً رائعاً للطاعة، كما كان إبراهيم أيضاً: «... فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي» (عب ١١ :٨). الشخص الذي عرف الرب يسوع بكل قلبه، وسلَّم حياته له بالكامل، دون أي تحفظ، يستطيع أن يدرك الفرق بين الطاعة الظاهرية، وطاعة القلب الحقيقية. قد تكون الطاعة الظاهرية لمجرد الخوف أو للتوافق مع الآخرين، لكن طاعة القلب تنبع من معرفتنا لله، وعدم قدرتنا على التوقف عن الحديث عما اختبرناه فيه.

قال الرسول بولس: «ويل لي إن كنت لا أبشر!» (اكو ٩ :١٦). أراد إرميا أن لا يطيع الله ويتوقف عن الحديث بكلام النبوءة الذي وضعه الله في فمه فقال: « سأكف عن ذكره ولا أتكلم باسمه بعد... صار كلامه في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي، فأعياني كتمانه وعجزت عن كبته» (إر ٢٠ :٩، ترجمة كتاب الحياة). لقد ازدادت الضغوطات عليه من الداخل. لقد كانت علاقة إرميا بالله علاقة عميقة وشخصية، لذلك كانت الطاعة بالنسبة له أمر مرغوب وحتمي. فالشخص الذي اختبر الله بهذا العمق لا يستطيع أن يبتعد عنه بسهولة. أما الشخص الذي لم يخضع لله بأمانة، ويحاول أن يهرب منه، ولا يكترث به، من السهل أن يجد لنفسه المبررات حتى لا يطيع الله.

أحد الأسباب الشائعة التي قد يبرر بها الشخص عدم طاعته لله، هو أن

الطاعة تعني الرضوخ للقانون، أي أنه أمر يُفرض علينا من الخارج وسيفرض قيوداً على حريتنا الشخصية. إلا أنه في عصرنا هذا، لا أعتقد أن الطاعة التي يفرضها القانون تمثل مشكلة كبرى في العالم أو في الكنيسة. إن المشكلة الكبرى هي روح العصيان (اللاشرعية) التي تجعل الإنسان هو من يسن القوانين لنفسه وينهمك في إشباع شهوات جسده. إن الاستقلالية الفردية البالغة والفوضى في الأمور الروحية هما من علامات عدم الطاعة. كما أن الأمور الدنيوية قد غزت كنائسنا بصورة أكبر من توقعاتنا.

إن طاعة الإيمان هي أولى الخطوات نحو تأسيس القيادة الخدومة. إن هذا ليس معناه فقط أن الخراف تطيع الرعاة، لكن الرعاة والقادة يطيعون الله بكل قلوبهم. عندئذ يستطيع الله أن يستأمننا على مراكز مختلفة، وإلا لن تصبح المراكز بالنسبة لنا سوى أماكن لاستعراض أنفسنا، وذواتنا، وقلوبنا غير المطهرة. في الترجمة السويدية لأمثال ٣٠ :٢١-٢٢ يقول الحكيم: «تحت عبء ثلاثة أشياء تقسعر الأرض وتحت أربعة تنوء: تحت عبد إذا ملك.....»، بلغة أخرى، عندما يكون الإنسان عبداً لشيء ما، عبداً لذاته، لكرامته، لجسده، لطموحه إلى الحكم، لسعيه دائماً للظهور، وعندما يصل مثل هذا الإنسان إلى السلطة ويصبح ملكاً، تقشعر الأرض وترتعد، إنه أمر خطير.

ينتحب الكاتب في سفر الجامعة ويقول: «رأيت شرا تحت السماء هو: كالسهو الصادر عن السلطان. فقد تبوأت الحماقة مراتب عالية، أما الأغنياء فقد احتلوا مقامات دنية. وشاهدت عبيدا يمتطون صهوات الجياد، وأمراء يسيرون على الأقدام كالعبيد» (جا ١٠ :٥-٧). كان يصف حالة من الكفاح، حيث يجاهد الشخص الجسدي غير المؤهل لتولي القيادة. ما إن يصل مثل هؤلاء الناس إلى مراكز قيادية، يفعلون كما فعل الملك شاول، يلوحون بسيوفهم أمام كل من يحاول أن يقترب منهم، وبذلك يزيحون كل من هم أنسب منهم روحياً.

هناك قاسم مشترك بين هؤلاء الذين لم يُدعوا لتولي مراكز معينة لكنهم يريدون أن يحصلوا عليها، وهو قوتهم الجسدية. فهم ماهرون في أن يراوغوا ليصلوا إلى أهدافهم، ويقتحموا الموقف ليصلوا إلى الصفوف الأمامية بسهولة. أما هؤلاء المدعوون من الله، الذين تقابلوا مع الرب يسوع، وصاروا شركاء الطبيعة الإلهية، ينسحبون ويتجنبون المواجهة. فهم لا يريدون أن يشتركوا في صراع على السلطة أو المكانة. لذا من المهم أن نصلي طالبين الدعم للقادة الحقيقيين. إن العدو يريد أن يبعدهم ويستبدلهم بأشخاص غير مؤهلين روحياً. قد تكون لدى هؤلاء مهارات قيادية، ويمكنهم أن يشرفوا على الأعمال، لكنهم لا يريدون أن يصغوا إلى الله، ولا أن يطيعوه من كل قلوبهم، بل باتوا ضحايا رغبتهم الشديدة في الحكم أو إثبات الذات.

توكيل المهام للآخرين يعني خدمة الناس

أولى مهام القيادة، مهما كانت درجاتها، هي خدمة الناس. لكن هذا ليس معناه أنه على القائد أن يتخلى عن مركزه، مهمته، الالتزامات التي كلَّفه بها الله. المهم أن يعرف موقعه والهدف منه. عندما يدرك هذا، سيجد نفسه حراً في علاقته بدعوته ومهمته. وهكذا يمكنه التعبير عن تلك الحرية بطرق مختلفة، فالخوف يتلاشى، والتوتر يقل. يستطيع أن يدير الأمور بواسطة أشخاص آخرين بدلاً من أن يفعلها هو بنفسه. قد يكون هذا الأمر من أصعب الأمور التي يواجهها القائد خصوصا الرواد منهم، الذين استخدمهم الله في بناء أمور عظيمة من لا شيء. من مهام القائد الروحي أن يتابع الأمور طبقاً للرؤيا التي أخذها من الله. لكن هناك خطورة أن يبدأ القائد بالتدخل في كل شيء، ويرفض أن يتم أي أمر إلا بعد الرجوع إليه، وفي النهاية سيفقد الثقة في كل شخص، ويعمل كل الأمور بنفسه.

واجه موسى هذه المشكلة واستطاع أن يعالجها من خلال إسناد بعض المهام لقادة آخرين. إذا كان القائد خدوماً حقاً، فهو يستطيع أن يوكل بعض المهام للآخرين. نقرأ في خروج ١٨ :١٣-٢٢ أن موسى كان مشغولاً تماماً بتقديم المشورة للشعب وبحل كل مشاكلهم بنفسه. كان يجلس من الصباح حتى المساء، وكل الشعب يأتي إليه. كان الأمر مرهقاً بالنسبة لموسى وبالنسبة للشعب. عندما يشعر الشعب بالتعب يبدأ بالانتقاد، لذا أصبحت الأجواء في المخيم غير مناسبة. استطاع حمو موسى أن يرى المشكلة وساعده في حلها.

اشتمل الحل على جزئين:

تم تقرير عمل موسى بالتحديد. فكان على موسى أن لا يعمل كل شيء، بل يعمل الأشياء التي يجيدها والأشياء الأكثر أهمية. بكلمة أخرى، لا تعمل ما يستطيع أن يعمله الآخرون، لكن اعمل ما لا يستطيعون فعله.

كان عليه أن يجد الأشخاص الذين سيعملون معه (سنتناول هذا الموضوع في فصل آخر). كان دور هؤلاء المساعدين أن يخففوا الضغوط من على موسى.

إن إسناد المهام للآخرين يخدم الناس، فمن جهة يسمح ذلك للآخرين باكتساب خبرة في المهام الموكلة لهم، ومن جهة أخرى يسمح للقائد بإحراز تقدم. فأيدي أكثر تعمل، وعيون أكثر ترى، وآذان أكثر تسمع، وهكذا سيتم العمل بفعالية أكبر، وسيُحل عدد أكبر من المشاكل. في بعض الكنائس يريد الأعضاء أن يتعاملوا مع الراعي فقط. قد يكون هذا ممكناً لو أن عدد أعضاء الكنيسة يبلغ الخمسين، لكنه أمر مستحيل لو كان عدد الأعضاء خمسة آلاف. لهذا فعلى الشعب أن يفهم أنهم ليسوا دائماً في حاجة أن يتحدثوا إلى الراعي شخصياً، فيمكن لله أن يستخدم أياً من المعاونين المسؤولين عن خدمة الكنيسة. إن عدم وعينا بهذا قد يعيق نمونا ونضوجنا. قد يعيق هذا مسحة الراعي، ويجعل العمل

بالنسبة له حملاً ثقيلا. غالباً ما نواجه في السويد اليوم حالة خطيرة، وهي أن كثير من الكهنة والرعاة اعتزلوا الخدمة. فالكثير منهم قد أصابهم الإعياء والإرهاق. قد تكون هناك أسباب عديدة لهذا، لكن بلا شك، إن أهم هذه الأسباب هو التنظيم الروحي غير الفعال. فكل أنواع عدم الفاعلية تصيب الإنسان بالإعياء، واللقاءات الزائدة عن اللزوم تترك أثرها المدمر على الإنسان.

بإرشاد الروح القدس نستطيع أن نصل إلى طريقة عمل مختلفة تتفق مع تعاليم كلمة الله. فمثلما تشعر بمسحة الروح القدس في اجتماعات الكنيسة من خلال العلامات والمعجزات، يمكنك أيضاً اختبار نفس هذه المسحة من خلال الانضباط في الله. وفي النتيجة ستشعر بابتهاج أعظم أثناء العمل، وستفلح في مساعدة وخدمة عدد أكبر من الناس.

الاستعداد للقيادة

• • • • • • الفصل الرابع

قال أحدهم: "الإنسان لا يولد قائداً، لكنه يتدرب وينمو ويتطور إلى أن يصبح قائداً". لذلك لا يمكن أن يُعيَّن القائد بطريقة عشوائية، فالأمر يتطلب سنوات من الإعداد. بالطبع، حتى لو كنت مؤمن حديث الإيمان تستطيع أن تساعد الآخرين، أن تكرز، وتأخذ مبادرات أخرى كثيرة، إلا أن هذا ليس موضوع هذا الفصل. دعونا نتأمل هذه الأمثلة من كلمة الله:

قضى التلاميذ الذين أصبحوا رسلاً ثلاث سنوات ونصف في تدريب مكثف مع الرب يسوع قبل أن يطلقهم للكرازة في العالم.

بعد أن تقابل بولس مع الرب يسوع قضى وقتاً طويلاً في الصحراء العربية، كفترة إعداد قبل أن يبدأ خدمته كرسول.

قضى موسى أربعين سنة يتدرب في الصحراء وهو يعمل راعياً للغنم قبل أن يصبح راعياً لشعب الله.

لقد حذر بولس حديثي الإيمان الذين يعملون كقادة بألا يملؤهم الغرور (١ تي ٣ :٦). بالتأكيد، نحن نحتاج في هذه الأيام إلى قادة جدد من أجيال جديدة، لكن بالطبع لا نحتاج إلى جيل من القادة المتكبرين. إن طبيعة الشباب تميل إلى السطحية والجرأة التي قد تؤدى إلى الكبرياء. علاوة على ذلك نميل في مجتمعاتنا

إلى أن نوفق كل الأمور لتناسب الشباب في مجال الموسيقى والموضة وبعض الأمور الأخرى. بعد أن يصل الإنسان إلى سن الثلاثين يبدأ الخوف يدب في قلبه، ويخاف من أن يصبح عجوزاً مع أن الأمر يجب أن يكون عكس ذلك!

مراحل الحياة الثلاثة

يوجد في العالم تمييز وتوتر بين الشباب والكبار، الأمر الذي قد يخلق نوعاً من الفوضى. إن خطة الله للشباب أن يتعلموا من الكبار، وللكبار أن يستلهموا الأفكار من الشباب. في الأيام الأخيرة سيتحدث الله إلى الشباب من خلال الرؤى، وللشيوخ من خلال الأحلام. يقول الكتاب في آخر آية من العهد القديم: «فَيَعْطِفُ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى أَبْنَائِهِمِ وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ، لِئَلاَّ آتِيَ (إِنْ لَمْ يَتُوبُوا)، وَأُصِيبَ الأَرْضَ بِاللَّعْنَةِ» (ملا ٤ :٦). في الأيام الأخيرة لن يكون هناك صراع أجيال في الكنيسة. إن التمرد والاحتقار لدى الشباب، والتحامل والاعتبار واللامبالاة لدى الكبار سوف ينتهي، وستنسجم الأجيال معاً.

عندما دعا يسوع تلاميذه، لم يكونوا كاملين. التلميذ هو طالب علم، يتعلم من شخص آخر. لذلك أعطى الرب جسد المسيح – الكنيسة – رسلاً وأنبياء ومبشرين ورعاة ومعلمين. لم يُدعَ أحد منا ليقف في زاوية ما لوحده ويقول: «لم يعلمني أحد أي شيء، لقد تعلمت كل الأشياء من الرب يسوع شخصياً». إن هذا ليس صحيحاً ولا ينسجم مع مفاهيم الكتاب المقدس. فنحن كلنا نتحد معاً في شركة المؤمنين التي تشمل الصغار والكبار. لقد تعلم التلاميذ دروساً يومية، إلا أنهم كانوا ينمون من خلال شركتهم معاً. فهم لم يصلوا إلى النضج من خلال خلوة قضوها في عطلة نهاية الأسبوع أو مشاركتهم في مؤتمر روحي مؤثر.

لقد خدم يشوع موسى لسنوات طويلة قبل أن يصبح مستعداً لقيادة الشعب

من بعده. لو عاش يشوع في أيامنا هذه، لكان أكثر شيء سيستغويه هو ترك مركزه لأحد المشهورين. لعله كان يقول في نفسه: لقد خدمت موسى وقتاً طويلاً ويكفيني هذا. وفي النهاية لدى كل إنسان دعوته الخاصة التي يجب أن يعمل عليها. لكن يشوع لم يفعل هذا، ولأجل أمانته، وفكر الخادم الذي كان يتحلى به، أصبح الشخص الذي خلف موسى. فكل السنوات التي قضاها تحت قيادة موسى لم تذهب سدى، بل كانت بمثابة إعداد له. كلما كانت الخدمة أعظم وأكثر روحانية، كلما احتاجت إلى إعداد أكبر، وكلما تعرضت لصعوبات ومشاكل أكثر. لقد فشل الكثيرون أمام هذا الأمر. فكثير من الأشخاص لم يستطيعوا أن ينتظروا الرب بصبر، لكنهم كانوا في عجلة من أمرهم، وهكذا قادتهم طموحاتهم إلى الفشل والسقوط.

تتكون حياتنا من المراحل الثلاث التالية:

١. مرحلة الإعداد.

٢. مرحلة النشاط والعمل.

٣. مرحلة الانتقال.

مرحلة الإعداد

في المرحلة الأولى، نحن نتعلم ونأخذ. قد يكون لنا دور في الكرازة، وهذا جميل، لكن الهدف الأساسي في هذه المرحلة هو أن نتدرب. التركيز هنا على التعلم، اكتساب الخبرات، والتزود بالمعرفة. أحياناً لا نلتزم بالتدريب، ويضيق صدرنا به، إذ لا نتحلى بالصبر، ونكون في عجلة من أمرنا، نريد أن نعرف كل شيء الآن، ولا نحتمل الإنتظار. ما لا ندركه أن هذه المرحلة من حياتنا لن تعود مرة أخرى. في هذه المرحلة يكون جوعنا وشغفنا الروحي، وطاقتنا الجسدية

في القمة. هذا يمكّننا من أن نتعلم أموراً لن نستطيع أن نتعلمها فيما بعد. أحياناً نخدع أنفسنا بالتفكير بأنه من الممكن أن نؤجل بعض الأمور لنتعلمها فيما بعد، لكن هذا من النادر أن يحدث. لذلك يوصينا الكتاب المقدس بأن نذكر خالقنا في أيام شبابنا (الجامعة ١٢ :١). لا يوجد شيء أهم من قضاء سنة في مدرسة للكتاب المقدس خلال شبابك. فهناك ستتزود بالمعرفة، وستُعدّ لك مخزوناً تستفيد منه طوال العمر. لا ينبغي أن تضيع منك فرصة قضاء عام في دراسة مكثفة لكلمة الله.

كم من الخدام الشباب عاشوا في قلق وإحباط نتيجة عدم وجود ثمر لخدمتهم؟ لكن الذي لم يدركوه هو أن الله يريد منهم أن يطلبوا وجهه. فالله يريدهم أن يلتزموا بدراسة كلمته، ويشتركوا في الخدمة مع خادم لديه خدمة قوية. إن الإعداد ليس إضاعة للوقت!

لقد قضى كل من يشوع، إليشع، تلاميذ المسيح، تيموثاوس، وتيطس فترة إعداد طويلة قبل أن يبدؤوا خدمتهم. إن مرحلة الإعداد تنمّي طباع الخادم، فهي فترة وضع أساسات المنزل. كلما ارتفع المنزل، كلما احتاج لأساس أعمق، وإلا سينهار. دعونا نمنح الروح القدس وقتاً ليعمل فينا بعمق، وأن ينقي من حياتنا كل شيء قد يسبب لنا خللاً في خدمتنا في المستقبل.

في مرحلة الإعداد، من المهم أن تنمّي علاقات مع المعلم أو المدرب. هذا المدرب لن يبقى مدرباً لك طوال العمر، لكن تنمية هذه العلاقات ستدربك أن تكون لك علاقات شخصية وحميمة مع الآخرين. إن لم تمتلك الشجاعة لمشاركة بعض الأمور مع الآخرين، قد لا تمتلك الشجاعة لأن تحضرها أمام الله.

٢- مرحلة النشاط والعمل

بعد أن تنتهي مرحلة الإعداد تأتي مرحلة النشاط والعمل. في هذه المرحلة قد ينظر الكثير من الناس إلى الوراء ويتمنون لو رجع بهم الزمن وأتيحت لهم أوقات أطول للدراسة والصلاة. في هذه المرحلة تجري أحداث كثيرة، وقد تنهمك في العمل بشكل تام. الأمور التي لم يتم حلها في مرحلة الإعداد ستراها واضحة في هذه المرحلة. المشاكل التي تعاملت معها بسطحية، ستظهر بوضوح، إما في أوقات النجاح أو في الأوقات العصيبة. قي أوقات النجاح قد تصاب بنوع من الغرور فتعتقد أنك تتمتع بحصانة ضد أي هجوم، لكن الأمر ليس كذلك. أما في الأوقات العصيبة، فقد تصاب باليأس وتستسلم، لأنه يتهيأ لك بأنك غير قادر على التحكم بنفسك. عندما يبدأ الله باستخدام القائد، ويشعر القائد بالمسحة، من السهل عليه أن يتجاهل حالات الضعف هذه، مقنعاً نفسه أن الله يستخدمه. إن هذا الفكر هو بداية السقوط الروحي. إن المشكلة تكمن في أن القائد قد لا ينال قدراً كافياً من الدعم والتشجيع. قد يكون الأشخاص الذين من حوله من النوع الذي يبرز أمامه نقاط ضعفه، لأنهم يستفيدون من ذلك.

كقائد، عليك أن تتأكد أنك لن تعيش في عزلة في المستقبل. من الضروري، أن يكون لك مجموعة من الأصدقاء المقربين لك، حتى تستطيع عند الحاجة - وبالتأكيد ستحتاج- أن تنفتح عليهم وتعترف بخطاياك ومكامن ضعفك، وبهذه الطريقة تتجنب محاربة المعركة لوحدك. إن الكبرياء، الخوف، الفكر اللاهوتي غير السليم لدى البعض كان سبباً في انهيار بعض الخدمات. لو أن هؤلاء القادة انفتحوا على مجموعة صغيرة مقربة منهم، لما حدث ذلك.

في مرحلة العمل والنشاط، عليك أن تهتم بحياتك الداخلية وعلاقتك مع الله، وإلا ستصبح سطحياً، وستصاب بالإعياء، وتتوقف عن النمو.

هناك مسحة لكل مرحلة من مراحل حياتك. لقد مُسح داود أولاً عندما كان مع إخوته. وبعد أن مر بالكثير من الصراعات والصعوبات، مُسح ملكاً في حبرون. أخيراً، مُسح ملكاً على كل الأمة، واستقر في أورشليم، ثم من هناك بدأ العمل.

٣- مرحلة الانتقال

المرحلة الأخيرة هي مرحلة الانتقال. إنه الوقت الذي يصل فيه القائد إلى النضج من حيث الحكمة والخبرة اللتين يجب أن يتشاطرهما مع الآخرين. فالحكمة والمشورة والخبرة من الأمور التي ينبغي أن تُنقل للأجيال التالية. «اللهم قد علمتني منذ صباي وإلى الآن أُخبر بعجائبك. وأيضا إلى الشيخوخة والشيب يا الله لا تتركني حتى أخبر بذراعك الجيل المقبل وبقوتك كل آت» (مز ٧١ :١٧-١٨).

المرحلة الأخيرة هي مرحلة تلمذة الغير، إنه وقت التكاثر، عندما تدعم وتبني خدمات أخرى. إنه وقت تجمع فيه كل ما أخذته طوال حياتك، وتنقله إلى أجيال أخرى بطريقة أكثر تنظيماً. إنه وقت ترى فيه ثمار كل ما زرعته في مختلف الحقول. كما أنه وقت تستطيع أن تستمتع فيه بالانتصارات وتعلّم الأجيال القادمة كيف يخوضون الحروب وينتصرون فيها. إنه وقت لا تنقل فيه المعرفة فحسب، لكنك تنقل المسحة، وضرورة الخدمة، حتى ينمو ملكوت الله وينتشر. إنه وقت تعمل فيه الأمور بطريقة بسيطة، حتى تستطيع أن تركز في المرحلة الأخيرة من حياتك على أفضل شيء تستطيع عمله. إنه وقت تظهر فيه أغصان جديدة في شجرتك التي تعطي ثماراً جديدة قد تكون غير متوقعة. كان الدكتور ليستر سامرال في السبعين من عمره حين بدأ الله يتكلم معه ليطعم الجياع. عندما سأل الرب لماذا اختاره هو دون كل الناس، أجابه الرب بأنه قد أصبح ناضجاً الآن ويمكنه أن يثق به ليقوم بهذه المهمة على مستوى العالم.

كان ونستون تشرتشل (ذلك القائد الذي كانوا يتجاهلونه كثيراً) يبلغ من العمر خمسة وستين عاماً، عندما أصبح رئيس وزراء انجلترا في فترة تعتبر من أكثر الفترات الحرجة التي مرت على انجلترا طوال تاريخها إبان الحرب العالمية الثانية. كتب تشرتشل بعد ذلك وقال: "شعرت كما لو أن كل ماضي حياتي كان عبارة عن فترة استعداد لهذه الساعة". خلال المدة القصيرة التي بلغت ستة أعوام، كان تشرتشل ذلك الرجل الحازم الذي أنقذ أوروبا، وأنقذ الديمقراطية في العالم.

ما يحدث في مرحلة الإعداد، والكيفية التي تتعامل بها في مرحلة العمل، سوف يحددان هل ستكون المرحلة الأخيرة هي مرحلة نقل خبرات حقاً، أم مرحلة انهيار سلبية تسعى خلالها إلى الراحة، وتتمتع بالحرية الزائفة، ومن ثم تذبل. هذا ليس مستقبل رجال الله!

تمر الحياة عبر مراحل مختلفة:

مرحلة الجمع.

مرحلة البناء والحفظ.

مرحلة العطاء.

إن تعلمنا كيف نتناغم مع هذه المراحل، بلا شك سنوفر على أنفسنا الكثير من الإحباطات، وسنثمر ثمراً رائعاً وعظيماً. لا أحد يتوقع الحصاد في الشتاء. إنه الوقت الذي تجهّز فيه أدواتك وتستعد للربيع. لا يوجد شخص عاقل ينام في وقت الحصاد. إنه الوقت الذي تبذل فيه قصارى جهدك. لا أحد يتمشى متأملاً في وقت الحصاد، فهو الوقت الذي تحتفل فيه بالثمر. كما أنه لا أحد يحصد دون أن يزرع أولاً. فنحن نحيا في تناغم في مراحل حياتنا المختلفة. لهذا السبب نجد أن الكتاب المقدس يذكر قصصاً وأمثلة كثيرة تتعلق بالزرع والحصاد.

لعل هذا هو السبب بأن بني إسرائيل كانوا يحتفلون بعيد الثمار الأولى، وعيد الحصاد، وعيد المظال. كان عليهم أن يحتفلوا ليذكّروا أنفسهم بما فعله الرب معهم خلال مراحل حياتهم المختلفة. كان هناك تناغم بين المراحل المختلفة. كان الرب يستجيب بالمطر المبكر والمتأخر، بالشمس والظل، بالبرد والحر. فالحياة تعتمد على مشيئة الله الصالحة، والمحصول مرتبط بالفصول. ولا يوجد فصل يشبه الآخر.

لا عجب إن كنا نرى أن الرب يسوع يطلب من تلاميذه أن يعرفوا الأزمنة والأوقات التي يعيشون فيها! لقد طلب منهم أن يراقبوا لون السماء وأن يلاحظوا شجرة التين ليعرفوا الفصل الذي هم فيه. هناك فصول أو مراحل متميزة لحياة كل شخص. وكذلك هناك مراحل للكنيسة المحلية، بل هناك مراحل لجسد المسيح ككل ومراحل للعالم أجمع. هؤلاء الذين يستطيعون أن يميزوا هذه المراحل، ويعملون بحكمة تتناسب مع كل مرحلة سيلاقون النجاح.

الانضباط يُنتج عادات صالحة

عندما تتغير المراحل تتغير المهام. هناك شيء ما في ذهن الإنسان يرفض التغيير. فالإنسان مخلوق مرتبط بالعادات. ليس بالضرورة أن تكون العادات خاطئة، لكن ينبغي أن لا نسمح لها بأن تتحكم في حياتنا. منذ نعومة أظافرنا نحتاج إلى من يساعدنا، لكي تنمو لدينا عادات صالحة في كل مجال من مجالات حياتنا. أرى أمراً في غاية الخطورة في الدول الغربية متعلق بالتربية والتعليم. فالأهالي يتركون أولادهم ليَرْبوا بأنفسهم. قد يكون هذا بدافع المحبة، لكنها محبة غير واعية. إن لم نزرع في الطفل العادات الحسنة والانضباط منذ الصغر، فهذا يسبب إعاقة للنمو الروحي والاجتماعي، مما يحرم الطفل من إظهار قدراته. إن التربية الصالحة تُنتج عادات صالحة، تلك العادات التي

تحمي الإنسان من الحرية الزائفة التي يريدها الجسد. إن الحرية الزائفة تقود إلى إشباع الشهوات واللامبالاة والحياة المجردة من المعنى. لذلك من الضروري أن ننمّي عادة قراءة الكتاب المقدس، والصلاة، والتسبيح في سن مبكرة.

العادات تُنتج التقاليد، وهي ليست سيئة في حد ذاتها. إلا أن التقاليد تشكّل عائقاً عندما تقاوم عمل الروح القدس. فعندما تدفعنا التقاليد إلى مقاومة التغيير أو عدم طاعة الله، أوعندما تتناقض مع كلمة الله ومع شركتنا مع الرب يسوع تعتبر خطيرة. لأجل هذا حذرنا الرب يسوع من التقاليد الكاذبة في (مر ٧ :٥-٩). إلا أن الرب يسوع كان ملتزماً ببعض التقاليد، فيذكر الكتاب أنه كان يذهب إلى المجمع كعادته، وكذلك أيضاً الرسل اتبعوا تقاليد اليهود، حتى بعد صعود الرب يسوع، وكانوا يذهبون إلي الهيكل ليصلّوا ثلاث مرات في اليوم.

بدون عادات روحية متأصلة، يصبح المؤمن شخصاً سطحياً، ويكون من السهل أن يسقط ويُصاب بالاكتئاب، واليأس، ثم قد يندمج في الأمور الدنيوية ويرتد. إن أفضل شيء يقوم به القائد الروحي هو التقيد بالتقاليد الروحية وقيادة الناس خلال التجارب الروحية. فنحن في حاجة للأمرين! إن الحرية الروحية والماء المتدفق يحتاجان إلى أواني، وإلا سنفقد كل شيء. ومهما كثرت تجاربك الروحية، لن تتمكن من اجتياز الامتحان بدون عادات روحية قوية.

اتباع المسيح يعني التغيّر

لا ينبغي أن تكون العادات والتقاليد (سواء القديمة أو الجديدة) بديلاً عن الشركة مع الروح القدس، أو بديلاً مناسباً لطاعة الرب يسوع والسير خلفه. إن توقفنا عن التغير، فنحن نتوقف عن اتباع الرب يسوع، وسنصاب بنوع من الجمود. فالرب يسوع يتحرك باستمرار. إن الأمر يستلزم منا قمع أجسادنا وإرادتنا

الذاتية أكثر وأكثر لنستطيع أن ننطلق. علينا أن لا ندق أوتاد خيمتنا بعمق في الأرض، بل لنفعل كما كان يفعل إبراهيم، إذ لم يكن له مكان دائم للإقامة، لكنه كان ينتظر المدينة السماوية.

التغير أمر حتمي لكل واحد فينا شئنا أو أبينا، لأن الحياة مع المسيح حياة دائمة التقدم. والسؤال: هل نحن نتغير لأننا نريد التغير، أم أن الظروف أجبرتنا على التغير؟ إن كنا منفتحين وعلى استعداد للتغير، سيستطيع الله أن يستخدمنا بطريقة أعظم مما نتخيل، وستصبح حياتنا غنية أكثر. فلديك أكثر من وتر على قيثارة حياتك. اللعب على وتر واحد سيجعل الحياة رتيبة ومملة.

كان موسى مثالاً للقائد الذي يتغير باستمرار. لقد تطلب الأمر وقتاً طويلاً من التهذيب قبل أن يخرج للخدمة، لكن بعد ذلك انتقل من مهمة لأخرى.

أولاً، هو الذي أخرج الشعب من مصر. كانت بداية خدمته عجيبة، فقد أيده الله بآيات ومعجزات عظيمة. كان هذا الأمر ضرورياً لكي يصغي إليه الشعب ويتبعه بجرأة.

في المرحلة الثانية اعتزل تماماً عن الشعب، إذ كان فوق جبل حوريب لينال الإعلان، الناموس. وتحول صاحب المعجزات إلى معطي الناموس.

تلت تلك المرحلة فترة طويلة كان موسى يرعى خلالها الشعب ويحميه ويحفظ الرؤيا. كانت فترة رتيبة مرهقة، لأن الشعب كان دائم التذمر على موسى.

أخيراً، كانت هناك مرحلة إعادة تلاوة الناموس (التثنية) ونقل كل ما قاله الرب إلى جيل جديد، هؤلاء الذين كانوا سيمتلكون الأرض.

إن زمن المعجزات لم ينته بعد المرحلة الأولى، لكن المعجزات لم تكن بذات الكثافة ولم يرها كل الجمع الغفير مثل وقت خروج الشعب من أرض مصر وعبورهم البحر الأحمر. بعد نهاية المرحلة الثانية التي فيها عاين موسى مجد

الله، لم تكن اختبارات موسى بنفس القوة السابقة. لقد أخذ موسى الناموس، وكان عليه أن يُطبقه في الحياة اليومية للشعب. لكن الأمر المهم هو ما يتعلق بالمرحلة الأخيرة التي كان سينقل فيها موسى ما أعلنه الله له إلى الأجيال التالية. هذا حدث في موآب، قبل أن يموت موسى. كل هذه المراحل في حياة موسى كانت مختلفة، ولم تتشابه.

إن هذا ينطبق على حياتك. فعدم القدرة على الاتسام بالمرونة والانفتاح من أجل التغير، قد يسبب ركوداً للكثيرين بل وقد يعطل خدمتهم. فلا عجب إن رأينا أشخاصاً يصابون بالشيخوخة الروحية مع أنهم لم يتجاوزوا الثلاثين من عمرهم. فنراهم مكتفين، وقد فقدوا روح المبادرة والشوق للخدمة، مع أنهم ما زالوا في بداية طريق الخدمة.

بدون الاستعداد للتغيير وبدون الإعداد للخطوة المقبلة، لن يتمكن القائد من خدمة الناس الذين تولى مسؤولية قيادتهم.

القيادة والعمل الجماعي

• • • • • • الفصل الخامس

لا يستطيع الإنسان أن يعيش بمعزل عن العالم من حوله وكأنه وحيد في جزيرة، لاسيما الإنسان الروحاني. فالطفل لديه رؤية محدودة للعالم من حوله، وهو يرى نفسه في مركز كل الأشياء. إلا أنه مع نموه وانفتاحه على المجتمع من حوله، تبدأ هذه الرؤية بالتغير، ويبدأ الطفل بالتعرف على الآخرين من حوله ويتخذ له نظاماً اجتماعياً محدداً خاصاً به. أما إذا رفض الطفل ذلك التغيير فإنه سوف يواجه بعض الصعوبات، مما يجعل الحياة قاسية بالنسبة له. فالتركيز على الذات يُنتج شخصية متكبرة ذات صورة ذاتية مشوهة. إذا لم يجرِ تصحيح تلك الرؤية، ستتشكل شخصية غريبة شديدة الحساسية. إذا لم يتم تقليم هذا الشخص كغصن سينمو في الاتجاه الخاطئ وسيكون غير قادر على الإثمار.

قد يتعثر في هذا الأمر بعض الأشخاص الذين قبلوا دعوة خاصة من الله، فالحالة التي يعيشينوها لدى تسلمهم كلمة أو رؤيا من الله قد تجعلهم يفقدون الصورة الحقيقية ويغيب عن فهمهم أنهم يشبهون المادة الأولية التي تحتاج أن تتشكل وتُصقل بل وتتنقى. فالدعوة من الله لا تعني أبدا أن هذا الشخص لا يحتاج إلى النمو والتشكيل، الأمر الذي يحدث بصورة أفضل إذا كان ذلك الشخص ضمن فريق.

نستطيع أن نرى في الكتاب المقدس أمثلة عديدة عن العمل الجماعي:

موسى كان لديه سبعون شيخاً.

جدعون كان لديه ثلاثمائة رجل.

داود كان لديه بعض الأبطال.

الرب يسوع كان لديه تلاميذه الإثني عشر، كما أنه كان يرسلهم إثنين إثنين.

بولس كان لديه شركاؤه السبعة في الخدمة (أع ٢٠: ٤).

وهكذا، هناك مجموعات مختلفة لأغراض مختلفة.

ما هو الفريق؟

الفريق هو مجموعة من الأشخاص مجتمعين معاً، تربطهم علاقة وثيقة لتحقيق هدف مشترك. فالأمر الأول الذي نراه في الفريق هو إخلاصهم معاً لهدف موحد، ولهذا فهم يكرِّسون أنفسهم لتحقيق ذلك الهدف من خلال علاقة شخصية وعلاقة عمل بين الأطراف جميعاً.

لا توجد علاقة أكثر عمقاً وتأثيراً من تلك العلاقة التي تربط بين أفراد فريق عمل روحي إلا علاقة الزواج والعائلة. تأمل التلاميذ بعد أن دربهم الرب يسوع وأرسلهم إلى كل أنحاء العالم للبشارة بالإنجيل. فتأثير الفريق عظيم، وفعاليته قوية. فلا عجب أن يتعرض القادة الروحيين للهجوم من هذه الناحية. في بعض الأحيان قد يعوقنا عن الانضمام إلى فريق العمل الخوف أو الكبرياء. وفي الغالب لا يستطيع أحد أن يُثبت قوته إذا عمل بمفرده، فالعمل منفرداً قد يصيب الشخص بالإحباط، بل قد يكون له على المدى البعيد تأثيراً مدمراً.

قدم لنا الرب يسوع وكذلك بولس الرسول أمثلة رائعة عن العمل الجماعي. كانت لدى كل منهما علاقة شخصية تربط بين المعلم وتلميذه. يجب أن يكون للفريق قائد، وإلا سيصبح الفريق بلا تأثير وفاعلية. فالقائد يجب أن يتولى دوره

كمعلم للفريق. فهو لا يجب أن يكون الأفضل في كل شيء، لكنه يجب أن يكون المعلم والمدرب.(نحن لا نتحدث هنا عن الاجتماعات الدورية لمجموعة من الناس الذين يتبادلون الأفكار حول فنجان شاي، ثم يعود كل منهم إلى عمله. فالعمل كفريق أعمق من ذلك).

يدرك قائد الفريق الاتجاه الذي يسير فيه الفريق وما يجب أن يفعله الفريق، متى يفعله، كيف يفعله، لماذا يفعله ومع من يفعله؟ فالقائد عليه انجاز هذا الدور. وهكذا، القائد له دور في التعليم والقيادة، كما أن له دور هام في توطيد علاقة صداقة بين أعضاء الفريق ليكونوا أكثر انفتاحا الواحد على الآخر.

القائد الروحي ليس بلا أخطاء. الانعزال عن الفريق قد يجعل هذا القائد يحاول أن يخفي نقاط ضعفه، لكن هذا لا يحدث في الفريق، حيث أن التفاعل اليومي لا يعطي فرصة لخداع الآخرين. في مثل هذه المجموعة تصبح العلاقات أكثر شفافية وهكذا تزول الحواجز بين أعضاء الفريق. هذا لا يعني فقدان الاحترام الواحد للآخر. فعندما يزداد تقرب أعضاء مجموعة ما من بعضهم البعض، يزداد احتمال فقدان الاحترام الواحد للآخر، لكن هذا لا يحدث في فريق خدمة روحية.

قبل كل شيء يجب أن يكون الهدف نُصب عينيك دائماً: أن تخلق أجواءً بنّاءة وفعّالة. ثانياً، أن يقدّم أعضاء الفريق الدعم والاهتمام المتبادل. إذاً، مسؤولية كل عضو أن يساعد ويشجع الآخر، لا أن ينتقد ويركز على مكامن ضعف الآخر. تذكر أن الرب يسوع لم يرسل التلاميذ كل واحد بمفرده، لكنه أرسلهم في مجموعات مكونة من شخصين على الأقل.

الوضع المثالي للكنيسة هو أن تكون فريقاً كبيراً واحداً. فهكذا كانت تعمل الكنيسة الأولى (أنظر أع ٢: ٤٢ – ٤٧). ومن الضروري جداً أن يكون لدى الكنيسة مجموعات صغيرة، مجموعات عمل، مجموعات للكرازة، كلها تعمل معا

في اتجاهات مختلفة لتحقيق ذات الرؤيا، وهكذا تكون النتيجة فعالة أكثر وتنشأ علاقات أقوى. إلا أنه لا يجب أن نهتم بأحد الأمور ونهمل الآخر. فالاجتماعات الشاملة في الكنيسة والمجموعات الصغيرة هما على ذات القدر من الأهمية. فنحن نحتاج للعبادة معاً كجسد واحد وللعلاقات الشخصية الدافئة بنفس القدر. أن يقول أحدهم أنه يفضّل الانضمام إلى كنيسة صغيرة لأنه يجد فيها شركة أعمق، علامة على الأنانية وعدم النضوج. الكنيسة الكبيرة لديها قدرة أكبر على الكرازة والوصول لأشخاص أبعد. كما أنه يمكن للإنسان أن يجد فيها أشخاصاً يكون في شركة معهم، هذا إذا كان منفتحاً ومحباً، وليس منغلقاً وأنانياً.

مجموعات رسولية

تعالوا بنا نلقي نظرة على المجموعات الرسولية. لاشك أن الخدمة الرسولية قد بدأت تعود بشكل جدي. وقد بدأ العالم المسيحي يدرك أهمية هذا الأمر في أيامنا هذه.

إن الشيء الهام الذي يميز الخدمة الرسولية هو العمل الجماعي. إن الأمر المهم بالنسبة للخدمة الرسولية هو التأثير المزمن، لا التأثير المؤقت مثل اللقاءات الشخصية أو عقد المؤتمرات. إذا درسنا ما كان يفعله الرسول بولس لأدركنا أن ما كان يهمه في كل ما يفعل هو وضوح الهدف. ولكي يتمكن من تحقيق كل ما يريده الله منه أن يتممه، كان عليه أن يضاعف الخدمة! وتمم هذا من خلال تدريب و تلمذة آخرين.

في أعمال ٢٠: ٤ يشير الرسول بولس إلى سوباتُرس من بيرية الذي رافقه إلى آسيا، أيضا أرسترخس وسكوندس من تسالونيكي، غايوس من دربة، تيموثاوس، تيخيكس وتروفيموس من آسيا. كان هذا الفريق المعاون لبولس

الرسول. هذا الفريق الخاص كان مكوناً من سبعة أشخاص، لكننا نعرف أن لوقا أيضا كان مرافقاً لبولس، كما أنه ذكر شركاء آخرين في الخدمة في مواقف أخرى. لقد جاء كل هؤلاء من كنائس مختلفة – فقد اختار بولس تيموثاوس من دربة أو لسترة (أع ١٦ : ١ –٣)، وهذه كنائس ساهم بولس في تأسيسها، أو كانت لديه علاقة رعوية خاصة بها. لقد ترك هؤلاء أماكنهم ليتدربوا على يدي بولس الذي عاد وأرسلهم مرة أخرى للخدمة.

لقد اختار الرسول بولس هذه المجموعة مقتديا في هذا بالرب يسوع الذي اختار تلاميذه. لقد كان كل واحد من أعضاء الفريق مستعداً للطاعة، ومنفتحاً لقبول تصحيح أخطائه.

إتمام العمل يحتاج إلى فريق عمل مخلص

بالتأكيد، كان بولس الرسول يعتبر الإخلاص من أفراد الفريق مطلباً هاماً، لذلك أصر على ترك يوحنا الملقب مرقس الذي كان قد تركهم من قبل ورجع إلى أورشليم (أع ١٥: ٣٧ –٣٨). على كل الأحوال، كان بولس يعرف جيداً الأشخاص الذين ينضمون إلى الفريق، أسلوب العمل والأولويات. كما ذكرت من قبل في الفصل الخاص بالرؤيا، انضم كل أعضاء الفريق لبولس استجابة لدعوة الله لهم من خلال بولس، واستمر معظمهم في العمل كفريق طوال حياتهم. نستطيع أن نرى الكلام المؤثر الذي قاله الرسول بولس عن تلك المجموعة في رسالته الأخيرة وهي الرسالة الثانية لتيموثاوس. في ذلك الحين، كان بعضٌ من تلك المجموعة قد ترك الرسول بولس مثل ديماس. كذلك أيضاً، تركت الكنائس في مقاطعة آسيا الرسول بولس، ربما لأن تلك الكنائس نمت نمواً كبيراً وظنت أنها تستطيع أن تدير شؤونها بنفسها، أو لأنهم انجذبوا لشخص آخر وضعوا ثقتهم فيه وكان يريد أن يأخذ مكان بولس (٢تي ١: ١٥). إلا أن بولس ظل

مثابراً حتى النهاية، واستمر في علاقته بأعضاء فريقه وتلاميذه طوال حياته.

نستطيع أن نلاحظ الفرق بين علاقة بولس الرسمية بقادة بعض الكنائس، وبين علاقته الصارمة بعض الشيء ببعض الكنائس الأخرى التي كانت تعاني من مشاكل أو خلافات، وعلى جانب آخر علاقته الخاصة بهؤلاء الذين انضموا لفريق الخدمة معه، وكانوا على استعداد لمواجهة كل الصعوبات والتحديات معه. بالتأكيد شعر بولس بالحزن العميق بسبب تلك الكنائس التي انفصلت عنه، وبدأت بانتقاده، أو تبنت بعض البدع والهرطقات بمجرد أن ابتعد عنها. لقد قال لأهل غلاطية: «فِيمَا بَعْدُ لاَ يَجْلِبُ أَحَدٌ عَلَيَّ أَتْعَابًا، لأَنِّي حَامِلٌ فِي جَسَدِي سِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ.»(غل ٦: ١٧). نعم، لقد حمل الرسول بولس حملاً ثقيلاً بسبب جسدانية بعض المؤمنين أو خيانة البعض ممن كان قد ولدهم في الإيمان.

أدرك بولس أنه لا يستطيع أن يتمم خدمته بدون مساعدة أعضاء الفريق له، لذلك مدح تيموثاوس قائلاً: «لأَنْ لَيْسَ لِي أَحَدٌ آخَرُ نَظِيرُ نَفْسِي يَهْتَمُّ بِأَحْوَالِكُمْ بِإِخْلاَصٍ، إِذِ الْجَمِيعُ يَطْلُبُونَ مَا هُوَ لأَنْفُسِهِمْ لاَ مَا هُوَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَأَمَّا اخْتِبَارُهُ فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنَّهُ كَوَلَدٍ مَعَ أَبٍ خَدَمَ مَعِي لأَجْلِ الإِنْجِيلِ. هذَا أَرْجُو أَنْ أُرْسِلَهُ أَوَّلَ مَا أَرَى أَحْوَالِي حَالاً.»(في ٢: ٢٠ –٢٣).

لقد كان واضحاً تقدير الرسول بولس لشريكه في الخدمة، وكان يدرك أن لتيموثاوس دوراً هاماً في استمرار الخدمة. لم يكن في استطاعة بولس أن يعمل بمفرده. كما أن تيموثاوس كان مخلصاً و متواضعاً رغم ما كان يتمتع به من صفات متميزة ومواهب رعوية عديدة.

هذا ما يستطيع أن يحققه الفريق الرسولي الحقيقي. لم تكن تلك المجموعة مجموعة صغيرة منعزلة يربط أفرادها حساً مرهفاً يجعلهم غير قادرين على

الافتراق أبداً، بل كانت تربطهم علاقات مستقرة لا تتأثر بمجرد اضطرارهم إلى الابتعاد عن بعضهم البعض لفترة طويلة. هذا عندما كان التواصل عبر الرسائل يستغرق أسابيعاً بل وشهوراً في تلك الأيام.

إن التعليم الذي تلقوه معاً ربطهم ببعض مدى الحياة، بالرغم من المسافات البعيدة وصعوبة التواصل بينهم. وقد كان كل واحد منهم مخلصاً للآخر، ولم يفكر أحد عن الآخر بطريقة سلبية مشككاً في دوافعه. ما كان يربط بينهم هي المحبة الثابتة التي لا تتأثر بالظروف.

الدور الأساسي للآباء الروحيين

لقد باركني الله خلال رحلة حياتي الروحية من خلال انتمائي لفرق عمل مختلفة. لقد تعلمت الكثير من تلك الخبرات. في بداية حياتي الروحية انضممت لهيئة «navigators»، حيث تعلمت الكثير من العمل الجماعي المكثف هناك، وقد ترك ذلك في داخلي أثراً عميقاً. أشكر الله جداً على تلك الفترة، خاصة لجوعهم الشديد لكلمة الله، وإخلاصهم الشديد وغيرتهم لربح النفوس.

لمدة أحد عشر عاماً تسنت لي الفرصة للسفر إلى كل أنحاء العالم مع د. لستر سامرال. أحيانا كنا نذهب إلى ثماني دول حول العالم خلال سنة واحدة. لقد كان مضحياً جداً. من خلاله، تعرفت على بعض الأوساط الروحية التي لم أكن قادراً على التعرف عليها بمفردي. كان د. سامرال كثير المطالب، لكنه في ذات الوقت متفهم ومعطاء، وكان لديه الاستعداد أن يشارك الآخرين بكل ما لديه. قال لستر سامرال يوماً: "الشباب جياع، أما الكبار فلديهم ما يقدمونه للشباب". لقد كنت أشعر بالجوع فعلاً إزاء أمور كثيرة، فبقيت إلى جانبه و اكتسبت خبرات كثيرة، إذا دونتها ستملأ كتاباً بأكمله.

لقد تأثرت أيضاً بإخوة آخرين أكبر مني سناً. أشكر الله على نعمة التواضع التي وهبني إياها حتى أستطيع أن أتعلم وأستفيد من كل هؤلاء. بدون مثل هذه الشركة لا تستطيع أن تنمو وتصبح على الصورة التي يريد الله أن يراك عليها. فالأب الروحي ضروري، والشركة معه ثمينة جداً. من الرائع أن يكون الشاب بعيد النظر فيتعلم من خلال اختبارات وحكمة أشخاص نضجوا على مر السنين، تلك الخبرة التي لا يستطيع الشاب أن يكتسبها بمفرده خلال فترة قصيرة.

إن نظام التلمذة والعمل ضمن مجموعات قد نشأ في العالم اليهودي من خلال المسيح أولاً، ومن ثم الرسول بولس. لقد فقدنا الكثير بجعل دور الواعظ مقتصراً على الوعظ، وجعل دور التلاميذ مقتصراً على مجرد الاستماع بدون أي التزام بتطبيق ما يسمعونه. إن التفكير المعاصر المحب للمتعة قد حول الكثير من منابر الكرازة إلى منصات لقضاء الوقت، وكذلك المشاركة في التجمعات الكنسية إلى وسيلة للترفيه عن النفس، وكأن الكنيسة دار للسينما. إن الشركة الصادقة بين أفراد المجموعات تعيد ترتيب الأمور بشكلها الصحيح، وتجعل الإيمان المسيحي حقيقياً وقابلاً للتطبيق في الحياة اليومية. ولكن هذا لا يعني أننا لسنا في حاجة إلى منبر للوعظ، أو أننا لا نحتاج إلى إقامة تجمعات كنسية، فكلا الأمرين ضروريين.

فريق تلاميذ يسوع وغايته

اشتمل تدريب الرب يسوع لتلاميذه على عدة مراحل. لقد اختار أشخاصاً من خلفيات وبيئات مختلفة. كان يدرك أن بعضاً من تلاميذه لن يستطيعوا العيش مع البعض الآخر في وئام، لكنه جمعهم معاً. وهكذا بدأوا يتأقلمون معاً، يكمِّل الواحد الآخر، ويصقل الواحد الآخر، وهكذا بدأ الكل يتغير وينضج. تستطيع أن ترى كل أنماط الشخصيات في هذه المجموعة: بطرس الاندفاعي والكثير الكلام،

يوحنا الميال إلى الرزانة، توما الشكاك، وفيلبس المتريث في التفكير. كان لكل واحد منهم دوره الذي يحتاج إليه باقي أعضاء الفريق. لم يكن أحد منهم كاملاً، لكن كان بداخل كل منهم ما يميزه عن الآخر، كما أن جميعهم كانوا مستعدين للنمو. كان هدف المجموعة تعليم وتدريب رجال الله الذين قرروا اتباع المسيح وتنفيذ مخططاته.

لقد قام الرب يسوع بتدريب تلاميذه بطرق عدة. فقد أصغوا له وهو يعظ الجموع، كما رأوه وهو يشفي آلاف الناس، مما أثر فيهم تأثيراً عميقاً. لقد رأوا مشاعره تجاه المحتاجين، كما رأوه وهو يقضي الليل كله في الصلاة، مما جعلهم يشعرون بالخجل تجاه تراخيهم ونعاسهم. لقد رأوا تعامله مع الصديق والعدو، ورأوه في مخالطته للمنبوذ من المجتمع. وقد كان يأكل مع الأغنياء في بيوتهم، ويقضي وقتاً مع الفريسيين في حوار معهم. لقد كانت مشاعره تتحرك تجاه المحبطين والمكتئبين. كذلك رأوه وهو يأخذهم على انفراد ليشرح لهم الأمثال التي لم تفهمها الجموع. لاحَظوا كيف كان يستيقظ مبكراً ليصلي. لقد واجهوا مواقف صعبة كانت فيها تحديات إيمانية عظيمة، مثل إطعام ٥٠٠٠ رجل، تهدئة العاصفة، المشي فوق الماء، وطرد الأرواح الشريرة. فقد دربهم يسوع من خلال هذه المواقف المختلفة. لكنه أعطاهم أيضاً سلطاناً ليذهبوا ويكرزوا ويشفوا المرضى، وبعد عودتهم كان يقيّم كل ما قاموا به. بكل تأكيد شعروا بمحبته وعنايته واهتمامه المستمر بهم. لقد غسل أرجلهم وصلى من أجلهم. بعد قيامته، أرسلهم مصحوبين بوعده أنه سيكون معهم إلى نهاية الدهر.

لقد كانت الفترة التي قضاها الرب يسوع مع تلاميذه غنية جداً، وهكذا عندما صعد إلى السماء، ترك على جبل الزيتون أحد عشر رجلاً استطاعوا أن يوصلوا رسالة الإنجيل إلى أقاصي الأرض. في الواقع، لم يشهد العالم علاقة تشبه علاقة الرب يسوع بتلاميذه وذلك من حيث تأثيرها، عمقها، قوتها وفعاليتها.

النمو والتكاثر

• • • • • • الفصل السادس

النمو ضرورة حيوية بالنسبة للقائد، فليست وظيفة القائد مجرد أن يشغل منصبه أو يحافظ على واجباته فقط. لكن مهمته أن يقود بطريقة تجعل العمل ينمو وينتشر. هذه الرؤيا ينبغي أن تسيطر على ذهنه وتملؤه. بلا شك، تنتاب كل قائد بعض المخاوف من الفشل والإحباط، لكن ما يزيل هذه المخاوف هو إدراكنا أننا دُعينا لننجح، وأننا قد خلقنا لنأتي بثمر.

خُلقنا لنأتي بثمر

عندما خلق الله الإنسان، باركه وقال له: "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا" (تك ١ :٢٦-٢٨)، يا له من أمر مدهش! كل كائن بشري خُلق ليتكاثر. فنحن بسبب عملية الخلق، عبارة عن كائنات بشرية مثمرة. لقد أشار الرب يسوع إلى نفس هذا الأمر في (يو ١٥ :١٦) فقال: «لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ». بكلمة أخرى، في نتيجة خلق الله لنا وفداء يسوع ودعوته لنا لابد أن نكون مثرين.

إن هذا الأمر ينطبق على جميع المؤمنين ولاسيما القادة الروحيين. فمهمة القائد أن يساعد المجموعة التي يقودها لتكون مجموعة مثمرة. إن هذا يعني أن مسؤولية القائد لا أن يأتي بثمر فقط، بل أن يخلق المناخ الذي من خلاله يثمر

أعضاء مجموعته أيضاً. عندما كان الرسول بولس يعلم تيموثاوس، لم يكن يفكر في تيموثاوس فقط، لكنه رأى أربعة أجيال فقال في (٢ تي ٢ :٢): «وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعْهُ أُنَاسًا أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا». نرى هنا هذه السلسلة التي بدأت ببولس ثم بعد ذلك « تيموثاوس» ثم «أناس أمناء» ثم «آخرين». لقد رأى الرسول بولس أربعة أجيال تتأثر بخدمته. لم يكتفِ بإقامة «تجمعات كنسية مذهلة ثم ينصرف كل واحد إلى بيته». كان يريد أن يترك تأثيراً كبيراً وعظيماً. يقول الكتاب في مز (٧٨ : ٥-٦): «أَقَامَ شَهَادَةً فِي يَعْقُوبَ، وَوَضَعَ شَرِيعَةً فِي إِسْرَائِيلَ، الَّتِي أَوْصَى آبَاءَنَا أَنْ يُعَرِّفُوا بِهَا أَبْنَاءَهُمْ، لِكَيْ يَعْلَمَ الْجِيلُ الآخِرُ. بَنُونَ يُولَدُونَ فَيَقُومُونَ وَيُخْبِرُونَ أَبْنَاءَهُمْ». هنا نرى ذات الفكرة: التعليم وثمره يمتد إلى أربعة أجيال.

ما الذي يحدث عندما تستمع إلى كلمة الله وتحفظ وصاياه؟ ستتبارك في كل ما تعمله (تث ٢٨ :١-١٤). بلغة أخرى، خطة الله ليست عبارة عن نهضة مؤقتة، بل هو يرغب أن تكون جميع الأمور لفترات مديدة. ذلك التأثير الدائم الذي تحدث عنه في يو ١٥ :١٦. هذا التأثير الذي يتعدى الحواجز الجغرافية بل يمتد إلى أجيال كثيرة. وهكذا الثمر، والبركات، بل والحياة تثمر وتتزايد من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أخرى. إن هذه هي بركات الأجيال، التي يريدها الرب لجميع أبنائه. وهذه هي المهمة التي ينبغي أن يتبناها كل قائد بل ويشجعها، ويتممها. فالقائد الروحي ليس مدعواً لأن يكون بركة من أجل الذين يصغون إليه في تلك اللحظة فقط.

قوة تأثير لا متناهية

القائد الروحي مدعو ومؤهل ليؤثر في أجيال عديدة. هذا يحدث عندما ترى العالم كله من خلال رؤية شخصية. فعندما تدرب فئة صغيرة، وهذه

الفئة تدرب آخرين، فأنت تضع أساساً للنمو المتزايد غير المحدود. لهذا نريد أن نغير طريقة التفكير في الكنيسة. لا ينبغي علينا أن نكتفي بالاستمتاع باختباراتنا الروحية فحسب، لكن علينا أن نساهم في عملية خلق حياة روحية في الآخرين، حيث يقومون هم بدورهم بالشيء ذاته فيما بعد. إن كنائسنا ليست مجرد مكان للاجتماعات، بل هي مكان لتدريب المؤمنين، وقاعدة ينطلق منها هؤلاء المؤمنون خارج أسوار الكنيسة ليأتوا بثمر. هذا مبدأ أساسي في كل الكتاب المقدس. لقد دعانا الله وباركنا لنكون مثمرين، وبدون هذا الثمر لا نستطيع أن نرضي الله، وسنفقد معنى وجودنا في هذا العالم، وينتهي بنا الأمر إلى جفاف روحي. لذلك على كل قائد أن يكون مقتنعاً أنه مدعو لخدمة مثمرة، وهذه الخدمة تستلزم نمواً مستمراً. هذا النمو يحدث طبقاً لمواعيد الله، ومن خلال تطوير ما أعطاه إيانا الله، وهكذا تثمر الخدمة وتعم ثمارها العالم أجمع. لا تستطيع أن تقتنع بهذا الأمر إلا من خلال الروح القدس. تأمل أغصان الكرمة، قد تبدو غير جذابة في نظر العالم، لكنها تثمر عناقيد الكروم الشهية، وهكذا فإن حياتنا تشبه هذه الأغصان. قد تكون الحياة خادعة وتراودنا أفكار بلوم النفس وضعف الإمكانيات، وهكذا نقتنع بأننا لا نستطيع تحقيق تلك الأمور العظيمة. هذا صحيح، فلا يمكننا أن نقوم بأي عمل بقوتنا الذاتية. إن أغصان الكرمة لا تستطيع أن تثمر من ذاتها، لكنها تستمد حياتها من العصارة التي تصلها من خلال الساق. الرب يسوع هو الساق الذي يمدنا بكل ما نحتاج إليه عندما نثبت فيه، والآب هو الكرَّام، الذي يقلّمنا وينقينا لنأتي بثمر أكثر، وهكذا نستطيع أن نمجده. هذه الثمار تحمل بذوراً، وهذه البذور تصبح نواة لثمار جديدة، وهكذا كل ثمر معناه أن هناك ثمر جديد. فالقصد من الثمر ليس فقط ثمراً جديداً، لكن أشجاراً جديدة تحمل ثماراً جديدة.

وهكذا تتكاثر الثمار بتعاقب الأجيال. لقد أدرك إبراهيم هذا عندما نظر

إلى نجوم السماء، لقد رأى نفسه متكاثراً بشكل لا نهائي من خلال أبنائه، وقد سمع وعد الله له أنه سيكون بركة للأجيال القادمة بل ولكل الأجيال. نحن أولاد إبراهيم، وينبغي أن نتمثل بإيمانه. لذلك علينا أن نرفع عيوننا ونرى أبعد مما نراه في حاضرنا. علينا أن ندرك أننا دُعينا لنصل إلى آفاق أبعد وأننا في بداية طريق الإثمار.

النهضة حياة تنتقل من جيل إلى جيل

من المهم تغيير أسلوب تفكيرنا القديم بشأن النهضة. أحياناً نعتقد أن النهضة ستحدث فجأة، وعندئذ ستُحل كل مشاكلنا. قد نقضي كل عمرنا نصلي طالبين النهضة، ونستغرب لماذا لم تحدث النهضة. في كثير من الأحيان نفكر بمحدودية وانفعال. فالنهضة هي حياة روحية، حياة مثمرة، يتمتع بها هؤلاء الذين يقبلون الرب يسوع ويصيرون تلاميذاً له. لذلك فتفكيرنا القاصر يعتقد أن النهضة غير مؤكدة، وإن حدثت تكون لمدة محدودة.

لقد أكد الرب في كلمته أن البركات والحياة المثمرة، ستزداد من جيل إلى جيل وستنتشر من شعب إلى شعب. هذا معناه أنها سوف تكون أكثر قوة في الأجيال القادمة. كان اسحق يمتلك أكثر مما كان إبراهيم يمتلك، فهو لم يبدأ من الصفر. وكان يعقوب يمتلك أكثر مما كان لإسحق. كان يوسف سبب بركة لبيت فرعون. لقد بارك الله داود بغنى كبير، إلا أن سليمان كان يتمتع بغنى أعظم. عندما يحب الناس الرب ويطيعوه ستزداد البركة من جيل إلى جيل. الفكرة هنا، هي أن ما يعمله الله في جيل معين سوف يصبح أقوى في الأجيال التالية. الله إله إبراهيم واسحق ويعقوب، وقد حقق وعده بأن أصبحت إسرائيل أمة عظيمة في الجيل الثالث، أي في عهد يعقوب.

في كثير من الأحيان قد لا يكون لدينا بعد نظر لدى إعداد خططنا وأهدافنا. نحن هنا في هذا العالم لا لنحافظ على بقائنا، بل لنعيش منتصرين. نحن هنا لنجدد الأسس الموروثة عن الأجيال السابقة، ونبني أسس بركة للأجيال القادمة. رغم أنه لدينا إيمان بأن الرب يسوع سيأتي سريعاً، لكننا نحتاج أن نعمل بهدف أن الأجيال القادمة ينبغي أن تعرف الله وتتبعه وتتبارك ببركات أعظم من التي تباركنا نحن بها.

تذكر أن إبراهيم كان وحيداً عندما دعاه الله، لكنه أصبح من الآباء، أب لأمة جديدة. تستطيع أنت أيضاً أن تصبح بطلاً، إن تمسكت بذات إيمان إبراهيم، وهكذا يظهر ثمرك في أشخاص جدد، عمل جديد، بركة جديدة، تأثير جديد! إن هذا الأمر لا ينطبق على أبطال الإيمان فقط، لكنه ينطبق على أي مؤمن. الله يستخدم اللاشيء، ويتحدث عن أمور غير موجودة وكأنها موجودة. إنه لا يبدأ من الصفر في كل جيل، لكنه يكمل البناء على الأساسات التي سبق وضعها.

كثير ممن يتحدثون عن النهضة لم يختبروها. لقد قرأوا عنها في الكتب وسمعوا أشخاصاً يتحدثون عنها في الماضي. هذا من الممكن أن يسبب اليأس، وشعوراً بالذنب بل وشلل في التفكير. لو كان بإمكانك رؤية تلك القوة التي يتضمنها مبدأ البدء من الأمور الصغيرة، وأنه كيف يمكن لذلك أن ينمو بشكل غير متناهي، عندئذ لن تصاب باليأس، بل ستحيا سعيداً ومستمتعاً بالحاضر. سوف ترى أموراً عجيبة تحدث. سوف تتخلص من الشعارات السطحية الجوفاء. سوف تهتم أكثر بالناس الذين تشعر بالمسؤولية تجاههم. في ذات الوقت سوف تركز على إتمام الخدمة التي ستمتد إلى عدة أجيال قادمة.

الله يعمل في كل العصور

يتسم هذا الجيل بنقص البعد التاريخي لديه، وذلك في المجالين الدنيوي والروحي على حد سواء. ففي المجال الدنيوي، استطاع نظام التعليم الذي كان يُدار بواسطة النظام الشيوعي أن يشوه التاريخ بل ويفصل الشعوب عن ماضيها. واعتبار كل ما هو قديم هو متخلف عن التطور. هؤلاء الذين يتبنون هذا الرأي يظنون أنهم وصلوا إلى القمة. وبالطبع يصنفون أنفسهم في أعلى مرتبة ضمن قائمة الذكاء والتقدم.

قد نجد مثل هذا الفكر في مجموعات النهضة التي كانت لفترات طويلة في حالة من العداوة مع الكنائس التقليدية. في كثير من الأحيان أتقابل مع «رجال النهضة» الذين يرفضون أي فكر مستنير من أفكار لوثر التي قالها في القرن السادس عشر، بسبب اختلافهم مع الكنيسة اللوثرية في القرن العشرين. إن هذا نوع من التطرف والعداء. أما عندما تستشهد بقول مأثور لأحد آباء الكنيسة الكاثوليكية، تزداد الأمور سوءاً، ويدرجونك فوراً في قائمة المتخلين عن أصولهم أو الغير متجددين فكرياً. للأسف، هذا يدل على التفكير الطفولي والجهل. إن التفكير الذي يتسم به الكتاب المقدس هو تفكير مستقيم، بمعنى أن الله يعمل في كل الأزمنة والأجيال عبر التاريخ. فما فعله وقاله الله في القرن الرابع أو السادس عشر أو العشرين، ينطبق على أيامنا هذه أيضاً. لا نستطيع أن نرفضه بحجة أننا الآن في عصر التقدم. ففي الواقع لسنا كذلك، لأنه لا شيء جديد تحت الشمس.

إنه علامة من علامات النضوج الروحي أن تنظر إلى الماضي وتتخطى حواجز الثقافة واللغة وتستخرج منه الكنوز الدفينة، وهذا ما ستفعله الأجيال التي تلينا عندما تتمكن من اكتشاف ما لدينا من كنوز. أن نؤمن بأننا الوحيدون من

«يملك ذلك» هو نوع من الحماقة.

التاريخ: الذاكرة الشاملة

بحسب الكتاب المقدس فإن التطور يتراجع بدلاً من أن يتقدم. على كل الأحوال الوضع هو هكذا، حتى ولو كان التطور التكنولوجي يتقدم بسرعة كبيرة. أما في المجال الروحي فسيأتي وقت نجد فيه حصاداً وفيراً، لكنه مصحوب بصعوبات بل واضطهادات مريرة. هذا سيكون مصحوباً بنجاح عظيم لملكوت الله، لكن في ذات الوقت قد نجد مقاومة شديدة وارتداد متزايد في المسيحية الفاترة البعيدة عن الله. لماذا أذكر هذه الأمور؟ ليس بإمكانك أن تفهم أو تعي المستقبل الذي أمامك إذا كنت تجهل الخلفية التاريخية. كل أحداث المستقبل لها نقطة بداية، هذه النقطة لها خلفية تاريخية. عندما تفهم كيف كان الله يتدخل في الماضي، حتى في العصور المظلمة التي ساد فيها الانحلال والارتداد، تستطيع أن تدرك كيف سيعمل الله في المستقبل، عندئذ سوف تتحرر من ضيق التفكير ومن كبريائك. بالطبع هناك أشخاص ينظرون إلى ماضيهم بافتتان، ويتقبلون كل ما حدث في الماضي، ويتشوقون إلى حياة الماضي، لكن إن تكررت أحداث الماضي في الحاضر سيرفضونها بل ويتذمرون منها. فالناس مثل الباحثين الذين يستمتعون بدراسة ما حدث منذ مئات السنين، لكنهم لا يريدون أن يتواجدوا فيها إذا رجعت اليوم، لأنها لا تتماشى مع مصالحهم وأفكارهم.

إلا أن هذه ليست المشكلة الكبرى في هذه الأيام. إن المشكلة هي عدم السعي إلى صنع التاريخ، وكذلك النظر إلى جميع الأمور بسطحية. وبما أننا لا نريد أن نتأمل في الماضي، فقد فقدنا القدرة على رؤية المستقبل. نحن نسير مثل هؤلاء الذين أصيبوا بفقدان الذاكرة، وبالتالي فقدوا هويتهم. إن التاريخ هو الذاكرة الشاملة للشعوب، وكذلك التاريخ الروحي هو الذاكرة الشاملة للكنيسة، بدونه كل

ما نراه من حولنا ليس إلا نوع من الفوضى والارتباك. إن هذا ما يتمناه العدو، لأنه دائماً يعمل على إضعاف الكنيسة وتجريدها من رغبة المبادرة.

أكبر استعداد روحي في التاريخ

نحن نعيش اليوم في إعداد مكثف لما سيأتي سريعاً. يعتبر وقت الإعداد هذا من أهم الأوقات، فهو مهم مثل الإعداد الذي قام به الحلفاء للحرب العالمية الثانية التي كانت أكبر حرب عرفتها البشرية. بالمثل، على كل أعضاء الكنيسة أن يستجمعوا قواهم ويتدربوا في مجموعات الخدمة المنزلية ومجموعات الصلاة، ثم أن يتم إرسالهم في مهمات مختلفة، مما سيؤدي إلى ازدياد فعاليتهم إلى حد كبير. وسينزل الروح القدس على أمم كثيرة بسبل غير مسبوقة. فهناك حصاد وفير ينتظرنا. إنه ليس وقت للرومانسيات، لكنه وقت ينبغي أن تنتفض فيه الكنيسة من فكرها الإنهزامي، وتستعد للانتصار، وهنا سوف تُستخدم كل المواهب التي ذكرها الكتاب في رسالة أفسس أفضل استخدام.

إنه وقت سنرى فيه كل العلامات التي ذكرها الرب يسوع في مت ٢٤، وسوف تكون هناك مقاومة، اضطهاد، أنبياء كذبة، حروب ومجاعات. ستواجه الكنيسة كل هذه الظروف الصعبة وستصمد وتتمم عملها. لهذا يجب أن يكون تفكيرنا مختلفاً، وأن ندرب القادة ونكون مؤهلين لنذهب إلى كل أنحاء العالم. إن لم نستعد كما يجب، قد نخسر الحصاد. وهكذا تضعف الحالة الروحية للمؤمنين، ولا يستطيعون أن يكونوا نوراً في وسط ظلمة هذا العالم، بل قد يهادنون العالم. إن هذا بالطبع ليس مخطط الله. إن مخطط الله يشمل أكبر عملية تحريك روحي في التاريخ، هذه الحركة التي ستوصل رسالة الإنجيل إلى العالم أجمع.

لذا لابد أن تكون لدى كل مؤمن قناعة بأنه لا بد أن ينمو ويثمر. إن هذا

الفكر ليس فكر خاص بالإرساليات الكرازية الكبرى فقط، بل ينبغي أن يكون فكر كل مؤمن. فكل مؤمن عليه أن يدرك أنه جندي في جيش الرب. وهكذا ستدفعه الظروف الصعبة ليتخذ بعض القرارات الهامة: من الذي أخدمه؟ من هو ربي؟ لأي شيء أكرس حياتي؟ في الأيام الأخيرة سيكون كما كان في أيام إرميا، أراد الناس أن يعودوا إلى مصر، لكن حذرهم الرب من أن يسلكوا الطريق الذي يؤدي إلى الهزيمة والموت.

على كل شخص أن يقوم بالاختيار، إلا أنه من المستحيل أن نهرب من أهم شيء ألا وهو أن نسلم قلوبنا بالكامل لله ونرى الثمر والنمو في أحلك الظروف. إن مثل هذه الظروف الصعبة، سوف تكون أوقات انتصار للكنيسة المضطهدة ولكن المظفرة، التي تعلمت أن تصغي لروح الله. إن مهمة القائد أن يُعد، يدرب، يرعى ويتابع الشعب لكي تكون الكنيسة مستعدة ومؤهلة ومظفرة عندما يحين موعد العمل الجاد.

مخاطر وإغراءات القيادة

• • • • • • الفصل السابع

نحن في حاجة ماسة في يومنا هذا إلى قادة يتمتعون بالاستقامة. قال إرميا "وَأُعْطِيكُمْ رُعَاةً حَسَبَ قَلْبِي، فَيَرْعُونَكُمْ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ" (إر ٣ :١٥)، فالله يريد أن يبارك شعبه من خلال قادة روحيين متميزين. عندما نقرأ ما كتبه إشعياء، وإرميا، وحزقيال، نستطيع أن نرى تحذيرات الله من الرعاة المزيفين الممتلئين أنانية. فالقادة معرضون لمخاطر وإغراءات خاصة، ينبغي أن يتنبهوا لها. لكن من المهم ونحن نتحدث عن هذه الأمور أن لا نفرط في الحديث السلبي. فالتركيز في حديثنا يجب أن يكون على الاحتياجات الماسة للقادة. كما أنه علينا أن ندرك أن أغلب القادة الروحيين يقومون بدور مميز. في بعض الأحيان عندما يقع أحد الخدام في خطيئة ما – الأمر الذي أعتبره كارثة– تتناوله وسائل الإعلام بطريقة مبالغ فيها، ولا يذكرون آلاف الخدام الذين يعيشون حياة القداسة والنقاء، فهؤلاء يمثلون أغلبية مطلقة، ومع ذلك لا تعيرهم وسائل الإعلام أي اهتمام.

القلب النقي والدوافع النقية

يُعتبر القائد شخصية عامة لذلك فهو تحت الأضواء بصفة مستمرة. كان الناس يراقبون دانيال النبي عن قرب علّهم يجدون فيه علة أو ذنباً (دا ٦ :٤-٥)، لكن لم يقدروا أن يجدوا فيه علة واحدة. هذا لا يعني أن دانيال كان بلا

خطيئة، لكن كان قلبه نقياً ودوافعه سليمة.

ستجد دائماً أشخاصاً لا يحبونك، يشيرون إلى أي خطأ ترتكبه ويذيعونه. لا تهتم بهم كثيراً، بل استودعهم بين يدي الله. فانتقاداتهم لك قد تعلمك الصبر. الله يعلم أنك لست شخصاً كاملاً، قد يسمح ببعض الأخطاء ليمتحن من حولك، ويميز هل هم يتمتعون بقلب نقي، أم متحفزين وغضوبين. تذكر أن الله هو معيننا، ملجأنا وهو الذي يهتم بنا في كل الأحوال. فهو يحمي هؤلاء الذين وضعهم في مراكز القيادة، لكنه أيضاً يؤدبهم، ويتعامل معهم بطريقته عندما يعصون وصاياه. يقول الر سول بولس في رو(١٤ :٤): «من أنت الذي تدين عبد غيرك؟ هو لمولاه يثبت أو يسقط. ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته».

أقدم لك أمرين غاية في الأهمية:

نحن لم نُدع لننتقد ونتهجم على القادة.

القادة ليسوا أحراراً ليفعلوا ما يحلو لهم.

الله هو الذي سيحاسبهم. يحتاج القائد الروحي إلى حدود في التحرك، ولا يستطيع أن يخرج خارج هذه الحدود بحجة أنه شخص «ممسوح من الله». لكن في ذات الوقت يؤمّن له الرب قدراً معيناً من الحماية حتى لا يصبح الراعي الشخص الذي تسخر منه الكنيسة بشكل دائم.

قبل كل شيء ينبغي أن يكون هناك احترام للقادة الروحيين. هذا يحدث عندما يكتشف الناس أن القائد يسلك باستقامة. فالسؤال الذي يدور في ذهن الناس هل هذا القائد جدير بالثقة أم لا. لا يمكن أن يعيش القائد نمط حياة ما وهو على المنبر، ونمط حياة مغاير في البيت أو في حياته اليومية. فينبغي أن تكون حياته مثل نسيج متناسق. أود أن أكرر أننا لا نتحدث عن عيش حياة مثالية، لكن حياة ملتزمة ومخلصة. إن الأمر لا يتعلق بجمال الكأس لكن بنظافته. هذا

النقاء يتعلق بالقلب، الأمر الذي سنناقشه في الفصل القادم.

قد يسقط القادة في أخطاء تتعلق بالدوائر الآتية:

القوة (السلطة أو النفوذ).

المال.

الجنس.

هذه الأمور الثلاثة ليست خطأ في حد ذاتها، لكنها قد تقود إلى بعض الأخطاء. لكن هناك أيضاً بعض الخطايا والدوافع الأخرى وتشمل الكبرياء، الطمع، الغضب، الشهوة، النهم، الكسل. هناك من يعتبر بعض الخطايا خطايا مميتة، حيث أنها تدمر علاقة الإنسان بالله.

١– القوة

القوة تدمر إذا أسيء استخدامها. امتلاك القوة معناه أنك تمتلك النفوذ على الناس، بل وتستطيع أن تتحكم في الظروف، أي أنك تمتلك السلطة. الله يمنح الإنسان القوة سواء في الخليقة، وفي الولادة من جديد، وعندما يتولى مهاماً قيادية في الكنيسة.

المهم كيف يستخدم الشخص القوة والسلطة. الحياة الاجتماعية مثل الحياة الروحية لا تستقيم إلا بوجود قواعد حاكمة وبعض أنواع التدرج في السلطة. (هناك بعض الأشخاص لا يحبون هذا النظام، لكنه مهم). بدون تنظيم، ستعم الفوضى ويسود التشويش. في عالمنا الساقط نحن نحتاج إلى بعض القوانين التى قد تشوبها بعض العيوب، لكنها أفضل من عدم وجود قوانين.

تُستخدم السلطة في أغراض التنمية، الحماية، النمو الاجتماعي والروحي. لكي تتم هذه المهام، ينبغي أن يكون للقائد سلطة، تأثير، احترام، دعم مادي.

كل هذه الأمور تعمل معاً بهدف خدمة الآخرين بأفضل ما يمكن. تبدأ المشكلة عندما تبدأ الطبيعة الجسدية في القائد في الظهور. إن لم تتم معالجة هذا الأمر، سوف يأخذ مجاله. إن الجسد هو ذلك الجزء من شخصية الإنسان الذي لا يريد أن يخضع لله ويطيعه، لكنه يريد أن يبني مجده الذاتي. لهذا أغلب المجتمعات سنَّت قوانين لمحاسبة القائد، التي قد تختلف من مجتمع لآخر. لن أذكر أي طرق أعتبرها مثالية من وجهة نظري، لكن سأناقش الغرض من هذه القوانين.

التنظيم الكتابي ضروري

هناك أمور كثيرة في الكنيسة تشبه ما في العالم، لكننا سندرس أموراً مختلفة تماماً. يسوع هو رب الكنيسة، ونحن المؤمنون في طريقنا نحو ملكوت السموات. بلا شك يختلف ملكوت الله عن ملكوت العالم. فهو يستمد نظامه من روح مختلفة تماماً عن النظام العالمي، بل ويتحرك في اتجاه مختلف. لقد وضح الرب يسوع هذا الاختلاف في حديثه عندما وضع حدوداً واضحة بين أسلوب عمل حكام العالم، وكيف ينبغي أن يتصرف التلاميذ، فقال في (لو ٢٢ :٢٤-٢٦):

"كانت بينهم أيضا مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر. قال لهم :ملوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يدعون محسنين. وأما أنتم فليس هكذا بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر والمتقدم كالخادم.»

إن هذا ليس معناه أن الرب يسوع أزال كل أنواع السلطة والنظام، لكنه وضح نوعية الاتجاه الذي ينبغي أن يسود في الكنيسة. إن مهمة القائد لم تُلغَ، لكن لا ينبغي أن تؤسس على معايير عالمية. في هذا الإطار، يذهب المؤمنون أحياناً بعيداً، فلا يثقوا في القيادة، ويتمردون على كل أنواع القيادة. إلا أن هذا لن يحل المشكلة. ففي الأمور الروحية، لم يتبن الرب يسوع مبدأ الدكتاتورية أو الفوضى أو حتى ديمقراطية العالم. لقد تحدث عن روحه، روح المحبة والخدمة، تلك الروح

التي يجب أن تتحكم بالأمور.

كل فترة لها الهيكل التنظيمي الخاص بها، الذي من الممكن أن يستمر. لكن في بعض الأوقات قد يستلزم الأمر أن نغير من النظام القائم لتسديد الاحتياجات الحالية. عندما يحدث هذا، من المهم أن نحتفظ بذات المبادئ الكتابية عن التنظيم والقيادة، وإلا قد ينتهي بنا الأمر بعيداً عن النموذج الكتابي. في وقتنا هذا، ما يميز الكنائس المتحررة هو نموذج الحركات الديمقراطية الشعبية. نعم، لقد شجع هذا النظام العلمانيين ليشتركوا في خدمة الكنيسة في وقت كانت الخدمة مقتصرة على رجال الدين. لكن الآن بعد حوالي مائة عام على هذا النظام، أصبح هذا النموذج في كثير من الأحيان غير فعال. فبالنسبة للبعض أصبح الولاء للفكر الديمقراطي أهم من الولاء للفكر الكتابي. لا أريد أن أناقش بالتفصيل دور القيادة الممتلئة بالرؤيا والنبوءة، التي تتناقض مع مبادئ الديمقراطية. بالطبع، يجب أن نفسح المجال أمام الكل للتعبير عن وجهة نظرهم وفكرهم. وهكذا يصبحون جزءاً من عملية اتخاذ القرار. لكن في ذات الوقت هناك عنصر في الكنيسة غير موجود في ديمقراطية العالم، التي تعتقد أن كل القوة نابعة من الشعب. في الكنيسة، الرب يسوع له كل السلطان في السماء وعلى الأرض، ومنه تنبع مصادر القوة والإلهام والترتيب. ينقل الله هذه الأمور من خلال الروح القدس لكل من القادة المكلفين بالمهمة، وللشعب الذي سيعاونهم. إلا أن هذا ليس معناه أن القائد حر يعمل كل ما يحلو له، فالقادة مسؤولون أمام الله وأمام الشعب الذي يخدمونه، وعليهم أن يعملوا بشفافية تامة.

أضف إلى هذا أن القائد في حاجة إلى حياة الاستقامة، لكي يثق به الشعب. إن الرب يتكلم إلى خدامه، الأمر الذي لا يمكن للعالم أن يفهمه. وبالتالي تصبح هذه نقطة خلاف بين المجتمع المسيحي والمجتمع العالمي.

لا أحد يتولى القيادة من تلقاء نفسه

ما عدا الأمور العامة في نظام الكنيسة، قد نواجه نوع من سوء استخدام السلطة، والاستغلال بل والتمرد في الأمور اليومية. فالكنيسة قد تضع بعض التحذيرات، لكن في النهاية، الأمر يعتمد على ما في قلب القائد. لكن من المهم أن نوضح أن الشخص الذي في موضع القيادة يتصرف بطريقة مختلفة عن الشخص الذي يجلس على مقعد الكنيسة. في كل العصور، نرى أن بعض القادة اتخذوا قرارات غير سليمة، الأمر الذي كلف الكنيسة أن تعيش في محنة. من جانب آخر، إن لم يتخذ القادة بعض القرارات، خوفاً من الشعب، أو خوفاً من ترك الأعضاء للكنيسة، هذا معناه أنهم غير حاسمين، الأمر الذي قد يكون له أيضاً عواقب وخيمة. في هذا الصدد، ينبغي أن نفهم أن هناك خط فاصل بين القيادة الدنيوية التي تعمل على حشد أصوات الجموع، والقيادة الروحية التي تريد خدمة وحماية الرعية، وتبغي نموهم الروحي.

يذكر لنا الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد أن القائد الروحي شخص ممسوح. إن مسحة الزيت في العهد القديم تشير إلى مسحة الروح القدس للقائد في العهد الجديد. لا يستطيع أحد أن يكون قائداً من تلقاء ذاته. هؤلاء الذين يُنصِّبون أنفسهم قادة، لتكون لهم مكانة روحية خاصة، سينتج عن ذلك زوال أو نقصان المسحة. فالرب يدعو، يعيِّن، ثم يمسح. قد يرى ويدرك القادة دعوتهم، ويقبلون هذه الدعوة، ثم يأتي دور تكريسهم من خلال وضع الأيادي أو المسحة بالزيت، لكن في واقع الأمر الروح القدس هو الذي يمسح. الروح يمسح فقط هؤلاء الذين دعاهم بحق، وقد لبّوا الدعوة بقلب صادق ومرحب. الشخص الذي يريد بكبرياء أن يحصل على مركز القيادة من خلال بذل جهود جسدية، أو الذي يسيء استخدام هذا المركز، سيعرض نفسه لخطر سقوط روحي.

أمثلة نتعلم منها

دعونا نأخذ الملك شاول كمثال. لقد دُعي ومُسح. إلا أن الأمور لم تسر في الطريق السليم. لم يستطع أن يحتفظ بمكانته. كانت هناك أسباب عديدة لهذا، البعض منها كان نتيجة عدم أمانته الشخصية، والبعض الآخر كان نتيجة لخوفه من الشعب، كما أنه لم يقم بدوره طبقاً للتعليمات التي أخذها من الله عن طريق صموئيل النبي. كان من المفترض أن يقضي على عماليق وكل مواشيهم. لكنه لم يقتل الملك وأبقى أفضل البقر والغنم. أراد أن يبرر عصيانه، وأقنع نفسه أنه تمم كل ما هو مطلوب منه. انتهى به الأمر أنه بدأ يبرر نفسه وألقى باللوم على الشعب بدلاً من أن يتحمل هو المسؤولية.

«فقال شاول لصموئيل: إني قد سمعت لصوت الرب وذهبت في الطريق التي أرسلني فيها الرب وأسرت أجاج ملك عماليق وقضيت على عماليق. فأخذ الشعب من الغنيمة غنما وبقرا، أوائل الحرام لأجل الذبح للرب إلهك في الجلجال...... فقال شاول لصموئيل: أخطأت لأني أعصيت أمر الرب ووصيتك، لأني خفت من الشعب وسمعت لصوتهم» (١ صم ٢٠ :٢٠-٢١ ؛ ٢٤).

بلغة أخرى، لقد استمع شاول للشعب بدلاً من أن يستمع لله. لقد فضَّل أن يكون في وفاق مع الشعب على أن يكون في وفاق مع الله، نتيجة لذلك اختفت المسحة من حياته، لذلك كان عليه أن يتحمل حصد نتائج عصيانه وأنانيته.

لقد كان داود بالرغم من كل نقائصه، مثالاً مناقضاً لشاول الملك. يقول الكتاب في أعمال (١٣ :٢٢): «ثُمَّ عَزَلَهُ (أي شاول) وَأَقَامَ لَهُمْ دَاوُدَ مَلِكاً الَّذِي شَهِدَ لَهُ أَيْضاً إِذْ قَالَ: وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي». إن داود يُعد مثالاً للقائد الممسوح، بالرغم من عدم كماله. لقد أعطت له المسحة نجاحاً في حياته، واستطاع بمعونة الله أن ينجز أعمالاً عظيمة،

وذلك عندما أدرك أن قيادته تعتمد بالكامل على طاعة وصايا الله. من خلال مسحة الروح القدس له، نال إعلاناً وقوة مكَّنته من أن يقبل التحدي ويصنع المستحيلات. لقد خلقت منه هذه المسحة قائداً ناجحاً، استطاع أن يخدم شعبه ويباركهم. لم تختبر الأمة الإسرائيلية ازدهاراً مثلما حدث في أيام مُلك داود وسليمان. لقد خضع داود للرب، لذلك كان قوياً ومؤثراً، ومن خلال هذا تباركت الأمة بأجمعها. هذا الصبي الذي كان يعمل راعياً للغنم أصبح راعياً حقيقياً لشعب إسرائيل.

سأقدم مثالاً آخراً عن القيادة الفاسدة التي تمثلت في الملك أخآب والملكة إيزابل. تشكِّل إيزابل مثالاً واضحاً للشخصية التي سعت وراء السلطة والقوة، واستخدمت نفوذها بأنانية لكي تنجح وتنشر الشر. لقد قادت إيزابل زوجها ليبتعد تماماً عن الله، وقد عانى الشعب بسبب ذلك الجفاف والمجاعة. لقد ألحت على زوجها أن يستولي على حقل نابوت، بأن سمحت لنظام القضاء الفاسد أن يحكم على نابوت ويقتله. لقد اضطهدت وقتلت أنبياء الله، وكانت تكره إيليا النبي بشدة. لقد شجعت عبادة البعل، ودعمت مئات من أنبياء البعل، وكانت تسمح لهم بأن يأكلوا على مائدتها. هنا نرى التضليل الكافر تحت ستار ديني كاذب. لقد وصلت إلى مستوى عالي من المراكز السياسية والدينية بغرض نشر الشر ومقاومة خطة الله وملكوته. كانت إيزابل تبحث عن مركز عال وسلطة. لقد اضطهدت المسحة النبوية، وحكمت الشعب بواسطة زوج متهاون. بالرغم من أن أخآب هو الملك، إلا أنها كانت هي المؤثرة. لولا إيليا، لما كانت إسرائيل قد تحررت من تأثيرها وكانت الأمة قد تدمرت تماماً. كانت القيادة الروحية لإيليا تحتم عليه الوقوف في مواجهة شرسة مع إيزابل، حيث تسببت له في ألم وحزن عميق أكثر مما سببه له مئات من أنبياء البعل. إن هذا قد يرجع إلى قوة الشيطان التي كانت تقودها، وقوة تأثيرها الشرير.

٢- المال

إن الأمر الثاني الذي من الممكن أن يُجرَّب به القادة هو المال. عندما يصبح الشخص قائداً، قد يجد نفسه مسؤولاً عن قدر من المال لم يتعامل معه من قبل في أي وقت من أوقات حياته. عندما بدأتُ الخدمة في «كلمة الحياة» لم أكن أتخيل أنه في ظرف سنوات قليلة ستصل ميزانيتنا إلى أكثر من مليار كرونة سويدية. إن لم يستطع القائد أن يتعامل مع هذا القدر الهائل من المال بطريقة مسؤولة وعاقلة، سوف يفقد مركزه.

نحن ندير لكن لا نملك

إن الموارد المالية لا تخص الأشخاص، المنظمات، الجمعيات أو الطوائف، لكنها تخص الله. « لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود» (حج ٢ :٨). نحن ندير لكننا لا نملك. كل شخص سوف يحاسَب على ما أؤتمن عليه. من المثير أن نعرف أنه عندما يتكلم الرب يسوع عن الوزنات، فإنه يتوقع زيادتها. فهو يريد ربحاً لما نديره. هذا ينطبق على كل مجالات الحياة بما فيها الأموال.

إن ملكوت الله لا يعتمد على الأمور المالية، لكنه قد يتأثر بها. فبدون المال لا يمكن أن يصل الإنجيل إلى كل العالم، وبالتالي لن يعرف الناس أي شيء عن الرب يسوع. بدون الموارد المالية، لا يمكن أن نبني كنائس، ولا أن نعقد مؤتمرات، ولا أن نذيع برامج في الإذاعة أو التلفزيون، ولا أن نرسل إرساليات. فالمال له دور مركزي وحيوي في ملكوت الله. فبدون الفضة والذهب، ما كان من الممكن بناء خيمة الاجتماع في الصحراء، وما كان من الممكن تشييد هيكل سليمان، وما كان بإمكان نحميا أن يعيد بناء أسوار أورشليم.

المال أمر ضروري، ليس من أجل لكنائس فحسب، بل للحياة بصفة عامة.

ولهذا السبب فقد تواجهنا تجارب كثيرة ونحن نتعامل مع المال. فالمال يمثل ناتج عمل الناس الذي هو في النهاية وسيلتهم للحياة، فهو سبيل من سبل الحياة والأمان. هو يمثل القوة والجاه والسلطة. لهذا، لا عجب إن وجدنا الناس في كل العصور يبذلون كل غالي وثمين، حتى حياتهم، ليحصلوا على المال. في كثير من الأحيان يصبح المال صنماً. لقد دعاه الرب يسوع سيداً (إلهاً) (مت ٦ :٢٤). بسبب عبادة آلهة مختلفة، حتى في الكنائس، نادى بعض القادة الروحيين بأن الفقر أفضل من الغنى. لعل هناك بعض الآيات الكتابية التي تشير إلى هذا، فعلى سبيل المثال طلب الرب يسوع من تلاميذه أن يتركوا كل شيء ويتبعوه، وقال أيضاً: « الحق أقول لكم: إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوات» (مت ١٩ :٢٣). أنا واثق أن الرب يسوع أعلن في هذه الآيات الحرب على الجشع، كما أني متأكد أيضاً بأن الرب يسوع لم يكن يرجّح التقشف الشديد على اقتناء الإنسان للممتلكات والمال. لا يوجد في حياة الرب يسوع أو في خلفيته أو في تعليمه ما يدعم هذه الفكرة. كما أنه لا يوجد أيضاً في كتابات الرسول بولس ما يؤيد هذا الفكر.

الفرق بين البساطة والفقر

في كثير من الأحيان، يقف المؤمن في حيرة أمام الممتلكات وحياة الرفاهية. هذا يرجع إلى التأرجح بين التعليم المتزن من جهة، والجهل والخوف من جهة أخرى. لكن بدأ كثير من دارسي الكتاب المقدس يدركون أن الله هو بالحق «إيل شداي» أي إله الغنى والوفرة. لقد أعطى الله الإنسان السلطان على الخليقة وهذا يعبر عن طبيعة الله الغنية. إن الهرطقة الغنوسية التي تعتبر أن المادة شر، بدأت تتسرب إلى عالمنا المسيحي، وسيطرت على فكرنا، وهكذا بدأنا نقدس فكرة الفقر. إن الفقر بدأ واستمر نتيجة لسقوط الإنسان. إنه لا يعبر عن طبيعة

الله. فالفقر يحط من قدرات الشعوب. إنه يعوق النمو، ويولد الخوف، ويسبب التحزب. في مجتمع يسوده الفقر، تنمو الغيرة والكراهية، وتنتشر الجرائم، وتفقد الحياة قيمتها ومعناها. لا أعتقد أن هؤلاء الذين يعيشون في الغرب ويتحدثون عن ما يُسمى «بركات» الفقر، قد اختبروا الفقر في حياتهم. هم يكتبون نظريات وهم جالسون على مقاعدهم وربما لم يذهبوا ليشتمّوا الرائحة النتنة في المناطق الفقيرة في كلكتا، ونيودلهي، وومومباي. لعلهم لم يستمعوا إلى الحديث الذي يجري بين أفراد عائلة ربها عاطل عن العمل ومدمن على الكحول، ولا يعرف أولاده أن هناك عالم آخر خارج الكوخ الذي يعيشون فيه في جنوب شيكاغو أو في مناطق فقيرة في نيويورك. فالفقر يؤثر في الناس، وهو أمر مؤلم، مهين، وقد يؤدي إلى ارتكاب الجرائم. لا يوجد شيء جيد في الفقر. قيل أن أسوأ طريقة للموت هي الموت جوعاً. بالطبع، يستطيع الرب أن يتمجد في كل الظروف، لكن هذا ليس معناه أن الرب يبعث التجارب ويسمح للشر بأن يقع، لكن إن تخلى الناس بمحض إرادتهم عن حياة الترف وعاشوا حياة بسيطة، فهذا أمر مختلف. من المهم أن نفرق بين البساطة والفقر. البساطة أمر أختاره بنفسي، لأن الله يقودني إلى ذلك. لكن الفقر هو عدو خارجي، لا أختاره، بل عليَّ أن أحاربه.

عندما ذهب بولس ليعظ في الإمبراطورية الرومانية، لم يشتر بيوتاً كبيرة. لم يكن لديه وقت لهذا، لكنه كان يركز على مهمته. لقد اختبر الرسول بولس الوفرة والاحتياج (في ٤ :١٢-١٤)، لكنه كان سعيداً عندما سدد الإخوة في فيلبي احتياجاته. إلا أنه لم يدن الأغنياء، لكنه على العكس حثَّهم لكي يعطوا بسخاء من أجل عمل الرب (١تي ٦ :١٧-١٩).

احذر من التطرفات المختلفة

إن حب المال -لا المال نفسه - هو أصل كل الشرور (١ تيم ٦ :١٠).

الرب يفحص قلب المؤمن الغني (كان الغنى المادي في العهد القديم علامة من علامات بركة الله – تث ٨ :١–٢٠؛ ٢٨ :١–١٤)، ليرى هل الغنى أصابه بالجشع، أم حفّزه على العطاء. لذلك من المهم أن يُطلع القائد الروحي شعبه على وجهة نظر الكتاب المقدس الصحيحة حول موضوع الثروة، السخاء المادي، الحرية المادية (عدم التكبل بالديون الباهظة)، الربح المادي. فنحن نحتاج إلى جيش من الأسخياء المخلصين، لنستطيع أن نتمم عمل الله. إن المعطل الكبير في أيامنا هذه ليس هو الجشع بل الفقر. فالشخص المفلس لا يستطيع أن يعطي (أف ٤ :٢٨).

يحتاج كثير من المؤمنين في هذه الأيام أن يخرجوا خارج خندق الفقر، ويتحرروا من العقيدة الدينية التي تدعو إلى الفقر. فالله يستطيع أن يعطي أولاده بوفرة، حتى يستطيعوا أن يدعموا عمل الله ويعيشوا في بحبوحة. لقد استخدم الله كل من إبراهيم، إسحق، يعقوب، داود وسليمان، الذين أغدق عليهم بغنى وفير.

لكن هناك تطرف آخر ألا وهو حياة الترف والإسراف. إن هذا خطر حقيقي ومن السهل أن ننجرف فيه. غالباً ما يقع في هذا التطرف هؤلاء الذين كانوا يعيشون في الماضي في فقر، ويريدون أن يعوضوا ما فاتهم في الماضي. المشكلة تبدأ عندما يعتقدون أن مظهرهم الخارجي وممتلكاتهم سيعطيانهم مكانة خاصة في المجتمع. قد نلاحظ هذا من خلال شرائهم للملابس غالية الثمن ذات الماركات العالمية. قال الرب يسوع بوضوح: «انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ» (لو ١٢ :١٥). قد تشتري ملابس من ماركات عالمية غالية الثمن لكونها عالية الجودة مثلاً وتدوم لفترة أطول، ولكنك قد تشتريها لأنك تريد أن تجذب أنظار الناس، وتحظى بمكانة أرفع في المجتمع.

الغنى الحقيقي والغنى المزيف

من التجارب التي قد تصيب الإنسان هي قيامه باختلاق قيم يقتدي بها، ويمجد نفسه من خلال ممتلكاته. فالروح القدس وحده هو الذي يستطيع أن يعلِّم الإنسان أن غناه الحقيقي في داخله، وفي السماء، حيث لا يُفسد كنوزه سوس أو صدأ. اقتناء الكثير وفي ذات الوقت إدراكك بأنك مجرد وكيل، ودورك أن تستخدم إمكانياتك بأفضل الطرق الممكنة، وأن تكون جزءاً من تدعيم الكرازة بالإنجيل، هو من أعظم الأشياء التي يمكن أن يختبرها أي شخص. بالطبع ليس من حق أي شخص أن يستنكر أو يحتقر هذا الأمر. من الجميل أن نختبر معجزة في حياتنا، لكن من الأجمل أن ندعم مئات المبشرين الذين من الممكن أن يأتوا بآلاف الأشخاص إلى ملكوت الله. إن هذا أعظم، لأننا من خلاله سنختبر عجائب ومعجزات أكبر بكثير.

الطمع لا يشعر بالاكتفاء أبداً. فمهما أخذ هو يريد المزيد. لا يرضى إطلاقاً بما يمتلك. غالباً، نحن نربط الطمع بالأغنياء، لكنه منتشر أيضاً بين الفقراء. فالغيرة والجشع قد تكون بين هؤلاء المعدمين. فالفقير يفكر في نفسه ويقول: "إن كنت أملك هذا أو ذاك، فالحياة بالنسبة لي ستكون أفضل". إنه نوع من خداع النفس لكل من الفقير والغني الذي يعتمد على الماديات. إنه نوع من عبادة المال التي يعتقد الإنسان من خلالها أن المال قادر على تخليصه ومساعدته وإسعاده. إن المال إله مزيف، عاجز عن التخليص، لكنه يفسد قلوب الناس، ويدمر حياتهم. فالطمع، وشهوة التملك، وحياة الترف، والسعادة المزعومة، دفعت الكثير من الناس إلى أن يتخذوا قرارات مالية خاطئة، الأمر الذي سبب لهم مشاكل كثيرة. نتيجة لذلك قضوا حياتهم مكبلين بالديون، الأمر الذي جعلهم يعيشون في قلق مستمر. كذلك نتج عن هذا أزمات عائلية انتهت بالانفصال وفسخ العلاقات.

القائد مثال في الإيمان

عندما يبدأ القائد بممارسة مهامه في القيادة عليه أن يكون قدوة. قد يواجه في البداية الفقر والاحتياج، لكن عليه أن يغامر في ظل هذه الظروف، واثقاً أن الله سيسد كل احتياجاته. عندما يغامر في العمل عليه أن تكون لديه حساسية خاصة تجاه الرعية ويكون في تواصل معهم ولا يعيش في عالم آخر بمنأى عنهم. وبالتدريج يستطيع أن يظهر كيف أن الله قادر على سد كل احتياجاته واحتياجات الكنيسة بطريقة عجيبة.

يخبرنا الكتاب أن من يعطي بسرور يحبه الرب (٢كو ٩ :٧). إن أعضاء الكنيسة لا يمكن أن يعطوا بسرور إن لم يعطي الراعي أولاً بسرور. لا يمكن أن يحفز الراعي رعيته على العطاء بسخاء إن لم يعطي هو بسخاء. فسخاؤه ينعكس على الكنيسة.

إن هدفي الأساسي الذي لم أصل إليه بعد هو أن أكون أكثر شخص يعطي الكنيسة (لأنه يوجد في كنيستنا أعضاء مبارَكين جداً يعطون بسخاء كبير). هناك نذر بيني وبين الله بخصوص العطاء. إن هذا لا يتعلق بتقديم العشور، لأن تقديم العشور ما هو إلا نقطة بداية، لكن نذري هو بخصوص التقدمات التي هي أكثر من مجرد دفع العشور. مهما أعطينا لا نعتبر أنفسنا أننا أعطينا الكثير. العطاء هو نوع من الزرع، والذي يزرع في تربة صالحة، بلا شك سوف يحصد. يكون الحصاد دائماً أكبر من الزرع. عندما يقدم القائد بسخاء وبفرح، ستختبر الكنيسة موجة من البركات المادية.

ليس للبيع!

هناك عثرة أخرى قد يُجرب فيها القائد من حيث المال، وهي الخضوع لرحمة مقدّمي الهبات. كثير من الوعاظ يقدمون على بعض التنازلات نتيجة الهبات

التي يأخذونها. ليس هناك أي خطأ في أن يتمتع الخادم ببركة العطاء، لكن إذا أصبح معتمداً عليها أو خضع لاستغلال هؤلاء الذين يقدمون هذه الهبات، هذا نوع من الفساد. لقد وضح إبراهيم أنه لا يُرتشى، فبعد انتصاره ضد الملوك الأقوياء، وبعد أن أنقذ لوط، أتاه الملوك الذين كانوا معه وأرادوا أن يعطوه جزءاً كبيراً من الغنائم، لكن إبراهيم رفض، وكان دافعه أن لا يقول أحد: «أَنَا أَغْنَيْتُ ابْرَام» (تك ١٤ :٢٣).

محاولة التعرف على الناس ودعوتهم للعشاء معك بهدف تحفيزهم على تقديم العطايا من أجل أعمال الكنيسة، أمر غير مقبول. ليس هناك أي خطأ في أن تعلن بوضوح الاحتياجات المادية لتنفيذ الأعمال الضرورية، لكن الخدام المرائين الذين يتملقون الناس ولا يفصحون عن احتياجاتهم بانفتاح، يكونون في وضع حرج للغاية، لأن الجميع يدركون أنهم يسعون وراء المال. من المهم أن تطلب بنوع من الشفافية. من المهم أن تكون على علاقة طيبة بالأغنياء، بدون أن تكون هناك دوافع مادية وراء هذه العلاقة. قد يكون لدى خدام الكنيسة تقييم متدني لأنفسهم عندما يتعاملون مع رجال الأعمال، لأن أحوالهم المادية بسيطة مقارنة برجال الأعمال. لكني أؤمن بأن الخدام ينبغي أن يعيشوا في نوع من الاكتفاء المادي. ينبغي أن يكونوا مستقلين مادياً حتى لا يذهبوا هنا وهناك ليطلبوا مالاً لأجلهم. كيف يمكن للراعي الذي يعيش في عبودية مادية أن يدعو الشعب ليعيش حياة الحرية المادية؟ نحن في حاجة لأن نعيد التفكير في هذا الأمر! إن كان الراعي هو رجل الله بحق، بالطبع سيأتمنه الله على الأمور المادية. لكن بدون الله، يكون جشعاً أو فاسداً (الفساد هو أن تستغل مركزك لبلوغ مكاسبك الشخصية).

وكيل صالح

رجال الله، الذين لهم علاقة خاصة بالرب يسوع، ويظهر عمل الروح القدس في حياتهم، هم وكلاء أمناء على المال. تأمل يوسف في العهد القديم، لقد كان السبب في نمو ثروة فرعون، وصار بركة لكل الشعب أثناء المجاعة. كل القادة الروحيين مدعوون لأن يكونوا وكلاء صالحين. غالباً نحن ننسحب من هذا الأمر خوفاً من رأي العالم. فالعالم يتحدث كثيراً عن الأمور المالية في الكنائس، محاولاً أن ينشر الفضائح المالية في الكنائس. لكن الحل ليس في التخلي عن الأمور المادية، لتبدو أمام العالم وكأنك على درجة عليا من الروحانية. الحل هو أن تكون أميناً، ملتزماً، مستقيماً في الأمور المتعلقة بالمال. من مهامنا أن ننمي الموارد بطريقة حكيمة حتى نستطيع أن نطور الخدمة. بعقلية الإيمان السليم، نستطيع أن نستثمر كل جنيه أو دولار أفضل استثمار لنشر ملكوت الله، دون أن نعير أي أهمية لكلام العالم.

قد يفضل العالم راهب مفلس، بل وقد يمتدحه لأنه لا يمثل أي تهديد بالنسبة له. لكن من جانب آخر، علينا ألاّ ننسى أنه إذا أصبحت الكنيسة غنية، ومستقلة مادياً، تستطيع أن تعمل كل ما تريد. الأمر الغريب أن الكنائس التي تنادي بالفقر كأسلوب حياة، تمتلك ثروات ضخمة على شكل عقارات وممتلكات خاصة.

إن المال والغنى والموارد لا تمثل مشكلة. المشكلة تكمن في قلب الإنسان، عندما يتعلق بهذه الأمور. فأنت بحاجة لمحاربة تأثرك ببريق الذهب الذي يغويك. عليك أن تدرك أن المال ليس إلا مجرد وسيلة تُستخدم لنشر ملكوت الله. لكن عليك أن تدرك أيضاً أنه مع الله لن يعوزك أي شيء. إنه يستطيع أن يسدد نفقات خدمة الإنجيل، وبذلك يمكنك أن تنشره في كل مكان. إنه يستطيع أن يهتم بأبنائه، حتى لا يعوزهم شيء (مت ٦ :٢٦-٣٤).

٣- الجنس

أما التجربة الثالثة التي قد يتعرض لها القادة فهي الجنس. إنها مشكلة خطيرة، خصوصاً في المجتمعات الغربية. قال لي أحد الرعاة الهنود ذات يوم: "أكبر تجربة تواجه القادة هنا في الهند هي المال، أما في الغرب فالمشكلة الكبرى هي الجنس". بلا شك أن روح الزنى يسيطر على ما يعرضه الغرب على شاشاته للعالم برمته. كما أن مبيع كل الأشياء مشروط بوجود صور أجساد عارية على الأغلفة. من النادر أن تذهب إلى أي مكان أو تقرأ أي شيء بدون أن تفاجأ بجسد عارٍ. لقد أصبحت القيم في هذه الأيام منحطة لدرجة أنه لم يعد أحد يأبه بالعفة. كما أن المطالبة المستمرة بالحرية الجنسية، مهدت الطريق لقبول فكرة الشذوذ الجنسي لدى الرجال والنساء، والتطرفات الجنسية الأخرى التي باتت تحظى بقبول صامت من قبل المجتمع.

الله خلق الجنس

ابتعد العالم الغربي منذ فترة طويلة عن مبادئ الكتاب المقدس وبدأ يركز على الملذات والرفاهية المادية. لقد وصل الأمر بالناس إلى أنهم بدؤوا يرفضون أية حواجز تقف أمام استمتاعهم بأهوائهم، سواءً كانت شهوة الجنس أو حب المال أو السعي إلى السلطة. لقد استولى عليهم الحب للمال والممتلكات والذات بدلاً من الحب لله والأقرباء (٢ تي ٣ :١-٥). قال الرسول بولس أن هذه الأمور سوف تزداد في الأيام الأخيرة. سوف تكون هذه الأوقات صعبة بالنسبة لهؤلاء الذين يريدون أن يعيشوا في القداسة والطهارة، وخصوصاً فيما يخص الجنس.

إن الأمور المتعلقة بالجنس تعتبر أموراً حساسة جداً، ومركزية ولها تأثير قوي على أعماق الشخص. فهي تؤثر بشدة وعمق على المشاعر، بل قد تؤثر

على الالتزام الأخلاقي للشخص ومظهره الخارجي وأحاسيسه الداخلية. تستطيع أن تجعل الشخص أكثر انفتاحاً على الشخص الآخر. إن المشاعر المتدفقة، والأحاسيس الجياشة، والانحلال الخلقي والإحباط والخيانة، كل هذه الأمور تتعلق بالحب، الشهوة والجنس. أستطيع أن أشبه الجنس بالحطب الذي قد يشتعل ويبعث بالدفء للمنزل، أو باللهب الذي قد يسبب حريقاً يلتهم المنزل.

الجنس علاقة شخصية حساسة، ولهذا السبب فهو يعتبر من المواضيع التي يمنع تناولها بحرية. كثير من الناس يشعرون بالخجل وأحياناً بالذنب عندما يتناولون في حديثهم أموراً عن الجنس، ومن الصعب عليهم أن ينفتحوا ويتحدثوا عنه. للأسف أن الكنائس لا تتطرق إلى هذه الأمور من منطلق أنها كنائس محافظة، الأمر الذي أدى في النهاية إلى مشاكل في الحياة الزوجية لدى الكثيرين.

قبل كل شيء، علينا أن نقول بأن الجنس في حد ذاته أمر صالح مثل السلطة والمال. فالله هو الذي خلق الجنس. ولم يكن الهدف منه التكاثر فقط. إنه مثل الطعام. فالخنزير مثلاً يتناول الطعام لكن ليس تحت أضواء الشموع، ولا في أطباق جميلة نظيفة، وبالطبع لا يتناوله بالشوكة والسكين، فهي كائنات غير متحضرة. لقد خلق الله الإنسان على صورته. الإنسان شخص مبدع ومثقف. عندما يتناول الإنسان العشاء لا يتناوله لأنه يحتاج إليه فحسب، بل ليستلذ بأمور أخرى أيضاً. إن هذا أيضاً ينطبق على الجنس، فالجنس ليس بالأمر الذي يحدث على عجلة في الظلام لهدف واحد وهو انجاب الأطفال، لكنه يحوي أكثر من هذا بكثير. فهذا هو ما خلقه الله. المشكلة أن العالم قد حرّف الجنس بصورة متطرفة وحوّله إلى سلاح قوي لإغراء الناس وتضليلهم وتدميرهم.

مثل المال، علينا أن نعيد الجنس ليشغل مكانه الصحيح في ملكوت الله. يتهمنا العالم بأننا نبالغ في التحشم وفي وضع النواميس الأخلاقية، وطبقاً

للنظرية الجنسية لفرويد، نحن متحاملين على الجنس، ونريد أن نكبته. بالطبع ليس هذا هو الواقع، فنحن لا نرفض الجنس، لكن بالعكس نحن نرتقي به إلى أجمل مكانة تليق به ألا وهو الزواج. نحن لا نريد أن نحيا مثل الكلاب، الذين يمارسون الجنس في أي ركن في الشارع بلا أي ضوابط. فالجنس أسمى، أرقى، بل وأعظم من هذا. لا يستطيع أحد أن ينكر أن الجنس يمثل قوة هائلة في حياة الإنسان، لكنه بالتأكيد لا يمثل قيمة الحياة كما يعتقد البعض، الأمر الذي جعل الشاشات تعطيه هذا الاهتمام والوقت.

الانتصار في حياتك الشخصية

من المهم أن يكون للقائد موقف سليم وهادئ حيال الجنس، وأن يحقق انتصاراً في حياته الشخصية. كان القادة في الكنيسة الأولى متزوجين. لقد منحهم الزواج نوعاً من الحماية في مجال الجنس، ولهذا كان تفكيرهم في الزواج تفكيراً ناضجاً. إن القائد المتزوج يستطيع أن يشترك مع أسرته في الخدمة. لكن بلا شك يوجد أيضاً مكان لغير المتزوجين في مجال القيادة. لم يكن الرب يسوع ولا الرسول بولس متزوجين (لقد أجَّل الرب يسوع عرسه الذي سيكون عرس الخروف وهو أعظم عرس سيعرفه الكون). هناك مكان لغير المتزوجين، الأمر الذي يُعتبر بالنسبة للبعض بأنه موهبة روحية (مت ١٩ :١١-١٢؛ ١كو ٧ :٧). من المهم أن نتذكر هذا الأمر خاصة في الوقت الذي يعتقد فيه الكثيرون أن معنى الحياة هو في الجنس، وعندما يظن بعض المؤمنين أن عدم الزواج قد يدمر حياتهم.

الجنس أمر يتغلغل في فكر الإنسان ومن الممكن أن يملأ خياله وأحاسيسه بطريقة قوية. إن هذا ينطبق على الرجال خاصة. عندما ترتدي المرأة فستاناً مغرياً (دون أن تقصد ذلك) قد يسبب ذلك بعض المشاكل في فكر الرجل. ولكن ينبغي على المرأة الناضجة روحياً أن لا تبدو في مظهر وكأنها تنوي العهر.

للأسف كثير من الموضات في هذه الأيام تركز على إظهار مفاتن المرأة، وذلك بهدف إثارة الشهوة. في بعض البيئات غير الغربية، لا يعتبر إظهار مفاتن المرأة نوع من الحرية الشخصية بل علامة على غياب العفة والطهارة.

إنه أمر مرفوض بالنسبة للمرأة التي تحاول أن تمجد الرب من خلال جسدها الذي هو هيكل لروح الله، أن تتحمل نظرة شهوانية من رجل شهواني، يرى جسدها كوسيلة لإشباع ملذاته ويريد أن يشبع هذه الغرائز بأي ثمن.

احفظ ذهنك

من المهم أن يسيطر القائد الروحي على أفكاره وشهواته، خصوصاً عندما يتعرض لمواقف قد تستقطبه لارتكاب خطيئة ما. إن خطيئة الزنى تولد في فكر الإنسان. وكل هذه الاغراءات ليست بالأمر المستبعد، لكن النقطة التي تهمنا هنا ليس تسلل هذه الأفكار، بل الطريقة التي ستتصرف بها مع هذه الأفكار. إن الفكر الدنيوي سيبدأ بالتأمل في هذه المشاهد والافتتان بها حتى تسيطر على ذهنه كاملاً. ثم يبدأ الشخص في البحث عن وسيلة لإشباع هذا الفكر. للأسف، تغص اليوم المجلات، والأفلام، وشبكة الإنترنت بالمواد الجنسية والإباحية. عندما يقع الشخص في مثل هذه الكمائن، يصبح مدمناً عليها خلال فترة قصيرة جداً، ويبدأ في البحث عن المزيد، الأمر الذي قد يؤدي به إلى إقامة علاقات جنسية خارج إطار الزواج. لهذا السبب، من المهم جداً أن تحفظ باب ذهنك مغلقاً تماماً أمام هذه الأفكار. إن الشخص الذي يفشل في إغلاق باب ذهنه أمام الإغراءات الجنسية، ينتابه شعور عميق بالذنب، ويتردد في التكلم بهذه الأمور مع أي شخص، خشية أن يحتقره الناس. لذلك في فريق القيادة ينبغي أن يكون الأعضاء منفتحين بعضهم على البعض، ويعترف الواحد للآخر، ويصلوا ويشجعوا بعضهم البعض بدون أن يستخف أو يستهزئ الواحد بالأخر. في ذات

الوقت عليهم أن يشجعوا بعضهم البعض على تنمية عادات جيدة. على سبيل المثال، يجب على الراعي أن يتجنب أن يقدم مشورة لسيدة وهما على انفراد. إن لم يكن هناك خيار آخر، ينبغي أن يكون باب غرفة المشورة غير مغلق تماماً، كعلامة أنه من الممكن أن يدخل الغرفة أحد شركاء الخدمة، وأنه ليس هناك أي أمر غير لائق يجري في هذه الغرفة. قد نشعر أن هذا التصرف فيه نوع من المبالغة، بل قد لا تشكل هذه الأمور مشكلة بالنسبة للراعي، لكن بالرغم من هذا أنا أشجع هذا التصرف، فهناك أفراد لا يتمتعون بفكر متزن يلقون بكلمات فيها نوع من الافتراء وتشويه السمعة، حيث أنه من الصعب بعد ذلك محو تلك الشائعات باستخدام مجرد عبارات مقنعة. لعل لهذا السبب أقول أن القائد الروحي لا يجب أن يدعو سيدة أن تخرج معه للعشاء، أو يعرض عليها أن يقوم بتوصيلها للمنزل. كل هذه الأمور حتى لو فعلتها بنيّة صافية قد تثير حولك الشبهات، الأمر الذي قد يشوه سمعتك. لذلك ينبغي على الراعي المتزوج أن يصطحب معه زوجته في أغلب الأوقات.

على مدى تاريخ الكنيسة، هناك الكثير من الأبطال القديسين الذين صارعوا الإغراءات والشهوات الجنسية وتغلبوا عليها. غالباً ما تكون هذه الحرب الروحية شديدة، لأن العدو يطلق نيرانه صوبك بكثافة. لا يوجد شيء مخزي أكثر من الهزيمة في هذا المجال، ويدرك العدو أنه إذا أوقع الخادم في هذه الخطيئة، ستتوقف النهضة والنمو الروحي. إذا لم تتحدث بانفتاح عن خطيئتك مع أحد القادة قد ينتهي بك الأمر إلى اليأس والإحباط. إن هذا الأمر يصيب على وجه الخصوص أولئك القادة الذين كانوا يعانون من خطايا جنسية قبل الإيمان. ينبغي على الأشخاص الحديثي الإيمان أن يعترفوا، ويتحرروا من قيودهم وذكرياتهم المنصرمة. ولهذا السبب من المهم أن يحيا هؤلاء في شركة مع المؤمنين لكي يتسنى لهم أن يشاركوهم بكل حرية وسرية بنقاط ضعفهم وبالتجارب التي

يتعرضون لها، ودون أن يلاقوا أي استخفاف أو استهزاء من قبل المؤمنين. لقد كانت عمليتا الاعتراف بالخطايا ومنح الغفران تجريان بسرية تامة عبر العصور، وذلك لكي يشعر الناس بالأمان ويتمكنوا من الإفصاح.

استخدم كلمة الله بطريقة صحيحة

تختلف الآراء عن التوبة ومغفرة الخطايا باختلاف التقاليد. فالبعض يركز على أن هذا الأمر يحدث مرة واحدة، وأن الأشياء القديمة تزول، ويفضلون عدم الحديث عن الماضي. لكن البعض الآخر يركزون على فكرة نيل الخلاص يومياً لدرجة أنك تتساءل هل هم واثقون من خلاصهم أم لا. إلا أن الحقيقة تقع بين هذين النقيضين. عندما قبلنا الرب يسوع كمخلص، وولدنا ثانية، الأشياء العتيقة قد مضت، الكل أصبح جديداً (٢كو ٥ :١٧). أصبحنا خليقة جديدة، وأصبحت لنا قلوب جديدة، وبدأ فكرنا يتجدد (رو ١٢ :٢)، لكن هذه الأمور لا تحدث في لحظة. لقد تغيرت أرواحنا من خلال الولادة الثانية في لحظة، إلا أن التغيير في أذهاننا يستمر طوال العمر. إن ذاكرتنا لا تُمحى بنيل الخلاص. لذلك نحن نحتاج للتحكم بأفكارنا، الأمر الذي يكلفنا خوض معركة صعبة وطويلة المدى. إن الفكر الجسدي (رو ٨ : ٥–٧) يميل إلى الأمور الجسدية (٤). فالجسد هو ذلك الجزء الذي لا يريد أن يخضع لله، لذلك ينبغي على كل مؤمن أن يحارب جسده كل يوم طوال حياته. في بعض الأوساط يكون التركيز على فكرة الصراع كبيراً لدرجة أن المؤمن قد يعتقد أنه لن يحقق النصر أبداً. وفي أوساط أخرى قد يكون التركيز على فكرة الانتصار كبيراً جداً لدرجة أن المؤمن قد يعتقد أنه لا وجود للجسد. أكرر: الحقيقة تقع بين هذين النقيضين. هناك جسد نحارب ضده، وهذه حقيقة (رومية ٨ :١٢–١٣ ؛ غل ٥ :١٧)، لكن هناك انتصار حقيقي في هذه المعركة (غلاطية ٥ :١٦). إهمال المعركة والحديث عن الانتصار

فقط، يعتبر نوع من الافتراض الخاطئ الذي يقود إلى السطحية بل والتقهقر. أما الحديث عن المعركة فقط، كما لو لم يكن هناك أي انتصار، يؤدي إلى الإحباط وفقدان الأمل. لا عجب إن كان البعض يعتبر الإحباط وفقدان الأمل مرتبطين بالخطيئة، لأن ذلك تعبير عن عدم الإيمان بوعود الله والتركيز على الظروف السلبية فقط. لكي تفهم وتنتصر في كل هذا، عليك أن تعرف كيف تستخدم كلمة الله. يتحدث الكتاب المقدس عن الجسد والروح، عن التوبة والإيمان، عن مكانتنا وخطواتنا. عندما تركز على أحد هذه الأمور متغاضياً عن الآخر، ذلك سيؤدي إلى نشوء حالة من عدم التوازن، الأمر الذي سيخلق مشكلة في حياتك الروحية. الرب لا يريدنا أن نكون سطحيين، ولا مغرورين أو قانطين. بل ينبغي أن نفهم ونأخذ المعركة ضد الجسد على محمل الجد، سواء كانت هذه المعارك تتعلق بالقوة أو المال أو الجنس. عندما تدرك هذه الحقيقة، أي بأنك تعيش في معركة يومية، حينئذ تستطيع أن تحارب بالطريقة الصحيحة. البعض يتجاهل وجود الجسد، ويعيش في إيجابية، والبعض الآخر يعيش في اكتئاب. نحن مدعوون لنعبد ونمجد الله في كل الظروف، إلا أننا في كثير من الأوقات نتعثر ونسقط. لذلك علينا أن ندرب أذهاننا لكي تنظر للرب باستمرار، وعندئذ سوف نختبر مساعدة الروح القدس لنا بطريقة عجيبة. عندما ننظر إلى الرب ونطلبه، ستظهر في حياتنا تلك الأمور التي ينبغي أن نعالجها. ولكن عندما يحدث هذا، من السهل علينا أن نتجاهل تلك الأمور ونتملص منها، ربما يعود سبب ذلك أحياناً إلى أنك لا تشاء أن تترك انطباعاً سلبياً، ولكن هذا تبرير خاطئ. كم من مرات نقضي وقتاً رائعاً مع الله، ثم نذهب للخارج وفي خلال دقائق قليلة نتحول إلى سطحيين أو يائسين أو متوترين أو ناقدين. إن مثل هذه الحالات قد تسبب لنا التراجع، والبعض قد يقتنع داخلياً أنه من المستحيل أن يتغير. بالطبع من خلال طبيعتي الجسدية، لن أتحسن، لأنه لا يسكن فيَّ شيء صالح (رو ٧

:١٨)، لكن كل ما يجري هو جزء من عملية التقديس، التي علي أن أخوضها. ينبغي أن أتدرب بصبر، وأصبح أكثر اتكالاً على الله لأنتصر على الهجوم الذي أواجهه في حياتي. إن الهجوم لن يتوقف، سأسقط مرات عديدة، لكن في كل مرة أستطيع أن أنتصر، وسوف يعلمني الرب خطوة خطوة كيف أحرز انتصاراً تلو الآخر (رو ٨ :٣٧). نعم، فمن خلال المعركة، ومقاومتي لإبليس سوف أنتصر. لا يوجد انتصار بدون معركة، ولا توجد معركة بدون انتصار، طبعاً إذا كنا نركز عيوننا على الرب الذي هو خلاصنا ومعيننا على الدوام. «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢ :٢٠).

«لأن الصديق يسقط سبع مرات ويقوم. أما الأشرار فيعثرون بالشر» (أم ٢٤ :١٦).

«الرَّبُّ يُثَبِّتُ خَطَوَاتِ الإِنْسَانِ الَّذِي تَسُرُّهُ طَرِيقُهُ. إِنْ تَعَثَّرَ لاَ يَسْقُطُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَسْنِدُهُ بِيَدِهِ.» (مز ٣٧: ٢٣-٢٤).

الحياة الشخصية للقائد

• • • • • • الفصل الثامن

النجاح الخارجي هو ثمر حياة شخصية قوية. بدون شك، الله يريدنا أن نكون ناجحين، وأن نثمر وننمو ونختبر النهضة. لكن إذا انشغلنا بهذه الأمور ونسينا حياتنا الشخصية الداخلية التي هي الشرط المسبق لكل تلك الأمور، سنواجه مشاكل كثيرة. فلو كانت الحياة الخارجية للإنسان منهمكة في تحقيق أهداف روحية، مثل تبشير العالم أو ربح مدينة بأكملها للمسيح، فقد يجري ذلك بأساليب دنيوية بلا شك. في مجتمعاتنا، يركز الكثيرون على المهنة، السلطة والنفوذ، وللأسف يتبنى المؤمنون نفس هذا الاتجاه. لذلك، إذا لم تكن للمؤمن حياة شخصية عميقة مع الله، فسيحقق رؤيته ومسؤولياته الروحية بأسلوب دنيوي. هذا الأسلوب قد يخلق نزاع وانقسام في جماعة المؤمنين، وبالتالي يضر بملكوت الله. لا نستطيع أن نكتفي بأن نعلن أن روح الله أعلن لنا رؤيا خاصة، لكن المهم هو كيفية القيام بتلك المهمة. فالأمر لا يقتصر فقط على ما نعمل، بل كيف نعمل.

إن مجتمعنا اليوم يدفعنا باتجاه الربح السريع، والتفكير المادي والسطحية. نتيجة لهذا الاتجاه، كان هناك رد فعل مضاد للمؤمنين على هذه المبادئ، وبدؤوا يرفضون كل هذه الأمور واعتبروها علامة من علامات التفكير الجسدي، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك واعتبروا أن النجاح خطأ. لقد ذكرت هذا الأمر في

الفصل السابق، لكني أود أن أركز عليه مرة أخرى. فالله يريدك أن تكون ناجحاً (يشوع ١: ٨). إنه يريد أن يصبح ملكوته واقعاً في حياتك. إنه يريد أن يتمم مشيئته في حياتك وأن تختبر تحقيق وعوده في حياتك. إنه يريدك أن تختبر صلاحه ومحبته الرائعة، ورعايته الوافرة. إنه يريدك أن تكون شريكاً له في العمل، وأن تكون القناة التي من خلالها يستطيع توصيل نعمته لكل العالم. الله يريد أن يرى فيك ثمراً كثيراً (يو١٥: ١٦).

الحياة الشخصية الداخلية القوية هي المطلب الأساسي للنجاح

إذا أردت حياة ناجحة، تحتاج أن تتمتع بحياة داخلية قوية. فما يظهر في الخارج يعتمد تماماً على ما بالداخل. بدون حياة شخصية قوية، تصبح حياتنا الخارجية سطحية وقابلة للجفاف. لكن الحياة الشخصية الداخلية مرتبطة أيضاً بالحياة الخارجية التي بدونها تصبح الحياة الداخلية متمركزة حول نفسها، تافهة وراكدة. كما أن المياه الراكدة تفسد، كذلك أيضاً الحياة الشخصية المنحصرة في ذاتها تفقد معناها. فهي تحتاج لأن تمتد وتتدفق لتروي العالم من حولها. إن الحياة الخارجية تظهر في محبة وخدمة الجار والقريب، وهي تشمل الكرازة، تشييد الكنائس، الوعظ، إظهار مواهب الروح وإتمام الإرسالية العظمى، وحفظ الإيمان، ومقاومة الخطيئة وروح الشر في هذا العالم. إنها حياة طاعة عملية لكل ما أوصانا به الله لنعمله.

تتضمن الحياة الشخصية الشركة العميقة مع الله من خلال الصلاة والعبادة، ودراسة الكتاب، للنمو في المعرفة الروحية والحكمة والخبرة العملية. إنها ليست حياة ركود بل حياة نمو مستمر. إن هذا الأمر قد يكون مؤلماً في بعض الأحيان، فالتطهير يستلزم إنكار الذات. علينا أن نلبس الإنسان الجديد، لتصبح حياتنا أكثر تشبهاً بالمسيح.

على مدى تاريخ الكنيسة، كان بولس الرسول أكثر شخص يتمتع بحياة شخصية قوية عميقة و قريبة من الله، وفي نفس الوقت كان واعظاً نشيطا أكثر من أي شخص آخر. فلم يتعارض الأمران معاً. إذا كنا نريد أن نتبع يسوع، لا يمكننا أن نركز على جانب دون الآخر. لا نستطيع أن نركز على الجانب العملي في حياة يسوع، أعماله ومعجزاته ونتخذها مثالاً لنا، لكننا نحتاج أن ننظر أيضاً إلى الجانب الآخر من حياته عندما كان يذهب للبرية منفرداً ليصلي ويكون في شركة مع الآب. في ذات الوقت، لا ينبغي التركيز على انعزاله في الصلاة، لأنه كان بعد انتهائه من الصلاة يذهب للجموع ليخدمهم. هو لم يعش في عزلة، لكن المهارة تكمن في إمكانية القيام بكلا الأمرين.

بلا شك، في عالمنا المعاصر المليء بالسطحية وطلب الملذات، هناك احتياج كبير لنهدِّئ أنفسنا ونطلب الرب. يقول داود في المزامير: «وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ، وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ.... لَكَ قَالَ قَلْبِي: «قُلْتَ: اطْلُبُوا وَجْهِي». وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَطْلُبُ» (مز٢٧: ٤، ٨). أصبح هذا الاحتياج ملحّاً أكثر من أي وقت مضى، لكن العدو يحاول أن يجعلنا مشغولين عن طلب الرب الذي هو مصدر القوة لحياتنا.

الحياة الشخصية الداخلية أمر ضروري

الحياة الداخلية لها جوانب متعددة، سأتناول هنا بعض هذه الجوانب. نحن نعرف جيداً المعالم والحدود الخاصة بالحياة الخارجية، لكن ما نريد أن نعرفه أن الحياة الداخلية لها أيضاً معالم وتحتاج لبعض الوقت لاكتشافها. يقول أرميا ٦: ١٦: « هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قِفُوا عَلَى الطُّرُقِ وَانْظُرُوا، وَاسْأَلُوا عَنِ السُّبُلِ الْقَدِيمَةِ: أَيْنَ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّالِحُ؟ وَسِيرُوا فِيهِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: لاَ

نَسِيرُ فِيهِ!» هذا يعني أن هناك طرق ظهرت أمامنا من خلال أشخاص آخرين، إذا بحثنا عنها سنجدها. لكن الكبرياء، الكسل والرغبة في نتائج سريعة غالباً ما يعوقناً. «لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ: إِنَّ خَلاَصَكُمْ مَرْهُونٌ بِالتَّوْبَةِ وَالرُّكُونِ إِلَيَّ، وَقُوَّتَكُمْ فِي الطُّمَأْنِينَةِ وَالثِّقَةِ، لَكِنَّكُمْ أَبَيْتُمْ ذَلِكَ فَلَمْ تَشَاءُوا.» (أش ٣٠: ١٥). لقد قدم الله لنا هذا العرض عدة مرات، لكننا رفضنا أن نستجيب. فطبيعتنا الجسدية تقاوم البحث عن الله وتفضل الانشغال بالأنشطة الخارجية، محاولين إظهار تميزنا الروحي أمام الآخرين. قد نعشق المنافسة وبالتالي نقارن أنفسنا بغيرنا. كم من الوعاظ، عندما يستمعون لشهادة واعظ آخر، يبدؤون بقص شهادات مماثلة تكون أكثر قوة بقليل. إن هذا يحدث نتيجة للدوافع الجسدية التي فيها يريد القائد أو الواعظ أن يكون محل إعجاب وتقدير. إن مثل هذا النوع من الضعف يمكن أن نجده في أي شخص، ويحتاج منا إلى مقاومة وتقويم.

بالنسبة للحياة الشخصية الداخلية مع المسيح، هناك ثلاث جوانب نحتاج أن نناقشها، وهي:

طلب الله والتأمل به.

طلب الله لتعيش حياة القداسة وتصبح أكثر شبها بالرب يسوع.

طلب الرب للإرشاد في العمل الروحي.

الخطورة تكمن في أننا نطلب الله للسببين الأخيرين، لأن السبب الأول لا يتماشى مع ميول الجسد.

لقد كان بولس مشغولاً بدعوته – هذا واضح تماماً – ومع ذلك ظل يقول: «لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ»(فيلبي ٣: ١٠). على مدى تاريخ الكنيسة، كان هناك أشخاص كثيرون لديهم رغبة شديدة في معرفة الرب يسوع، وعبَّروا عن تلك الرغبة بطرق متعددة قد تبدو غريبة بالنسبة لنا بسبب

اختلاف الزمان والثقافة. إلا أنه يجب أن ندرك أننا يجب أن نعبر عن رغبتنا بما يتناسب مع زمننا كما فعل من سبقونا.

التعالي على الماضي

هناك نظرية دنيوية، غير صحيحة، قد تقود إلى الضلال، وهي أن كل ما ينتمي للماضي فهو سيئ، وكل ما في الحاضر أفضل مما سبق. هذه النظرية تنبع من اعتقاد دنيوي متفائل بشأن التقدم. هذه النظرية متأثرة بنظريات التطور، الفلسفات الإنسانية والاشتراكية، وهي تفترض أن أي شيء في الوجود يتطور إلى شيء أفضل، وبالتالي كل ما في الماضي هو أسوأ من الحاضر، وهكذا تصر بعض الفلسفات أن كل ما هو قديم هو خرافي، ومليء بالجهل أو الظلام.

هناك طوائف تؤمن بأن كل ما كان قبلها كان خاطئاً. بالطبع هذا يقود إلى السخافة، فهناك من يعتقدون أن الله لم يفعل شيئاً قبل ظهورهم على الساحة. إضافة إلى ذلك، قد نجد بعض الصعوبة في فهم بعض الجوانب التاريخية، الروحية، الاجتماعية والثقافية التي أحاطت بالأمور الروحية في القِدم. فالإيمان المسيحي بدأ في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، لا في صحراء الدول الإسكندنافية. فمثلا في القرن الخامس كان أهل شمال أفريقيا يعيشون حياة الإيمان بطريقة مختلفة تماماً عن أهل السويد في القرن الحادي والعشرين. فنحن نفترض أن طريقتنا في فهم الأمور والتعبير عنها هي الطريقة الوحيدة الصحيحة. نحن نفترض ذلك لأننا نعيش في عهد لاحق للعهود السابقة، وهكذا نجد أنفسنا محصورين فيما أطلق عليه سي. أس. لويس « التكبر على الماضي»، أي أن كل شيء لاحق يعتبر أفضل بطريقة تلقائية. لقد ترسخت هذه الفكرة نتيجة للجدار غير المرئي الذي بنيناه ليقف حائلاً ضد كل ما حدث في الماضي في الأجيال السابقة في تاريخ الكنيسة. وهكذا نجد أنفسنا نستهزئ بالماضي الذي

نعتبره غريباً. في هذا السياق، من المهم أن نعرف أنه حتى القرن الحادي عشر كانت الكنيسة وحدة غير منقسمة، فلم يكن هناك طوائف. لقد أتى الإصلاح برؤى جديدة. إلا أننا لا نستطيع أن نرفض الكنيسة الأولى ونعتقد أن كل الحياة الروحية بدأت بعهد الإصلاح، وعهد النهضة في القرن التاسع عشر. فالكنيسة قائمة منذ البداية، والروح القدس كان يعمل في كل مراحلها، وهناك أشخاص عرفوا الرب يسوع وعاشوا محققين مشيئة الله في حياتهم في كل العصور. عندما نفهم تلك الحقائق، نستطيع أن ندرك أن هناك طرقاً ربما نسيناها، لكن الله يريدنا أن نكتشفها من جديد. لكن في الكثير من الأحيان نختار ألا نعيد اكتشاف هذه الطرق القديمة.

اكتشف الانتصارات في حياة أبائنا الأوائل

اكتشاف تلك الطرق القديمة يشبه اكتشاف لؤلؤة في حقل، تحتاج أن تزيل من عليها الكثير من التراب و الوحل. إنه نوع من علم دراسة الآثار الروحية، التي تُظهِر ما خبأته السنين، وما غطته بقايا الثقافات المختلفة. في أيامنا المعاصرة نجد تقييماً جديداً للجذور اليهودية للمسيحية. هذا التقييم قادنا لمراجعة بعض «البقايا» اللاهوتية التي اندثرت. وبنفس الطريقة، استرجعنا بعض المبادئ الموروثة عن الكنيسة في القرن الأول. وهكذا نستطيع أن نتعلم من خبرات وحكمة ذلك الجيل التي تساعدنا على تطوير حياتنا الداخلية.

لم يكن الرهبان في الأديرة مجرد أشخاص كسولين، يؤمنون بالخرافات، يقضون وقتهم في صناعة النبيذ والخمور، لكنهم كانوا رجال روحيين وقدوة، خاصة في أوقات ضعف وانحلال الكنيسة. كان هؤلاء الرهبان يعيشون حياة روحية ملتزمة، كما أنهم كانوا يتمتعون بحياة صلاة قد تجعل الكثير من الرعاة اليوم يشعرون بتقصيرهم الشديد. لم يكونوا أشخاصاً منطوين وغرباء، تهربوا

من مسؤولياتهم وعزلوا أنفسهم عن العالم. لكنهم كانوا رواداً روحيين في وقت الارتداد، أعادوا لكلمة الله مكانتها، وكرَّسوا حياتهم لمعرفة الله وخدمته. لقد كانوا سببا في تغيير أمماً بأكملها من خلال نهضات روحية، إلا أنهم انتهجوا المبادئ والأفكار السائدة في زمنهم كما نفعل نحن اليوم. بالتأكيد سينتقدنا الجيل القادم على تعلقنا بزمننا.

من المهم أن نعرف أن الحقائق اللاهوتية ليست المرادف المنطقي للنضوج الروحي. فالحياة الروحية لا تشمل فقط الجوانب الفكرية واللاهوتية، كما أنها غير مرتبطة بمعرفة وفهم الأجيال القادمة. قال أحدهم: «لقد كان أبطال تاريخ النهضة عمالقة، وإذا كنا نستطيع أن نرى أبعد منهم، فذلك بسبب أننا نجلس على أكتافهم».

نحن نحتاج في هذه الأيام للرجوع إلى الجذور. نحتاج أن نتعلم ونطور حياتنا الداخلية بمساعدة أبائنا الروحيين الذين اختبروا النصر عبر التاريخ. لا نستطيع أن نحتقر الطرق القديمة، فهي تشبه آبار ابراهيم التي احتاج اسحق لأن يحفرها من جديد. (تك ٢٦: ١٢ -٢٢).

كن متكلا على الله

التركيز على الحياة الداخلية هو في الواقع عمل الروح القدس، الذي يقربنا أكثر إلى الله ويجعلنا نتكل عليه أكثر فأكثر. لقد أوضح الرب يسوع أن الطريق نحو حياة مثمرة هو الاتكال عليه: «اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ» (يوحنا ١٥: ٤). لذا فالمفتاح الأساسي للإثمار هو الاتكال على الله، هذا يعني أن ندرك أننا لا نستطيع أن نحقق ذلك بدونه. فالأمر غير مرتبط

بمواهبنا الطبيعية، امكانياتنا المادية أو ظروفنا المميزة. بدون الاتكال اليومي على الرب يسوع، لن يحدث أي تقدم. هذا مبدأ يصعب على الإنسان العادي فهمه. فبالاعتماد على أجسادنا نميل إلى الوثوق بأنفسنا، وبالتالي نصبح أحراراً في مديح ذواتنا وانتقاد الآخرين أو احتقارهم. لهذا نحتاج إلى برنامج للتدريب، يساعدنا الروح القدس من خلاله على التخلص من الوثوق بأنفسنا وإمكانياتنا.

الانضباط الروحي

بالتأكيد لا يجب أن نرفض المواهب التي أعطانا إياها الله. إذا كان هناك شخص لديه موهبة الموسيقى، لا يجب أن يقضي حياته رافضاً لهذه الموهبة، بل بالعكس، يجب أن ينميها ويطورها. إلا أنه قد يأتي الوقت الذي فيه «يوضع اسحق على المذبح». في بعض الأحيان قد يكشف الروح القدس عن عبادتنا الكاذبة، أو تقديرنا واستخدامنا لمواهبنا بدافع الأنانية أو حب الظهور، التي تتحول إلى صنم في حياتنا. هذه الموهبة قد تجعل من حياتنا حياة متمركزة حول الذات، تسعى للحصول على إعجاب وتقدير الآخرين، أو تستغل الآخرين بدافع الأنانية. دور الروح القدس هو أن يظهر الدوافع الخفية في قلوبنا(عب ٤: ١٢) ويخلصنا من كل ما هو خطأ بواسطة سيف الروح. فأنت لن تصبح أكثر روحانية بأن تلقي بموهبتك بعيداً. ببساطة قد تطمر موهبتك في الأرض. الاتضاع أو الزهد الكاذب ينكر كل شيء، أما الاتضاع الحقيقي فهو أن تعيش حياة الانضباط الروحي (أنظر ١كو ٩: ٢٤ –٢٧). الكلمة اليونانية للزهد تعني التدريب أو التمرين. أي أن تكون صارماً مع نفسك، مع الجسد ومع رغباتك الخاطئة، وأن تقاوم هذه الميول في حياتك لتستطيع أن تصل إلى هدف ما، ألا وهو القداسة، وأن تكون أكثر تشبهاً بالمسيح، وأن تكتسب جزءاً أكبر من الطبيعة الإلهية (٢بطرس ١: ٤). من خلال هذا، ندرك أننا لا نستطيع تحقيق أي من

هذه الأمور. هذا يقودنا إما لليأس والاحباط، أو للتبصر بأننا نحتاج أن نتكل على الرب يسوع اتكالاً كاملاً.

دعوني أذكر هنا شيئاً عن موضوع الضعف. أتقابل مع بعض المؤمنين الذين يشيرون باستمرار لمقدار ما يشعرون به من ضعف. أحياناً يُسر الفكر الجسدي بالإشارة المستمرة للضعف. فهؤلاء الأشخاص الذين يمجدون الضعف، لديهم فهم خاطئ عن التعليم الذي أقدمه عن النصر والقوة. فالبعض يظن أننا يجب أن نتمتع بقوة وتأثير في ذواتنا، إلا أن هذا يتنافى تماماً مع ما نقدمه من تعليم، ومع ما قاله بولس في أفسس(٦: ١٠): «أَخِيرًا يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوْا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ». إنه يركز هنا على قوة الله وليس على قوتنا الشخصية، فنحن بطبيعتنا أكثر من ضعفاء: «فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لأَنَّ الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ» (رو٧: ١٨). إلا أن قوة الله تستطيع أن تحيا وتفيض في ذلك الشخص الضعيف، لذلك أستطيع أن أفتخر بمواضع ضعفي (٢ كو ١٢: ٩)، ليس لأنها جيدة، لكن لأن قوة المسيح تحل فيّ، وهكذا تصبح قوة المسيح واضحة وفعالة في حياتي.

إذاً، حينما أنا ضعيف، أنا قوي. الضعف يجعلني أكثر اتكالا على الرب يسوع، فبدلاً من أن أحاول حل أية مشكلة بقدراتي الشخصية، أنظر إليه وأتوقع أن أرى قدرته تعمل في حياتي. يقول الرسول بولس أنني أصبح قوياً من خلال قوة الروح القدس التي تعمل فينا كمؤمنين. (أف ١: ١٩، ٢٠).

التقديس – خبرة مؤلمة

من الأهداف المهمة لتقوية حياتنا الداخلية أن ننزع كل ما يعيق عمل الروح القدس في حياتنا، ليستطيع أن يأخذ مجاله للعمل فينا وبواسطتنا. إدراك ضعفنا لا يعني أن نقبل هذا الضعف، لكن أن يزداد اتكالنا على الرب يسوع حتى ما يسود بقوته على حياتنا. فنحن نشبه الغصن الذي يعتمد على الساق لتمده بالغذاء من الشجرة ولا يستطيع أن يأتي بثمر بمفرده. إلا أن الغصن مرتبط بالساق ليس فقط لاظهار عجزه، لكن ليستمد من الساق القوة، الغذاء و الحيوية، وهكذا يأتي بثمر كثير. لم يكن قصد الرب يسوع من جهتنا أن نضيء شمعة، أو أن نحني رؤوسنا معلنين ضعفنا، لكن قصده أن يستخدم الناس برغم ضعفهم ونقائصهم، ويعمل أعمالاً عظيمة بواسطتهم إذا وضعوا ثقتهم فيه وأطاعوه.

قد يكون عمل الرب يسوع في الحياة الداخلية للمؤمن أمراً مؤلماً، تماما مثل ممارسة التمارين الرياضية، فهي ليست ممتعة في بادئ الأمر، حيث تتشنج عضلاتك وتؤلمك. لذلك لا تنظر للألم والمعاناة من منظور خاطئ. في هذا الكتاب، لا يوجد مجال كافي لمناقشة موضوع الألم باستفاضة، لكن من المهم أن تعرف أن هناك أنواع مختلفة للألم. فهناك الألم الذي نجونا منه من خلال موت المسيح الفدائي عنا. كذلك هناك الألم والاضطهاد الذي نعانيه بسبب كوننا غرباء في هذا العالم. كما أن هناك أيضا آلام المسيح التي دُعينا لنتحملها (١بط ٤: ١٣)، فادعاء أن المؤمن لا يتألم أمر غير كتابي (١بط ٤: ١٩): "فَإِذاً، الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ، فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ، كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ".

بلا شك نحن نعظ عن بركات الله لنا والنصرة التي لنا في شخصه. إلا أن هذا لا ينفي حتمية الألم، بل يضعه في سياقه الصحيح. يقول الرسول بولس في

رومية (٥: ٣): «وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ، عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا». بكلمات أخرى، الألم ينتج شيئاً جيداً عندما نستودعه بين يدي الله. هذا لايعني الكآبة، التشاؤم والانهزامية في التفكير، بل في كل هذه الصعوبات نستطيع أن نتمتع بالنصرة في شخص الله الذي أحبنا.

هذا النوع من الألم الذي نتحدث عنه مرتبط بعملية التقديس. في مراحل النمو في حياتنا الداخلية، نختبر بعض الجوانب المؤلمة في شخصياتنا. فهناك أمور نود أن نتهرب منها أو ننكرها، فكلنا نريد أن نُظهر أفضل ما فينا، ونُقدم أنفسنا بصورة مضيئة. يعلن الروح القدس عن السلبيات التي في حياتنا، ونستطيع بقوته أن نقبل عمل الله فينا للتخلص منها. إذا هربنا من هذا التهذيب (يو ١٥)، أو التأديب (٢ كو: ١٢)، فإننا نحرم أنفسنا من إمكانية النضوج والإثمار.

قد يبدو الأمر شاقاً عندما يبدأ برنامج الله في التدريب والتطوير والنمو. فمشاعر السعادة تختفي، وقد يشعر الشخص بنوع من اللامبالاة، ثم يصاب بنوبات من التوتر، وعدم التركيز وعدم القدرة على الإصغاء. يبدو لهذا الشخص أن الله بعيد، وتصبح قراءة الكتاب المقدس والصلاة أمرين صعبين. قد يبدو له وكأنه يسير في وادي ظلال الموت. يبدأ المؤمن غير المؤسَّس على كلمة الله بالشعور باليأس والشك في أمر خلاصه. ويبدأ العالم بإغرائه من جديد، ولا يستطيع مقاومة الخطايا التي كان قد انتصر عليها من قبل. يبدأ في الشعور بالضعف والتقهقر، بينما الآخرين يتقدمون في حياتهم الروحية. ما لا تستطيع أن تراه هو أن الله يبدأ عملاً أعمق في حياتك. عندما تختفي كل المشاعر المبهجة في حياتك، تجد نفسك مضطراً للتمسك بالرب بالإيمان، وتحاول أن تعيش حياة مخلصة. تجد في نشيد الأنشاد لسليمان وصف رائع للعلاقة بينك وبين الرب يسوع، بدءاً من مشاعر فرح

العروس وهي تبحث عن عريسها، وانتهاءاً بلقاء العروس والعريس مرة أخرى واتحادهما معاً. كياننا الداخلي يتوق لأن يجد الله ويتحد به. إلا أننا لا نتحد به لدرجة ذوبان شخصياتنا. اتحادنا بالله يشبه اتحاد شخصين يربط بينهما الحب، لكن يحتفظ كل منهما بشخصيته. إلا أن شخصية الرب يسوع تنطبع فينا من خلال عمل الروح القدس في حياتنا. مهمة الروح القدس أن يقدسنا ويفرزنا ويبعد كل ما يمكن أن يعوق اتحادنا بالرب يسوع.

دور التقديس والهدف منه

منذ أن أصبحنا أبناء الله، أصبح لنا الحق في أن نكون في علاقة مع الآب من خلال العمل الذي قام به المسيح. إلا أنه يجب أن تكون تلك العلاقة واقع حي وحقيقي في حياتنا، وهذا لا يحدث في يوم وليلة. نحتاج أن ندرك أنه صراع يومي. إنه ليس صراعاً من أجل الحصول على الخلاص والتبني، لكنه صراع لرؤية بركات التبني واقعاً حياً في حياتنا، فنعيش بحسب خطة الله لنا. هذا هو دور التقديس والهدف من تحقيقه. إنه الخلاص المستمر الذي يشمل تجديد الذهن، التوبة والتصحيح اليومي. إن الهدف من عملية تقديس الذات هو تقديس المسيح في قلوبنا، لكي تتجلى قوة القيامة في حياتنا من خلال عملية الصلب اليومي، وهكذا نصبح أكثر تشبها بالرب يسوع.

لكي يشغل المسيح مجالاً أكبر في حياتي ينبغي أن أقلص مجال «الأنا» الجسدية. وهذا لا يمكن أن يحدث إلا عندما أعترف ببعض الأمور وأتخلص منها في حياتي. في البداية، في مرحلة الطفولة غير الناضجة، كنا نلاحظ عيوب الآخرين وننتقدها. لكن، مع نضوجنا، نرى عيوبنا ومواضع ضعفنا، فنتعامل مع الأخرين بلطف أكبر ونحاسب أنفسنا. أحياناً يختبر البعض هذا الصراع مما يجعلهم يشعرون باليأس، الذي قد يتحول إلى مرارة تجاه الله،

عندما يبدو وكأنه لا يسمع صلواتهم. إلا أن الحل يكمن في أن نتوقف عن التركيز على الذات، وبدلاً من ذلك نشكر الله على صلاحه، وخلاصه ومحبته ورحمته الغفورة والمتاحة لنا على الدوام. فهو يرفعنا مهما تصرفنا بحماقة. وهكذا كلما نضجنا، يزداد تركيزنا على حياتنا الداخلية، فتصبح حياة الصلاة والشركة مع الله أكثر أهمية. فلا نأتي إلى الله فقط في وقت الأزمات، لكننا نأتي إليه مدفوعين برغبة عميقة للشركة معه. وهكذا، نستطيع أن نرى الرب ليس فقط في العواصف والزلازل، لكن أيضا في الصوت الرؤوف (١ ملوك ١٩: ١١ –١٣).

في بداية حياتنا الروحية نتعامل مع الله كالأب المعتني الذي يسد كل احتياجاتنا ويهتم بكل ما يقلقنا. ثم ننمو لندخل مرحلة المراهقة لنرى فيها قوة كلمة الله التي بها نستطيع أن نغلب الشر. يتبع تلك المرحلة مرحلة الأبوة الروحية التي فيها ننبهر بذاك الذي كان منذ البدء(١ يو ٢: ١٤). يعلن الروح القدس عن الله أكثر وأكثر حتى نستطيع أن نراه ونحبه، ليس فقط لما يصنعه بل لشخصه. وهكذا نستطيع أن نرى وجهه، لا يديه فقط. هذا ما أدركته مريم بالمقارنة مع مرثا، عندما جلست عند قدمي يسوع للإصغاء إليه. لقد اختارت مريم النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها. لم تستمع لمجرد حديث للرب يسوع، لكنها تقابلت معه ورأته. هذا ما قاله الرب يسوع لنيقوديموس في يو(٣: ٣): «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ». لذلك نحن المولودين ولادة ثانية نستطيع أن نرى ملكوت الله، الذي أُعلن في المسيح والآن أصبح فينا. رؤية ملكوت الله تعني رؤية شخص الرب يسوع. «اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ» (عبرانيين ١٢: ١٤)، هذا معناه أن هؤلاء الذين تقدسوا، بإمكانهم رؤية الرب. عندما نطأ السماء ونختبر «القداسة الكاملة»، نستطيع أن نراه كما هو. نعم، في يوم ما، سيعلن الرب نفسه للجميع، لكننا الآن نستطيع أن نراه بعين الإيمان.

غرض مهم لحياة القداسة أن نتخلص من كل ما يعطلنا في حياتنا من رؤية الله. يقول الرسول يوحنا أننا يجب ألا نحب العالم: شهوة الجسد، شهوة العين، والتعجرف (١ يو ٢: ١٥ –١٧)، لأننا إن كنا نحب العالم، هذا معناه أننا لا نحب الله. إذا لم تكن فينا محبة الله، فلا يوجد ما يربطنا به وبالتالي لا نستطيع أن نراه.

مهمة القيادة

الجسد، الخطيئة والعالم يقومون بدور شيطاني في تعطيل المؤمنين عن طاعة الله ورؤيته والشركة معه. لذلك إذا أردت أن أطيع الله، وأراه وأكون في شركة معه، يجب أن أتعامل مع هذا الصراع بجدية. يقول يعقوب (٤: ٤–٥): «أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ للهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا للهِ. ٥أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ بَاطِلاً: الرُّوحُ الَّذِي حَلَّ فِينَا يَشْتَاقُ إِلَى الْحَسَدِ؟».

إن دور الروح القدس هو أن يساعدني ويقويني حتى لا يستطيع الجسد أن ينتصر بإبعادي عن المسيح. ولكي يستطيع أن يقوم بهذا الدور، يجب أن يزيل أولاً الأمور المدمِّرة في حياتي. أعمال الجسد تنتج موتاً (غل ٦: ٨). لكي نستطيع أن نتخلص من هذا الموت ونستمتع بحياة الله المتدفقة في قلوبنا، نحتاج أن نسمح للروح القدس أن ينزع كل الأمور المدمرة من حياتنا. كلما سمحنا للروح القدس أن يأخذ مجاله في حياتنا، كلما زاد اقترابنا للرب، وبالتالي نستطيع أن نسمع صوته ونراه بوضوح أكبر.

إن ما تتوق إليه نفوسنا وقلوبنا هو أن نعاين الله. تحدث أيوب عن هذا الأمر في أي (٤٢: ٥): "بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي". ثم

أكمل قائلا : «وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ. الَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي، وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ. إِلَى ذلِكَ تَتُوقُ كُلْيَتَايَ فِي جَوْفِي» (أي ١٩ :٢٦-٢٧).

كل مؤمن لديه تلك الرغبة بل ذلك التوق في قلبه، أن يرى الله، ويقدم له كل التعظيم والاجلال والعبادة. دور القيادة أن تساعد وتوجه هذه الرغبة، حتى ما يستطيع كل مؤمن أن يزداد اقترابا من يسوع.

النظر للحياة من منظور أبدي

عندما نصل للسماء سنستمتع بالله إلى الأبد، ولن نشبع من مجده وجماله. لقد رأى موسى مجد الله، لكنه لم يستطع أن يرى وجهه. لكننا سوف نستمتع به ونمجده ونعبده طوال الأبدية. لذلك يجب على القائد أن يتذكر هذه الحقيقة باستمرار رغم الضغوط والتحديات التي يواجهها. فنحن لا نعمل للأرض بل للسماء ! فحياتنا لن تنتهي عندما نموت، بل هي البداية الحقيقية. إذا فقدنا هذا المنظور الأبدي، سنشبه أهل العالم في الاهتمام بأمور ومكاسب العالم فقط. هذا يقودنا إلى طموح أناني، نزاع، حسد، فسق، طمع، عربدة، كراهية، مرارة واحباط. يصف الرسول بولس هذه الأمور بأنها أعمال الجسد في غلاطية ٥: ١٩ -٢١، إضافة إلى ذلك، أولئك الذين يعيشون هكذا لايستطيعون أن يرثوا ملكوت الله. هذه النوعية من الحياة مؤسسة على المكاسب التي أحصل عليها من العالم والظروف ولا يوجد أي بُعد أبدي في كل هذه الأمور.

عندما دعا الله ابراهيم، عاش غريبا في العالم (عب ١١: ٩- ١٠، ١٣-١٦). داود بكل مملكته وغناه وامتيازاته كملك، تكلم عن نفسه أنه غريب ونزيل. نحن غرباء في هذا العالم، لذا يجب أن نُعلِّم الأجيال الأصغر هذه الحقيقة.

نحن نريد أن نذهب إلى وطننا الأبدي ومعنا كثيرين، لذا يجب أن نكرز لمن حولنا لننجّيهم. يقول كاتب العبرانيين: «وَلكِنِ الآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيًّا»(عب ١١: ١٦).

نستطيع أن نفهم وضعنا في هذه الحياة، فقط إذا كان لنا هذا المنظور الأبدي. فالروح القدس يعمل فينا ويجهزنا للحياة الأبدية. الله يريد أن يباركنا، لكنه أيضا يريدنا أن لا ننساه. أحيانا يفضل بعض المؤمنين أن يعزلوا أنفسهم عن كل الأمور الأرضية، غير مدركين أن مسرة الرب في نجاح ورخاء خدامه. فبركة الله تنطبق على هذه الحياة وعلى الحياة الأبدية. لهذا السبب نحتاج أن نقدم هذا التعليم للمؤمنين عن الامتيازات التي لنا في المسيح. إلا أن هذه الامتيازات والبركات ليست أموراً نُصَّر عليها ونطالب بها مثلما يحدث في الشركات التجارية عندما يهددون بالاضراب عن الطعام، بل هي مواهب نعمة يقدمها الله بسخاء لأولاده الذين يتقدمون إليه في طاعة وإيمان.

في بعض الأحيان، تكمن المشكلة في إنشغال المؤمنين بالعطية ونسيان المعطي، منتهجين حياة سطحية ودنيوية. هذا ما حذر الله منه شعب إسرائيل في (تثنية ٨) عندما باركهم وحذرهم ألا ينسوه. الحل أن ننظر لعطايا الله من منظور أبدي. فالله يستطيع أن يبارك كل أبنائه بفيض. لقد كان لكل من ابراهيم، اسحق، يعقوب، يوسف، موسى وداود امتيازات خاصة، هي عبارة عن بركات من الله لكل منهم. لقد أدركوا أن هذه البركات الأرضية في حد ذاتها بلا قيمة، لكنها امتيازات ليستخدموها لتحقيق مشيئة الله. لم يتكلوا على هذه الامتيازات، ولم تدفعهم للشعور بالغرور والكبرياء، كما أنهم لم يرفضوا تلك الامتيازات. كانت كل ثقتهم في الرب، وكل تطلعاتهم للأمور السماوية، بغض النظر عن مقدار الامتيازات الأرضية التي كانوا يتمتعون بها.

التركيز على الأمور السماوية

كلما سرنا مع الرب، كلما ازداد لمعان ملكوته أمامنا وشعرنا وكأننا في السماء، ونفهم أن الله يقوم بعمل كبير لكي يتحول ملكوته إلى واقع بالنسبة لنا، حيث سنكون معه للأبد. فبدلاً من أن ننشغل بأمور أرضية، أو واجبات دينية، نركز كل اهتماماتنا على الأمور السماوية. يقول الرسول بولس في (٢ كو٤: ١٨): «وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ». هذا هو صراعنا مع الجسد. فالجسد يريد أن يوجه محبتنا لأمور أرضية مؤقتة، تشدنا إلى الأسفل، لأن العالم يمضي ومعه شهواته، لكن الروح يجعلنا نوجه محبتنا للرب، ولإرادته، وللأبدية، ولإدراك أن من يحقق مشيئة الله يثبت إلى الأبد. فملكوت السموات الذي هو أبدي ليس أمر مرتبط بالمستقبل فقط، ولكنه يُظهر مجد الله الآن وهنا. التمسك بالله والتركيز على الأمور السماوية سينتجان حياة مقدسة. فبلا شك أنت سوف تصبح شبيهاً بالأشخاص الذين تقضي وقتك معهم. من يطلب الرب يجده، ومن يجده لا يحتاج لأي شيء آخر. يقول آساف في مز (٧٣: ٢٥): «مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئًا فِي الأَرْضِ». ويعلن في عدد ٢٨: «أَمَّا أَنَا فَالاقْتِرَابُ إِلَى اللهِ حَسَنٌ لِي. جَعَلْتُ بِالسَّيِّدِ الرَّبِّ مَلْجَإِي، لأُخْبِرَ بِكُلِّ صَنَائِعِكَ.»

جميع الذين يعطون كل حياتهم واهتمامهم ومحبتهم للأمور الأرضية سيشعرون بالاحباط في نهاية حياتهم، لأن كل الأمور الأرضية ستنتهي وتزول. كما أنهم سيكتشفون أنهم غير مستعدين لدخول السماء. لهذا السبب يجب أن نفهم جيداً معنى أن نُصلب مع المسيح، ونصلب جسدنا بعيداً عن كل اغراءات وشهوات العالم (غل ٦: ١٤). هذا الصلب برغم صعوبته وألمه يأتي بثمار ونتائج مدهشة تبقى إلى الأبد. لذا، القائد في حياته الشخصية يجب أن يتعامل

مع كل هذه الأمور بجدية شديدة ويركز على حراثة حقل قلبه، وينزع الأعشاب الضارة وينتبه لأي هجوم من قوى خارجية. عندئذ سيرى الثمر المتكاثر، فيكون سبب بركة لكثيرين، ويكون مستعداً للحياة الأبدية. عندما لا نفهم هذه الأبعاد، تصبح الحياة المسيحية ضحلة، تختفي منها مسحة الروح القدس، يأخذ الجسد مجاله وهكذا يضيع الهدف.

كل النتائج المباركة لملكوت الله تبدأ بحياة شخصية قوية. اليوم، أكثر من أي وقت مضى نحن في حاجة لأن تأتي النهضة بين صفوف القادة الروحيين، لتمدهم بالشجاعة اللازمة للتخلص من كل ما هو سطحي ومنظور ودنيوي. فالقادة بحاجة للرجوع إلى المنبع الوحيد للحياة والقوة.

هيكل القيادة

• • • • • • الفصل التاسع

في المسيحية غالباً ما كان يجري خلاف على مسألة الهيكل التنظيمي للقيادة، وهذا ليس بغريب، إذ أن هذا الخلاف يرجع إلى السلطة والنفوذ، وكما سبق أن قلت أنّ السلطة قد تُفسد الإنسان. عندما نقرأ العهد الجديد نستطيع أن نكتشف أن التنظيم القيادي كان صارماً راسخاً، لكنه كان أيضاً مرناً. الصرامة تعني وجود حدود وقيود، أما المرونة فتسمح ببعض التعديلات، وتسمح أيضاً بتغييرات طفيفة في النماذج. يضع المتمسكون بالكتاب المقدس نظريتهم عن القيادة على أسس العهد الجديد. إلا أن نموذج القيادة قد يختلف في الشكل والمضمون. في الكنائس الأسقفية (حيث يتم التركيز على سلطة الأسقف)، المشيخية (حيث يتم التركيز على الشيوخ ومجلس الكنيسة)، الجامعية (حيث يتم التركيز على اشتراك كل أعضاء الكنيسة من خلال التصويت، واستقلالية كل عضو)، الكارزماتية (التركيز على قيادة الروح القدس في كل الأمور، وغالباً ما تولى أهمية ضئيلة للهياكل الخارجية).

هدف القيادة

كل مجموعة من هذه المجموعات لها مرجعيتها الكتابية، التي من خلالها تركز تركيزاً خاصاً على أمر معين. بالطبع، نتج عن هذا بعض الصراعات

والفوضى عبر تاريخ الكنيسة. لا يمكن أن نتناول هذه الخلافات في فصل واحد، لكني سأحاول أن أذكر بعض الجوانب عن كيفية تشكيل القيادات بهدف نشر ملكوت الله. إن هدف القيادة ليس التسلط على الناس، لكن تناول وإدارة أمور ملكوت الله بطريقة صحيحة وفعالة. إن الهيكل التنظيمي غير السليم للقيادة وتوجهاته الخاطئة، يخلق مشاكل قد تعوق العمل الذي يريد أن يتممه الله في الكنيسة. لذلك فهدف العدو هو أن يهاجم القيادات ليضعف ويعوق ويشوه ملكوت الله. إنه ليس كافياً أن نعلن أن الله هو كلي القدرة، ونعتقد أن كل صور القيادة قد تنجح طالما أن الله هو المتحكم في كل الأمور. علينا أن نتذكر أننا أعضاء في جسد المسيح وأن الله أعطانا الحرية المطلقة ونستطيع أن نعمل مع الرب. لذا، نحن مسؤولون عن التصرف بطريقة تمنع الأحداث من التطور بصورة خاطئة.

كلمة الله تتضمن إرشاداً وحرية

يتفق المؤمنون بالكتاب المقدس بأنه يمثل المرجعية في وضع الأسس للهيكل التنظيمي الخارجي، لكنهم قد يختلفون في أساليب التطبيق. من الواضح أن الكتاب المقدس يحوي الكثير، لكنه لا يتطرق دائماً إلى التفاصيل، حتى يفسح المجال لأن تضع كل كنيسة الهيكل التنظيمي الذي يناسبها. يتغير الهيكل التنظيمي طبقاً للحاجة، والزمن والبيئة. فالمرونة تسمح للكنيسة أن تكون أكثر فاعلية في مهمتها. وينبغي للقوالب التنظيمية أن تخدم أهداف الكنيسة. لذلك فليس الهدف أن نحافظ على القوالب الخارجية، لكن أن نغير الأنظمة طبقاً للمهمة. لكن في ذات الوقت علينا أن ندرك أن هناك بعض الهياكل التنظيمية في الكنيسة غير قابلة للتغيير لأنها مرتبطة بجوهر الكنيسة. لذلك فمن الطبيعي أن ينشأ نوع من التوتر ما بين ما هو ثابت وما هو مؤقت، كما أنه ليس من

السهل إدراك الحدود بين الإثنين. في كثير من الأحيان قد يرفض المتحفظون أي تغيير للشكل الخارجي على اعتباره أنه مقرر من الله. في بعض الأوقات، بسبب التمرد على كل ما هو قديم، ونتيجة عدم الصبر، يتجه الناس نحو كل ما هو جديد.

بدون شك، كل الأنماط المختلفة من القيادة تشمل أموراً جيدة. لكن في ذات الوقت نحن نعيش في عصر أصبح فيه كل شخص وكل شيء مقبولاً، ما عدا هؤلاء الذين يصرون على أنه هناك حق وباطل. يعيش الناس اليوم "بطريقة أفقية"، ولا يريدون أن يتعاملوا مع أي نوع من «التدرج القيادي». نحن نعيش في العصر الأنثوي الذي شهد تحرر المرأة، والذي يتساءل فيه البعض أنه لماذا يتحدث الكتاب عن الله بمفهوم الذكورة لا الأنوثة، بل ذهب البعض ليحاول أن يمحو ألقاب كتابية مثل "الرب"، "السيد"، "الملك" التي تعبر عن أن الله فوق الكل. إنها أفكار جامحة نتجت عن الديمقراطية! في حين يقول اللاهوتيون الدنيويون: "نحن جميعاً متساوون". في ظل هذه التيارات التي تجوب العالم، تعالوا بنا نرجع إلى أصول الكنيسة، إلى الوقت الذي فيه تأسست الوظائف القيادية في الكنيسة، والتي فيه اكتملت كتابة الكلمة المقدسة.

بعض نظم القيادة في العهد الجديد

من الواضح في كلمة الله، أن نظام القيادة هو نظام هرمي (متدرج). يقول الكتاب: "أطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابا، لكي يفعلوا ذلك بفرح، لا آنين، لأن هذا غير نافع لكم» (عب ١٣ :١٧). قد يبدو للشخص الدنيوي أن مثل هذا الكلام لا يتناسب مع الزمن، إلا أنه كلام مهم جداً وحقيقي.

بدأ نظام القيادة منذ بداية العهد الجديد كنتيجة لاحتياج مُلِحّ. فالنظم المختلفة عبر التاريخ استمدت شكلها من خلال تعاليم العهد الجديد.

نستطيع أن نرصد أربع مجموعات من القيادة في العهد الجديد:

١. تلاميذ المسيح الإثنا عشر.

٢. الخدام (الرسل، الأنبياء، المبشرون، الرعاة، المعلمون) الذي وصفهم الكتاب في أفسس ٤: ١١.

٣. الوظائف الثلاثة التي وصفها الكتاب في رسالتي تيموثاوس ورسالة تيطس (القسوس والشيوخ والأساقفة).

٤. إرسالية المؤمنين التي تحدث عنها الكتاب في (مرقس ١٦ :١٧-٢٠) والتي تحتاج إلى هيكل تنظيمي.

١- الرسل الإثنا عشر

تتكون المجموعة الأولى من الإثني عشر رسولاً. هم مجموعة متميزة، لهم خدمة رائدة قدموا من خلالها إعلانات عديدة وأسسوا الكنيسة ومهدوا الطريق. هؤلاء الرجال كانوا شهود عيان للرب يسوع طوال فترة خدمته على الأرض (لوقا 1:1-2؛ أعمال 1: 22-21). لقد رأوه مُقاماً من الأموات وهو الذي أرسلهم إلى العالم. كانت مهمتهم أن يخبروا الآخرين عن يسوع من خلال الوعظ والكتابة. ما كتبوه من وثائق أصبح العهد الجديد القانوني. كل سفر قانوني (أي معترف به من الكنيسة) كتبه إما رسول أو شخص كان يرافق الرسل. فعلى سبيل المثال، لوقا الذي كان يرافق بولس الرسول في رحلاته. كان يعرف بقية الرسل، وأجرى أحاديث عديدة معهم ومع غيرهم ومن ضمنهم مريم أم يسوع. لقد أشار الرسول بولس إلى هذا في أفسس 2 :20 عندما تحدث عن الكنيسة التي بنيت على أساس الرسل والأنبياء. كانت خدمتهم متميزة ولا يمكن تكرارها أو استبدالها، لكن

من الممكن أن نتمثل بهم في حياة الإيمان وأسلوب الخدمة. لقد وضع الرسل الأساس مرة واحدة وإلى الأبد. هذا الأساس هو الإيمان الذي أعطاه الله للقديسين بصفة نهائية (يهوذا ٣). إن هذا الأساس هو السبع والعشرين سفراً الذين يكوِّنون العهد الجديد. لا يوجد أي كتاب على ذات المستوى يمكن إضافته للعهد الجديد، لقد اكتمل الإعلان الإلهي في عصر الرسل. من المثير للاهتمام أن آباء الكنيسة الذين أتوا بعد عصر الرسل مباشرة لم يَدَّعوا أنهم تسلّموا إعلانات جديدة قابلة للتدوين. بل أعلنو أنفسهم معلّمين ومفسرين للكتب المقدسة التي كانت موجودة أصلاً. لقد تعلموا من كتابات الرسل وكانوا يرجعون دائماً إليها خاضعين لسلطانها. حذر أغسطينوس الذي يُعتبر من آباء الكنيسة من أن توضع كتاباته في ذات المقام الخاص بأسفار العهد الجديد. لقد أقر آباء الكنيسة بأنهم استمدوا كتاباتهم من العهد الجديد، وأن خضوعهم لسلطان الكلمة كان أمراً حتمياً غير قابل للجدل.

٢- مواهب الخدمة المذكورة في رسالة أفسس

المجموعة الثانية من القيادات هم هؤلاء الذين يتمتعون بمواهب الخدمة التي أشار إليها الكتاب في رسالة أفسس 4 :13-8، حيث تحدث الرسول بولس عن هذه الخدمات باعتبارها مواهب من الله لنا. هنا يذكر الرسول بولس: الرسل، الأنبياء، المبشرين، رعاة والمعلمين.

الرسل

تشير كلمة «الرسل» بالطبع إلى الرسل الأوائل، لكن من الممكن أن نتمعن في تلك الكلمة من منظور أوسع. ما يجري الحديث عنه هنا هو خدمة رسولية مستمرة في جسد المسيح، تستمر طالما أن الكنيسة مستمرة. عندما يتعلق الأمر بوضع أساس الكنيسة، واكتمال الوحي، فنحن نتحدث هنا عن خدمة واضحة

لرسل المسيح الإثني عشر، وهذه الخدمة قد تمت وانتهت. لكننا نرى أنه في العهد الجديد هناك من هم ليسوا من الإثني عشر لكنهم دُعوا رسلاً، فالكتاب يذكر لنا أن برنابا وغيره كانوا رسلاً. إن هذه الخدمة الرسولية كانت خدمة رائدة. كل الرسل كانوا مرسلين، لكن ليس كل المرسلين رسل. إن الخدمة الرسولية تشمل مسحة متعددة الأوجه، تستطيع أن تعطي الرسول شجاعة يستطيع بها أن يؤسس ويبني كنائس ويرسل آخرين للخدمة. إنه يؤثر تأثيراً واسعاً يشمل أمماً ومدناً، ولا يكون تأثيره مقتصراً على منطقة صغيرة. إن هذه الخدمة تشمل رؤى، تعليم، رعاية، بناء. إن كنا نرى في بولس مثالاً لهذه الخدمة من خلال إرسالية شاملة، فإننا نرى في بطرس مثالاً للراعي المخلص الذي يطعم ويحمي الخراف.

النبي

الخدمة الثانية هي خدمة النبي. إنها خدمة خاصة تهتم بالإرشاد، المواساة، رفع المعنويات، النصح والتحذير. هذه الخدمة تعمل في توافق مع إحدى الخدمات الأخرى. إنها خدمة من جانب واحد، لكنها ضرورية بالنسبة للكنيسة لكي تحفظ النظام والترتيب داخلها. إنها تكشف الخطيئة والنكران، وتحفظ النار متأججة، وتشير إلى أحداث مستقبلية ودروب مقبلة.

المبشر

الخدمة الثالثة هي خدمة المبشر، وهى أيضاً خدمة خاصة، لكنها تختلف تماماً عن خدمة الأنبياء. إن قلب المبشر يكون متجهاً نحو الضالّين، ونراه دائماً ينجذب إليهم. رسالته بسيطة واضحة لكنها في غاية الأهمية. من خلاله تأتي المسحة التي تجذب غير المؤمنين إلى صليب المسيح وتجعلهم يتوبون بشكل عجيب. غالباً ما تُصطحب رسالته بالآيات والعجائب ومعجزات الشفاء.

الراعي

الخدمة الرابعة هي خدمة الراعي. إنها خدمة في غاية الأهمية ولها خصائص عامة لكنها تعمل في إطار محلي. إنها الخدمة الوحيدة من بين الخدمات الخمس التي تعمل منذ البدء في الكنيسة المحلية. كل الخدمات الأخرى تبدأ من الكنيسة المحلية ثم تنطلق منها لتصل إلى آفاق أوسع قد تمتد لتشمل كل العالم. في هذا السياق أود أن أذكر أنه حتى لو كانت الخدمة "كبيرة" في مظهرها الخارجي ينبغي أن يكون لها قاعدة في كنيسة محلية حيث تجد الدعم والنمو.العيش في مكتب لوحدك مع بعض العاملين ليس مشيئة الله، وقد يخلق ذلك عدم اتزان في الخدمة.

الراعي يتمتع بقلب كبير ومحب. فهو يتعاطف مع الخراف بطريقة فريدة، ويبذل لهم حياته. إن مهمته أن يقود، يطعم، ويحمي الخراف. إن ذات العصا التي يستخدمها الراعي لتوجيه الخراف إلى المراعي الخضراء، يستخدمها أيضاً كسلاح ضد الذئاب التي تأتي وتحاول أن تخطف وتقتل الخراف. يميل الراعي إلى تجنب الصراعات، فهو ليس محارب كالرسل والأنبياء، لكنه إن لم يقف ويحارب لأجل كنيسته، سيأتي الشيطان ويدمرها. إن محبته للخراف واضحة، ولهذا فمن خلال خدمته يوحِّد أعضاء الكنيسة معاً. يتصف الراعي بالأمانة، وهو مستعد لأن يخدم الكنيسة كل أيام حياته. إن هؤلاء الرعاة الذين يتنقلون من كنيسة لأخرى، معتبرين الكنيسة عبارة عن مكان لممارسة مهنتهم يبدون سلوكاً مناقضاً لتعاليم الكتاب المقدس.

المعلم

الخدمة الخامسة هي خدمة المعلم. من السهل أن نربط بين خدمة المعلم وخدمة الراعي، فكلاهما قد يقدم التعليم، إلا أن خدمة المعلم لها طابع خاص.

فالمعلم لديه مهمة خاصة، وهي توضيح وتبسيط الأمور الغير مفهومة. فهو يتمتع بالقدرة على تقديم الإعلانات الروحية والتعاليم بطريقة مبسطة وسهلة الاستيعاب. كما أن لديه القدرة على التحليل الموضوعي للكلمة والاندماج مع الأنبياء والمبشرين في عمل متكامل. إن وظيفة المعلم ضرورية جداً في الكنائس التي لها اتجاه كاريزماتي، حيث أنه من السهل على أعضائها أن يتأثروا بكل ريح تعليم ويتوهوا في أوهام. فغالباً ما تعتمد مثل هذه الكنائس على اختبارات عاطفية، وتفسيرات خاصة لكلمة الله. وهنا يبرز دور المعلم الذي يصحح كل هذه الأخطاء أو المبالغات.

هذا يأتي بنا إلى موضوع هام، ألا وهو من الذي يستطيع بل ويجب أن يفسر الكلمة؟ لقد أسفرت الإصلاحات عن ترجمة الكتاب المقدس إلى لغات عديدة، حيث أصبحت كلمة الله في متناول كل شخص بلغته. لقد آمن لوثر وبعض المصلحين بمبدأ كهنوت جميع المؤمنين، وكانوا ينادون بأن كل شخص يستطيع أن يقرأ كلمة الله ويفهمها ثم يسير طبقاً لما فهمه. كذلك كانوا ينادون بأن الروح القدس يرشد ويعلم المؤمن من خلال الصلاة وقراءة الكلمة والتأمل فيها. هذا صحيح لكنه غير كافي. إن مثل هذا التفكير، الذي كان رد فعل للمنطق الكاثوليكي الذي كان ينادي بأن قراءة الكلمة وتفسيرها هي مسؤولية الكهنة وحدهم، أدى إلى المبالغة في الاستقلالية.

بعد عصر الإصلاح أتى عصر التنوير، الذي ركز على فكر الفرد ووجهة نظره الإيجابية، حيث كان يُفترض أن الشخص يستطيع أن يفهم كل شيء بنفسه بدون الحاجة إلى مساعدة الله أو الإعلانات الإلهية. اعتقد البعض أن العناصر المعجزية هي نوع من الخرافات. وهكذا عندما حدث ربط بين الفردية والعقلانية، ظهرت بعض المشكلات في العديد من الكنائس البروتستانتية، خصوصاً بين هؤلاء الذين يتبنون الفكر اللاهوتي المتحرر، والذين ينتقدون الكتاب المقدس

ويقدمون أفكاراً دنيوية في وعظهم، الأمر الذي جعل بعض الكنائس نوادي اجتماعية.

بلا شك ظهرت بعض العيوب في عصر الإصلاح، تلك العيوب التي يتردد في ذكرها البروتستانت. مثل هذه المشكلات ظهرت أيضاً في النهضة الإصلاحية للكنائس الخمسينية الكاريزماتية. تمسك هؤلاء المصلحين بذلك المبدأ، الذي يتبنى فكرة «الكتاب المقدس فقط»، أي أن كلمة الله وحدها لها السلطان في الحياة والتعليم، ولا تعلو فوقها تقاليد الكنيسة أو أي فكر بشري. بلا شك كل شخص يوافق على هذا المبدأ. المشكلة تكمن في أنه بالرغم من هذه البداية الجميلة، إلا أن البعض بدأ يتوصل إلى استنتاجات مختلفة. فالعالم الغربي الدنيوي مولع بالفردية، ويتمتع أفراده بالفكر الناقد، ولهذا اعتقد الكثيرون أن الفرد هو الذي يقرر تفسير الكلمة لنفسه وما ينبغي أن يؤمن به ويسلك فيه. ليس هذا ما دار في ذهن المصلحين عندما وضعوا فكرة «الكتاب المقدس فقط». لهذا فمن السهل أن يغلب علينا الشك وعدم الموضوعية، وندخل في دائرة الفوضى الروحية، وعدم احترام النظام والسلطة. وهكذا يصبح كل شخص صاحب السلطة على نفسه. إن هذا الوضع ليس مطابقاً للكتاب المقدس أو إصلاحياً. في وقتنا المعاصر، أعرض الناس الذين يعيشون في الدوائر الكاريزماتية عن كل أنواع القيادة، في كل المجالات حتى في مجال التعليم الكتابي. كنتيجة لهذا أصبح هناك رفض لوجود وظيفة معلم في الكنيسة في كل من حركات الكنائس المتحررة، والحركة الكاريزماتية.

في مرحلة من مراحل الحركة الكاريزماتية كان هناك تركيز على المواهب الروحية التي نحن في حاجة ماسة إليها وإلى عمل كل عضو في الجسد. المشكلة أن هناك بعض الناس ركزوا عليها بشدة، حتى أنها أصبحت تتنافى مع مبدأ القيادة. وأصبح كل شخص قائداً، وهكذا أصبح «عدد المدراء أكبر من عدد

الموظفين». أستطيع أن أقول أنه من خلال متابعتي للتاريخ فإن ما حدث كان نتيجة لسأم الناس من واقع قيام الرعاة بكل الأعمال، وبقاء الآخرين من دون عمل. إننا نستطيع أن نفهم رد الفعل هذا. فقد حدث ذلك نتيجة لسوء فهم الرعاة لدورهم في الخدمة، لكن من جانب آخر كان هناك أيضاً سوء فهم من المؤمنين لدورهم في الخدمة. إن تغيير بعض الأمور، والعمل على تحريك المؤمنين، لا يعني أننا نمحي كل أنماط القيادة، لأن زوال القيادة يؤدي إلى انعدام السلطة الروحية.

إن هذا يقودنا إلى عدة أسئلة: من الذي يمتلك الحق في تفسير الكلمة؟ من الذي له المسحة والقدرة على القيام بهذا الدور؟ إن المسحة التي أقصدها هنا هي الروح القدس الذي حل على الرب يسوع، روح الحكمة والفهم الذي تحدث عنه إشعياء في (إشعياء 11 :2). حل الروح القدس على الرب يسوع، وقد وعد الأخير بأنه سيحل على الرسل وسوف يعلمهم كل شيء ويذكرهم بكل ما قاله لهم (يو ١٤ :٢٦). كما أنه سوف يخبرهم بأمور آتية (يو ١٦ :١٣). إن مسحة الروح هذه التي حلَّت على التلاميذ في يوم الخمسين، حلَّت على جميع المؤمنين. نرى في كلمة الله أن الرسل نقلوا تلك المسحة لأتباعهم عندما كانوا يضعون عليهم الأيادي. على سبيل المثال بولس مع تيموثاوس (٢تي ١ : ٦–٧). السؤال هو هل يوجد أي تمييز هنا؟ أنا أؤمن أنه يوجد تمييز. لكل منا مواهب ووظائف مختلفة في الجسد، وكل منا عليه أن يخدم بحسب النعمة التي أخذها من الرب يسوع (أف ٤ :١٦). في الوقت الذي تأخذ فيه الخدمة الفردية أهميه قصوى، توضع مسألة المناصب الروحية جانباً. البعض لا يريد حتى استخدام كلمة «منصب»، بل يستعينون باسم الوظائف الكنسية، لكن هذه نظرة سطحية للوظائف الكنسية الكتابية. ففي الواقع هناك مناصب ذات وظائف خاصة بها.

إن كانت هناك مناصب كنسية وخدمات وأدوار مختلفة، فستكون هناك أيضاً نعمة ومسحة خاصة لتأدية المهام اللازمة. إن المعلم وأصحاب باقي المواهب والمناصب الكنسية يمتلكون شيئاً لا يمتلكه كل المؤمنين، حيث يجب استخدام ذلك لخدمة الجسد بأكمله. المعلم له القدرة على شرح كلمة الله، حتى تستطيع الكنيسة التمييز بين الخطأ والصواب، وما هو فعال وما هو غير فعال. كل المؤمنين لهم القدرة على قراءة وفهم الكلمة، لكن ليس كل المؤمنين مدعوون ليقدموا كلمة الوعظ، وشرح كلمة الله. «يا إخوتي، لا تتسابقوا كي تجعلوا أنفسكم معلمين لغيركم فتزيدوا عدد المعلمين !واذكروا أننا، نحن المعلمين، سوف نحاسب حسابا أقسى من غيرنا» (يعقوب ٣ :١ ترجمة كتاب الحياة). لا أجد وضوح أكثر من هذا بخصوص ذلك الموضوع. لكن تعالوا بنا نقرأ ما قاله يوحنا في (١يو ٢ :٢٧) واضعين في اعتبارنا أن الكتاب المقدس لا يمكن أن يناقض نفسه: «أما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حق وليست كذبا». هنا نرى أمرين مختلفتين: الحاجة للتعليم من خلال خدمة المعلم، وامتياز سماع صوت الله شخصياً. نستطيع أن نفهم هذا الأمر بوضوح أكثر عندما ندرس المجموعة الرابعة من القيادة، خدمة المؤمنين.

٣- المناصب الثلاث

المجموعة الثالثة من القيادات التي عرفناها على مر التاريخ هي:

الأسقف / قائد الكنيسة

الكاهن/ الشيخ

الشماس / خادم الكنيسة.

الأسقف – قائد الكنيسة

الكلمة المستخدمة الني تعني الأسقف / قائد الكنيسة هي كلمة (EPISKOPOS)، ووردت في (1تيموثاوس 3 :2-1)، وهي كلمة مكونة من مقطعين **"epi"** و**"skopeo"** وتعني "الإشراف"، "المتابعة"، "التفقد". إنها خدمة لها رؤيا خاصة، وتشمل رؤية ما يريد الرب أن يعلنه، كما تهتم بحالة الكنائس. إنها خدمة قيادية في الكنيسة لمراقبة الرعية، وقد كانت منذ البدء خدمة رعوية محلية، لكنها تطورت لتكون خدمة إشراف على عدد أكبر من الكنائس ترتبط معاً وتنتمي إلى كنيسة واحدة رئيسية.

يشير الكتاب في أف 4 :11 إلى "الراعي" كأحد مواهب الخدمة. والكلمة اليونانية **"poimaino"** التي استخدمت هنا استخدمت أيضاً في أعمال 20 :18: "احترسوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة (EPISKOPOS) لترعو**"poimaino"** كنيسة الله **(ekklesia)** التي اقتناها بدمه». هنا نرى أن دور الراعي والأسقف اتحدا معاً في وظيفة واحدة وشخص واحد.

لذا فإن خدمة الأسقف هي خدمة رعوية دخلت الكنيسة كمنصب في عهد الرسل. عندما أعاد الرب يسوع تثبيت بطرس دعاه لعمل رسولي رعوي (يو ٢١ :١٥-١٧)، فيقول له «ارعَ **"poimaino"** خرافي" (آية ١٦)، كان بطرس رسولاً، لذلك فهو راعي، وكرسول كان عليه أن يعيّن -كما فعل بولس- رعاة، أُطلق عليهم "أساقفة". في المخطوطات القديمة نجد أن الرسل كانوا يعينون أساقفة كانوا رعاة في كنائس محلية. لم يُطلق على هؤلاء "رسلاً" بل "أساقفة"، قادة الكنيسة. كانوا يرأسون الكنيسة وسرعان ما حصلوا على مراكز ذات نفوذ. في سنة ١٠٠ ميلادية كتب اغناطيوس أسقف أنطاكية قبل أن يستشهد في روما رسائلاً إلى كنائس مختلفة أكد فيها على العمل القيادي للأسقف في

الكنيسة، وتحدث عن ثلاثة مناصب متفرقة في الكنيسة وهي الكهنة، الشيوخ والشمامسة. لذا فإن هذه الوظائف لم تظهر في السنوات الأخيرة فقط، لكنها كانت موجودة أساساً في تعاليم العهد الجديد، وطُبقت في العصور الأولى للمسيحية، مباشرة بعد عصر الرسل الذين أسسوا الكنيسة.

الشيوخ

الخدمة الثانية هي خدمة الشيوخ. هؤلاء الشيوخ هم رعاة: «وَهَذِهِ وَصِيَّتِي إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، بِصِفَتِي شَيْخاً رَفِيقاً لَهُمْ، وَشَاهِداً لِآلاَمِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكاً فِي الْمَجْدِ الَّذِي سَيَتَجَلَّى: ارْعَوْا قَطِيعَ اللهِ الَّذِي بَيْنَكُمْ، كَحُرَّاسٍ لَهُ، لاَ بِدَافِعِ الْوَاجِبِ، بَلْ بِدَافِعِ التَّطَوُّعِ، كَمَا يُرِيدُ اللهُ، وَلاَ رَغْبَةً فِي الرِّبْحِ الدَّنِيءِ، بَلْ رَغْبَةً فِي الْخِدْمَةِ بِنَشَاطٍ.» (١بطرس ٥ :١-٢). في البداية لم تكن هناك حدود واضحة لهذه الخدمة. كان الرسل يعطون إرشادات، لكن بعد عهد الرسل أصبحت الخدمات أكثر وضوحاً، وأصبح الشيوخ يعاونون الأساقفة. كانت مهمة الشيوخ هي الوعظ والتعليم. «أما الشيوخ المدبرون حسنا فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم» (١تي ٥ :١٧). في رسالة تيموثاوس لم يكن للشيوخ مركزاً قوياً مثل مركز الأساقفة، لكن كان دورهم يتعلق أساساً في مساعدة الأسقف والوعظ وبعض الأمور الإدارية.

الشمامسة – خدام الكنيسة

الخدمة الثالثة هي خدمة الشمامسة (1تي 3 :13-8). تحدث بولس عن هذه الخدمة، وهي المرة الوحيدة التي يذكر فيها أنها خدمة يشترك فيها الرجال والنساء. عندما تحدث عن الخدمتين السابقتين كان يتحدث عن خدمة مقتصرة على الرجال (1تي 3 :2 ؛ تيطس 1 :6). الشماس هو

خادم (مدبر) الكنيسة، له بعض المهام الروحية والعملية، وله مكانته ومسؤولياته في الكنيسة «لأن الذين تشمسوا حسنا يقتنون لأنفسهم درجة حسنة وثقة كثيرة في الإيمان الذي بالمسيح يسوع» (اتي ٣ :١٣). إن خدمة الشماس تنظر إلى الأمور بالتفصيل، وتتعلق أيضاً بالأعمال الخيرية.

هذه الخدمات الثلاثة هي خدمات محلية في تعاليم العهد الجديد وهدفها أن توفي كل احتياجات الكنيسة المحلية، وكل ما يربط الكنيسة بالكنائس الأخرى وبالمجتمع.

اكتشاف الوظائف الكتابية

اسمحوا لي بأن أعلق على ما سبق وذكرته. لقد استخدمتُ تلك التسميات والألقاب عن قصد، لأنها هي التي استُخدمت في العهد الجديد، وكذلك لأنها موضع خلاف لدى البعض. فبعض الكنائس تستخدم كلمة «الأسقف» والبعض الآخر يفضل كلمة «شيخ». إلا أن استخدامنا لأسماء معينة ليس معناه بالضرورة أننا نتبع التعليم الكتابي الصحيح، كما أن تجنبنا استخدام هذه الكلمات لا يوحي بأننا أصبحنا أكثر التصاقاً بكلمة الله. من العجيب أن هناك مقاومة شديدة لاستخدام لقب «أسقف» في الكنائس المتحررة في السويد، بينما تركز الكنائس الخمسينية والمعمدانية في بعض الدول على استخدام هذا اللقب. على كل الأحوال هذا اللقب استُخدم في كلمة الله وهو أكثر شيوعاً من كلمة «ناظر». نحتاج أن نتعمق في هذا الأمر ونذهب أبعد من الدراسة التاريخية أو الانفعالات العاطفية، ونكتشف ما هي الوظائف الكتابية لهذه الألقاب. نحن لا نستطيع أن تستغني عنها ببساطة. يمكننا أن نلاحظ أن وظائف الأسقف والراعي والشيخ غالباً ما تكون متداخلة. المهم تنفيذ المهام التي وضعها الكتاب وأن يكون الشخص القائم بها أميناً في حياته وأميناً في الإعلان الكتابي الذي يحمله.

إن الله يريد هذه الخدمات في كنيسته، لكنني أعتقد أنه هناك مرونة في الشكل الذي تتخذه عبر التاريخ. في هذا الإطار نجد أن بعض الطوائف المسيحية القديمة متجمدة في فكرها، وتفتخر بأنها متحفظة. إلا أنه في ذات الوقت، قد نجد أن للحركات الجديدة ردود فعل سطحية، تنم عن كبرياء في تفكيرها.

هناك البعض الذين يحاولون جاهدين أن يكتشفوا النموذج الوحيد للقيادة، ويعتقدون أنه إذا ما أخذ هذا النموذج مكانه، ستحدث النهضة بصورة تلقائية. قد يمازح البعض بشأن زي الأسقف الذي يرتدي غطاء رأس غير مألوف، ويتدلى على صدره صليب ذهبي كبير، ويرتدي ثوبه المميز، ويلف حول خاصرته حزاماً أحمر اللون. لكن، كونه يحمل صليباً ذهبياً كبيراً على صدره هذا ليس معناه أنه لا يحمل صليباً آخر في قلبه! من جانب آخر، الراعي العصري الذي يرتدي ملابس أنيقة ليس بالضرورة أن يكون أكثر روحانية، فالأمر يتعلق بما في القلب. إن كان القلب نقياً، فالرب سيهتم بباقي الأمور، وسيدرك الشخص المتضع أن الله يعمل عبر التاريخ منذ القدم، قبل أن نوجد. ما يخيف هو أولئك القادة الروحيون الذين سواءً كانوا بملابس كنسية أو ملابس عادية، يستغلون مراكزهم ونفوذهم، وينكرون كلمة الله ويتحدثون عن أمور كاذبة. هؤلاء أخطر من المدمنين على المخدرات حتى، لأنهم يزيفون الإنجيل ويقفون حائلاً في طريق خلاص الناس. إن أولئك القادة الذين يستغلون مراكزهم الدينية لنشر «تعاليمهم الكاذبة»، وأحياناً يقاومون بشدة الإيمان المبني على كلمة الله، والنهضة المسيحية، هم في خطر أن يفقدوا حياتهم الأبدية. هذا ما عدا النشاط الذي يبدوه في عرقلة خلاص الآخرين.

هذه الخدمات الثلاث التى ذكرتها باختصار، هي خدمات روحية في الكنيسة المحلية. في الأيام الأولى للمسيحية، كانت هناك كنيسة واحدة في كل مدينة، لكن الأمر اختلف تماماً في أيامنا هذه. في بعض الأحيان تصبح الكنيسة

ضخمة ويكون لديها سلطان روحي بل وتأثير على كل المنطقة المحيطة بها. في مثل هذه الأحوال قد يكون للأسقف مسؤولية روحية ومحلية في المنطقة برمتها. في مدينتنا، هناك كنائس كثيرة على مختلف الأشكال والأحجام. إن النزعة الفردية السائدة في العالم الغربي، أدت إلى أن تكون هناك أيضاً قناعة لدى الكنائس الصغيرة بأن ترفض الاعتماد على كنائس أخرى، فالناس يخشون من الوقوع تحت سيطرة الآخرين واستغلالهم. بالطبع، هناك حالات استغلال، لكن هذا الخوف يشبه ذلك الخوف الذي يبديه مؤمنون منفردون عندما لا يرغبون في الخضوع للكنيسة. إن كنت خائفاً من أن يستخدمك الآخرين على نحو خاطئ، ففي النهاية قد لا تُستخدم بأي شكل من الأشكال.

الشبكة الرسولية

انتشرت الشبكة الرسولية في كل العالم لتحل محل «الفئة المنحصرة بمكان ما». بدأت الخدمة الرسولية باستعادة قوتها عندما أدركت الكنائس أنها لا تستطيع أن تحيا في عزلة، لأن هذا سيصيبها بالضعف والوهن. إن شعب الله بمنأى عن ذلك. هذا ليس معناه أن المرسلين سوف يجوبون العالم ويبدؤون في تأسيس كنائس أو توحيد الكنائس معاً. لكن هناك بعض المبادرات الرسولية، التي ارتبطت بها بعض الكنائس. إنه ليس مسألة نشاط مشترك، أو دعم مادي، لكنه انفتاح يسمح لهذه الشبكة الرسولية أن توجه رسالتها للرعاة والمؤمنين. إنها مسؤولة عن تقديم التشجيع، الدعم، التعليم، المتابعة لهم والاهتمام بهم. إن هذه العلاقات ستكون أقوى من الولاء للعقائد التقليدية، وفي المستقبل ستزدهر من خلال تأسيس كنائس والامتداد على بعد أكبر.

خدمة المؤمن

المجموعة الرابعة من القيادة تتعلق بالمؤمن وخدمته. في مرقس 16 : 17– 20 يتحدث الرب يسوع عن المؤمنين الذين سينطلقون لنشر البشارة، قائلاً أن هذه الآيات تتبع المؤمنين. من المهم أن نفهم مكانة المؤمن. إن مواهب الخدمة التي أعطاها الله للجسد تستطيع أن تؤهل المؤمن للقيام بالخدمة لبنيان جسد المسيح (أف ٤ :١٢)، لذلك فالتركيز ليس على مواهب الخدمة، بل على أولئك الذين يَعمَرون بتلك المواهب، أي المؤمنون. عندما يتحول المؤمن من مجرد شخص خامل «مستهلك» إلى شخص نشيط «منتج»، سنكون قادرين على تحقيق الإرسالية العظمى. وعندما يتدرب المؤمنون على الإصغاء إلى الروح القدس والاسترشاد به، يستطيعون أن يصلوا إلى العالم أجمع. إن مهمة القيادة ليست تأمين الوصول فقط، بل مساعدة المؤمنين على القيام بهذا الدور. إن المؤمنين هم هؤلاء الأشخاص الذي ينبغي أن يشهدوا للرب يسوع، يصلّوا لأجل المرضى، ويمارسوا مواهب الروح القدس التي تتفاعل مع احتياجات الناس. والقادة هم الذين يدربون المؤمنين على هذه الأمور. إن انغلاق القادة الروحيين على أنفسهم، وانحصار هدفهم في تقديم الخدمات لدائرتهم، سيؤدي إلى التقصير في تلبية الطلبات الحقيقية للناس.

لا ينبغي أن يترك أعضاء الكنيسة كل الأمور على الراعي أو «الواعظ المتمكن»، بل عليهم أن يشتركوا بإيجابية ويأخذوا دورهم، ويسمحوا لأنفسهم بأن يتدربوا وأن يخرجوا خارج حدود الكنيسة كارزين بالرب يسوع، مُقادين بروح الله. نحن في حاجة في أيامنا هذه إلى نهضة لتحريك جسد المسيح. إن هذا يحتاج إلى «ثورة لتغيير أسلوب التفكير» الأمر الذي يستدعي تغيير أسلوب تفكيرنا تغييراً جذرياً. إن المؤمن العادي يستطيع أن يصل إلى أشخاص لا يمكن أن يصل إليهم الراعي أو الواعظ. على كل الكنيسة أن تشترك معاً كجيش واحد،

حيث يكون كل شخص فيه ملتزم ويعرف ويفهم دوره بالتحديد. في هذا الجيش يكون القادة مثل الضباط الذين يعرفون كيف يعطون الأوامر، يدربون الشعب، ويتابعونهم، ويتأكدون أن الأمور تسير وفقاً للمهمة التي وضعها أمامنا الرب يسوع، بأن نبشر العالم أجمع. إن الكنائس التي لها مثل هذا الإدراك، والوحدة والالتزام في عملها، سوف تنمو بلا شك. إن هذا بالطبع سوف يجعل الكنيسة قاعدة لانطلاق النهضة. في مثل هذا الجو، لم يعد العمل يتم بواسطة مبشرين، بل من خلال مؤمنين مدربين امتلأت قلوبهم بالمحبة. هؤلاء يستطيعون أن يصلوا إلى أماكن لا يتخيلها فكر.

أحد المفاتيح هنا هو مجموعات الكرازة المنزلية، التي من خلالها يكسب المؤمنون أصدقاءهم. إن دعم هذه المجموعات سيجعل الكنيسة أكثر قوة وفعالية. من خلال هذه المجموعات يستطيع المؤمنون أن يكرزوا ويدربوا آخرين من خلال مواهب وعمل الروح القدس. لذلك فمن المهم أن يكون في الكنائس المحلية قيادات علمانية (التسمية التي أحاول أن أتجنبها باستمرار). هذه القيادات تستطيع أن تساهم بطريقة فعالة في نمو الكنيسة من خلال المجموعات الصغيرة. إن مثل هذا النوع من القيادة أمر ضروري وأساسي، فيه يتدرب الناس على الكرازة، ويكرزون ويقودون الناس إلى حياة الإيمان، ويتابعون حياة المؤمنين الجدد، حتى ينضجوا روحياً ويصبحوا تلاميذاً، وهؤلاء الذين تتلمذوا يبدؤون في ربح آخرين للمسيح، وهكذا تحدث عملية التكاثر.

هناك مسحة من الرب يسوع لكل المؤمنين. لقد كان الرب يسوع رسولاً، نبياً، مبشراً، راعياً ومعلماً. إن المسحة التي كانت عليه انتقلت لتمسح الخدام، وأصحاب المناصب الروحية وكل المؤمنين الذين هم جسده. كل مؤمن يسكن في قلبه المسيح، وكل مؤمن فيه الروح القدس، وبالتالي فإن كل مؤمن هو مُرسَل، وكل مؤمن يستطيع أن يتنبأ، وينبغي أن يبشر، ويستطيع أن يهتم بالرعية

ويرعى إخوته، ويستطيع أن يعلم الآخرين ويبنيهم. كون أن الرب أرسلك، هذا ليس معناه أنك أصبحت رسولاً. كونك تستطيع أن تتنبأ هذا ليس معناه أنك نبي، لكن قد يمارس كل مؤمن بعضاً من هذه الخدمات في أوقات مختلفة في حياته. إن المناصب الروحية مسؤولة عن توزيع الخدمات المتعددة بحسب تخصص كل شخص. ليس لكل مؤمن موهبة الكرازة، لكن كل مؤمن يستطيع أن يشهد عن الرب يسوع ويربح النفوس للمسيح مثله مثل المبشر.

إن الوظائف الروحية من الممكن أن تنمّي هذه المواهب في المؤمنين وتجعلهم أكثر فعالية. هذا ما فعله الرب يسوع مع تلاميذه فاختبروا بعمق معنى عمل الروح القدس في حياتهم. لهذا فنحن في حاجة إلى معلمين. في ذات الوقت نحن ندرك أن الكل ليسوا بمعلمين. من جانب آخر نجد أن الكتاب يذكرنا بالقول: «وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حق وليست كذباً. كما علمتكم تثبتون فيه» (١يو ٢ :٢٧). هنا نجد أنفسنا أمام أمرين مختلفين. فبالنسبة للعقائد والتعليم الكتابي، أقام الرب قادة ممسوحين ليقوموا بدور المعلم. أما بالنسبة لحياتنا الشخصية مع الرب يسوع، فهناك مسحة بها نستطيع أن نختبر قيادة روح الله. لدينا رعاة يراقبوننا حتى لا نتوه ونفقد اتجاهنا، لكي يساعدوننا لنتحد معاً في أداء مهمتنا بكفاءة، مبشرين العالم أجمع بالرب يسوع.

عندما يكتشف كل منا مكانه، ولا نتنافس على المراكز، عندئذ سيتكون ويتأهل الجيش الذي تحدث عنه يؤئيل النبي (يؤ ٢). سيقوم هذا الجيش بالعمل الهام الذي سيستمر حتى المجيء الثاني للرب.

التوكيل، والشركاء الجيدون

• • • • • • الفصل العاشر

في الفصل السابق تطرقنا إلى أشكال مختلفة من الهياكل التنظيمية للقيادة، حيث ينبغي جعل تلك الهياكل تعمل بشكل دائم. من السهل لنا أن نستغل منافع هذه الهياكل بطريقة خاطئة. إن الهياكل تشبه الملابس، فالملابس لا تصنع الشخص، لكنها ضرورية بالنسبة له، ولا يستطيع أن يستغني عنها.

في العالم المسيحي كان هناك نوع من الريبة الحسنة في إعارة أهمية بالغة للهياكل الخارجية. الله غير منظور، وهو يعمل بقلوب الناس، وليس في غاية السهولة تأسيس حياة روحية قوية معه. لذا نجد أن الناس كانوا يقعون في أحقاب زمنية معيّنة تحت تأثير الأفلاطونية الجديدة والغنوسية، متغاضين عن الهياكل الخارجية بحجة أنها غير هامة أو غير روحية. هذه النظرة قد تكون ضارة إلى حد كبير. لقد خلق الله العالم ووضع قوانين خارجية للخليقة، وبدون تلك القوانين يصبح كل شيء متروكاً للصدف وستعم الفوضى. إن روح الله يعمل ويتوحد مع الخليقة اجتماعياً وجسدياً. لعل أعظم مثال لهذا نراه في الكلمة الذي صار جسداً وحل بيننا جسدياً. لذلك إن كنا لا نريد التقيد بأنظمة لأننا نخشى بأننا لسنا روحيين بما فيه الكفاية، نفسح مجالاً ليسود جو من الفوضى في كل ما يريده الله أن يعمله بفعالية من أجلنا.

عادة، تبدأ الخدمات الروحية بطريقة دراماتيكية، فالرب يعلن عن نفسه من

خلال ما يقول وما يفعل، وهذا يعتبر إرشاداً لنا مدى الحياة. عندما تشترك في الخدمة قد لا تدرك أن ما تختبره هو إرشاد من الله لك. فكل شيء يكون روحي جداً، وتعتقد أن هذا الأمر سيستمر بنفس القدر. برغم أن دعوة الله قد تأتيك بطرق مختلفة، إلا أنه يريد أن يعمل من خلالك عملاً خاصاً. فالله يعمل عملاً سرياً في داخلك، لا يستطيع أحد أن يدركه إلا أنت، وفي ذات الوقت يعمل عملاً خارجياً يستطيع أن يفهمه أولئك الذين يشتركون معك في العمل. الله هو الذي يقوم بهذا العمل. إن هذه الاختبارات الخاصة هامة ولا داعي للقلق منها، وهي داعمة للخدمة. إنها عبارة عن تدعيم للدعوة. من الممكن أن نشبهها بإطلاق سفينة للفضاء يصاحبها ضوضاء شديدة، ويقف حولها كثير من المتفرجين، ثم تبدأ سفينة الفضاء بإطلاق صاروخ تلو الآخر. لأنها لم تعد في حاجة إليهم، ويتبقى أخيراً القمر الصناعي الصغير الذي سيدور حول الأرض ليؤدي مهمته. عند هذه النقطة يدرك المؤمنون أن الأمر ليس مجرد تسلية، ويعتبرون أن مرحلة الإطلاق كانت أفضل من هذه المرحلة التي يتواجدون فيها لوحدهم.

الهدف من تغيير أنماط العمل

تحدثت في فصل سابق عن موضوع القيادة في حياة موسى، إلا أني أود هنا أن أتناول هذا الأمر بنوع من التفصيل. يصف الكتاب في خروج ١٨ : ١٣-٢٧ الوضع الذي وجد موسى نفسه فيه. كان بلا شك القائد. لقد كان مدعواً وممسوحاً، وقد استجاب الشعب له. لقد رأوا المعجزات التي صنعها الله من خلاله، لمّا كان يريد أن يُخرجهم من العبودية. لكن موسى اختبر تغييراً جذرياً في خدمته. فبعد أن أجرى موسى كل هذه المعجزات وأخرج الشعب من مصر، وجد نفسه محاطاً بكل الشعب وعليه أن يسد احتياجاته من الأمور الصغيرة إلى الكبيرة، ولم يكن الشعب مقدراً لدور موسى، بل ومطالباً بالمزيد. كونه قد دُعي

ومُسح ليكون قائداً، ليس معناه أنه كان معصوماً من الأخطاء – بل بالعكس. إن الأمر الذي أصبح واضحاً هو حاجته للمساعدة ولإسناد بعض المسؤوليات للآخرين.

هناك كثير من الخدام الممسوحين ارتكبوا هذا الخطأ، فظنوا أنه ينبغي أن يعملوا كل شيء بأنفسهم. إنهم يشبهون تلك الأم التى تتجب طفلها الأول، وترتعب عندما يمسك به أي شخص بعدم مبالاة. فهي لا تريد أي شخص أن يلمس طفلها. لقد أصيب موسى بالإعياء بسبب محاولته أن يعمل كل الأمور بنفسه. لقد أصاب الإعياء كل من موسى والشعب وذلك نتيجة عدم التنظيم الجيد.

أتقابل بين الحين والآخر مع خدام يقولون أنهم لا يحبون العمل الإداري. بالطبع، هم لا يرون الحاجة لأن تكون خدمتهم أكثر فعالية. قد يبدون أنهم أشخاص روحيون، لكن المشكلة أنهم برغم مستواهم الروحي العالي، إلا أنهم يعانون من قصور وعدم التزام في حياتهم. بل والأكثر من هذا هم يعرقلون تقدم الإنجيل. فكون العالم ماهر في أمر التنظيم، هذا ليس معناه أننا لا ينبغي أن نتبنى ذلك الاتجاه. إن إدارة العمل في الكنيسة، المؤتمرات، المخيمات وكل الأنشطة بتهاون وبدون دقة وبراعة، أمر لا يمجد الله، ويجعل الخدمة أصعب لمن نخدمهم.

إن مبادرة التغيير لم تنبع من موسى، لكن من حميه. في كثير من الأحيان يرى مَن حولك ما لا تستطيع أنت أن تراه بنفسك، وأحياناً يكون من الصعب عليك أن تعترف بهذا الواقع. لعلنا نذكر نعمان السرياني ذلك القائد الجبار، كان يصعب عليه الأخذ بنصيحة خدامه، لكن هذه النصيحة هي التي أنقذت حياته (٢ مل ٥).

في القصة التي ذكرها الكتاب في خر ١٨ : ١٣-٢٧، أشار حمو موسى – يثرون – إلى موسى أنه من الخطأ أن يفعل كل شيء بنفسه. إن الانفرادية بالعمل تسبب الشعور بالوحدة، الإعياء والإحباط. يصبح الحمل ثقيلاً جداً. لم يفهم موسى هذا لأنه كان يظن أنه هو الوحيد الذي يتحمل المسؤولية بجدية. قال موسى: «إن الشعب يأتي إليه ليسأل الله». إن هذا يدل على أنه لا يوجد أحد غيره مؤهل ليجيب الشعب. في كثير من الكنائس، لا يقبل الناس أي مساعدة من أحد إلا من الراعي. إن هذا الأمر يجعل الراعي يشعر بالإعياء، وبالتالي يؤثر على نمو الكنيسة. أحياناً يعمل الراعي بكل اجتهاد تحت ضغط خفي من أعضاء الكنيسة. إن كان على الراعي أن يحمل كل الخراف، فعندئذ لن تكون لديه المقدرة على اقتناء خراف أكثر. لكن إن استطاع الراعي أن يعلّم الخراف أن يسيروا معتمدين على ذواتهم، سينمو عدد القطيع. إن إجابة يثرون لم تعني أن موسى لم يكن ممسوحاً المسحة الكافية أو أن إيمانه كان قليلاً لكنه قال: «ما تعمله ليس حسنا!» أي أنك في حاجة لتغيير طريقتك، لا رسالتك، أو مسحتك أو اتجاهك. إن هدف تغيير الطريقة هو أن يكون العمل أسهل، لكل من موسى والشعب.

العمل بطريقة سليمة من خلال دوافع سليمة

من المهم أن تستمر في العمل بفرح وبحماس، وإلا سيتحول العمل إلى عبء ثقيل. فالتجارب والهجمات سوف تأتيك حتماً، ولا يمكن تجنبها، لكن لا بد أن تتعلم كيف تتعامل معها. في حياتنا اليومية لابد أن يكون هناك توافق ورضا، وإلا سنصاب بالإعياء وتخور قوانا. طلب الرب يسوع من خدامه أن يأتوا إليه لأنه هو يستطيع أن يريحهم، لأن نيره هين وحمله خفيف (مت ١١: ٢٨ – ٣٠). حتى في الأوقات العصيبة تستطيع أن تستمتع وتشعر بأن النير

هين. خلال التسعة عشر عاماً التي كنت أخدم فيها كراعي لكنيسة كلمة الحياة في اوبسالا السويد، أستطيع أن أشهد أنه لم يمر يوماً واحداً لم أكن فيه سعيداً وأنا ذاهب إلى عملي في الكنيسة. ففي الأوقات العصيبة وعندما كانت تشتد المقاومة والاضطهاد، وعندما أشعر وكأن قواي تخور، كانت هناك نعمة تجعلني أفرح بالرب. نعم، فهناك نعمة في الخدمة تستطيع أن تخفف الأعباء، وتبدد القلق. كنا أحياناً نجتاز في ضيقات مادية، ونكون في أمس الحاجة إلى ملايين من الكورونات السويدية، لكن الرب كان يرسل المال. بنعمة الله لم يفارق النوم أجفاني في أية ليلة قلقاً من الأمور المادية. ما يأمر به الرب سوف يسدد نفقاته، ولو في اللحظات الأخيرة! إن الهدف من هذا هو أن نتعلم أن نثق فيه في كل شيء.

نسمع كثيراً في هذه الأيام عن الإعياء والإنهاك. نعم، إنها مشكلة حقيقية. أعتقد أن السبب وراء هذا أنّ الخدام يعملون بقوتهم الذاتية، وينهمكون في مشاريع ليست ضمن خطة الله لهم أو يعملون بطريقة خاطئة أو بدوافع خاطئة. في السويد، تعلمنا منذ الطفولة أن هناك شخص – وربما الدولة – سوف يعتني بنا.

لدينا طاقة للعمل أكثر مما نظن، ونستطيع أن نتحمل ضغوطاً أكثر مما نعتقد. بالطبع طاقتنا محدودة، لكن يمكن أن نوجهها لما يريده الله منا. يقول الرسول بولس: «ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» (اكو ١٥ :١٠). هناك طاقة سماوية، تنطلق لتدعمني عندما أكون في وسط مشيئة الله. بدون هدف ورؤيا، سوف يشعر الناس سريعاً بالإعياء، ويصبح العمل بلا معنى. أيضاً إن لم يكن هناك مجال لاستخدام المواهب الروحية، سيشعر الناس بالضيق والملل. إن لم تكتشف المهمة التي ينبغي أن تقوم بها، أو إن كنت تشعر

بالإعياء وأنت تقوم بها، فقد تصبح هذه المهمة حِمْلاً عليك. الله يعطينا دائماً مهام فوق طاقتنا البشرية حتى نستطيع أن نتكل على قوته التي تعمل فينا (كو ١: ٢٩). الشخص المتراخي الذي يعمل أقل قدر من العمل ويسعى للذهاب إلى بيته للراحة في الساعة الخامسة مساءاً، لن يكون عظيماً في ملكوت الله، لكن يمكن أن نعتبره أخاً للمخرب والمسرف (أم ١٨ :٩).

السلطة والمسؤولية أمران متلازمان

الله لم يقصد أبداً أن نعمل كل شيء بأنفسنا دون إسناد بعض المهام إلى الآخرين. إن قمنا بكل الأعمال بأنفسنا فسنصاب بالإرهاق. إن النعمة التي يعطيها لك الله تكفي لما ينبغي أن تفعله أنت بنفسك. كقائد، عليك أن تتعلم أن تسند بعض المسؤوليات للآخرين. إن هذا معناه أن تسمح للبعض أن يقوموا ببعض المهام. لكن إن كنت تسند بعض المهام للبعض، هذا ليس معناه أنك ستتخلى عن مسؤولياتك. في الشركات العالمية، تسير السلطة جنباً إلى جنب مع المسؤولية. إن هذا ينطبق أيضاً على ملكوت الله. إن القائد صاحب الرؤيا مسؤول عن رؤيته التي أخذها من الله، وهذا معناه أنه لن يسمح لمعاونيه أن يعملوا ما يحلو لهم. إن كل شيء يجب أن يتم وفقاً للرؤيا التي نالها من الله. إن لم تكن هناك رؤيا، لن يكن هناك مستقبل أو نجاح.

ذكرت باختصار أحد الأمثلة على ذلك في الفصل الثاني، عندما عمل موسى مع بصلئيل وأهوليآب لكي يتمم بناء خيمة الاجتماع (خر٢: ٣٧-٤٠). كان موسى صاحب الرؤيا، والمسؤول العام. أما بصلئيل فقد اتبع تعليمات موسى واستخدم مهارته بدون أي مقابل في عمل بعض الأجزاء من خيمة الاجتماع. ثم أتى موسى وتفقد خيمة الاجتماع ووضع اللمسات الأخيرة. بالرغم من أن موسى أوكل العمل إلى من هم أكثر مهارة منه في عمل التفاصيل الدقيقة في خيمة

الاجتماع، إلا أنه كان هو المسؤول الرئيسي وكان عليه أن يتابع العمل ليرى هل تم وفقاً للرؤيا أم لا.

من الجميل أن نعرف أن الكلمة اليونانية التي تُرجمت إلى «بَنَّاءٍ حَكِيم» في (١كو ٣ :١٠) هي ذات كلمة «مهندس معماري». في تلك الأيام كان المهندس المعماري هو البنَّاء الماهر. كان المهندس يعمل وفق خطته وكان عليه أن يتأكد أن لا يكون هناك أي تغيير في الخطة، أو أي مواد غير سليمة مستخدمة في البناء. إن هذا قد يفسر التوتر الذي يحدث كثيراً بين المهندس والبنَّاء. فالعامل يريد أن يتمم العمل بسرعة، وربما طمعاً في الربح يستخدم مواد أقل جودة. إلا أن المهندس المعماري لا يعير الناحية المادية اهتماماً لأنه يركز على خطة العمل وجودته. إن مثل هذا النوع من التوتر قد يحدث في ملكوت الله. فاللخادم حرية ومسؤولية في ذات الوقت، لكن هناك أيضاً ضوابط، لأنه يجب أن يلتزم بتنفيذ الرؤيا.

إن إسناد المهام ليس معناه أننا نلقي المسؤولية من على كاهلنا. أحياناً قد يتهاون القائد ويسند المسؤولية إلى المساعدين ويذهب إلى بيته ليسترخي. لذلك لا نتعجب إذا كانت النتائج سيئة. يقع اللوم هنا لا على المساعدين بل على القائد الذي لم يتابع العمل، ولم يضع جدولاً زمنياً، ولم يتابع العمل حتى النهاية. إلا أن القائد لا يستطيع أن يتدخل في كل التفاصيل، ويتابعها يومياً، الأمر الذي قد يكون معرقلاً للعمل. لقد رأى موسى صورة خيمة الاجتماع بالتفصيل، ونقل هذه الصورة إلى كل من بصلئيل وأهوليآب. ولم يذكر الكتاب أن موسى كان في المشهد بعد ذلك. لكن نراه أنه أتى ليعاين العمل بعد اكتماله ووافق عليه.

لعلنا نتذكر قصة مايكل أنجلو، عندما كان يرسم كنيسة سيستين الصغيرة في الفاتيكان. كان البابا يوليوس الثاني يحضر إليه بصفة مستمرة، وكان يقدم تعليقات كثيرة تعوق سير العمل وتقدمه. ذات يوم رمى مايكل أنجلو بإناء الألوان

على الأرض، الأمر الذي جعل البابا يترك المكان مسرعاً. بعد انتهاء العمل أتى البابا ليرى اللوحات الجميلة التي رسمها ذلك الفنان المبدع وأُعجب بها. من ضمن الصور التي رسمها مايكل أنجلو في هذه الكنيسة صورة للخليقة فيها الآب وهو يشير بإصبعه إلى آدم النائم. هذه اللوحة مازالت موجودة إلى يومنا هذا.

عندما قدّم يثرون النصح لموسى بإسناد بعضاً من مهامه لآخرين كان من خلال هذا يقدم المساعدة لآلاف الناس.

هناك خطوتان لإسناد المهام:

إدراك الحاجة إلى إسناد المهام.

تحديد مهام القادة بكل وضوح.

من المهم أن تعرف ما الذي عليك فعله وعدم فعله. فليس مطلوباً منك أن تعمل كل شيء!

كانت هناك ثلاث مهام تخص قيادة موسى:

المهمة الرئيسية لموسى هي أن يقف أمام الله لأجل الشعب ويرفع قضايا الشعب إلى الله (خر ١٨ :١٩). إن أول مسؤولياته هي أن يتشفع أمام الله لأجل الشعب. لقد أدرك الرسل هذا الأمر عندما بدأت بعض المهام العملية تبعدهم عن خدمة الكلمة والصلاة (أعمال ٦ : ٢-٤). إن مهمة القائد المسيحي هي الخدمة الروحية. إن مهمته ليست بالأساس أن يكون ماهراً في الإدارة والأمور المالية والتسويق. كل هذه الأمور قد تكون مهمة، لكنها ليست كافية. إن مهمة القائد المسيحي هي أن يقضي وقتاً أمام الله مصلياً لأجل الشعب، ولأجل المهمة التي كلفه بها الله.

المهمة الثانية هي أن يعلمهم الفرائض والشرائع (خر ١٨ :٢٠). هنا نرى الوعظ بالكلمة. إنها تحوي عنصراً نبوياً «تعرّفهم على الطريق الذي يسلكونه»

(خر ١٨ :٢٠). الشخص الذي يعيش في محضر الله يكون لديه ما يقدمه للناس. يستطيع الكثيرون أن يعظوا، ويعدوا دراسة كتابية جميلة ومشوقة، لكن هذا يختلف تماماً عن أن تقضي وقتاً أمام عرش النعمة طالباً الله حتى يعطيك الكلام الذي يناسب هؤلاء الذين تخدمهم.

المهمة الثالثة هي أن يرشد الشعب في العمل الذي يجب أن يعمله (خر ١٨ :٢٠). قد يعجز بعض الوعاظ عن أداء هذا الأمر. من الممكن أن نقدم عظات رائعة، ودراسة كتابية متميزة، لكن يخرج الناس بدون أن يعرفوا ماذا يعملون، وهنا نكون قد فقدنا مضمون الرسالة. إن مسؤولية القائد هي أن يتأكد أن كل شخص يسير في الاتجاه الصحيح لتحقيق المهمة. إن هذا يتطلب تجديد فكر المؤمنين، حتى لا يروا أنفسهم مجرد متفرجين، بل عاملين ينبغي أن يفهموا المهمة التي عليهم أن يقوموا بها. للأسف ليس كل عضو يريد أن يكون جزءاً من الكنيسة المتحدة العاملة. البعض قد يترك الكنيسة متذمراً من أن هناك نظام دقيق، ولا توجد نعمة كافية. لعلهم لم يقرؤوا ما قاله الرسول بولس عن النعمة التي تجعلهم يعملون أكثر من غيرهم.

إن الكنيسة تتكون من أشخاص يخدمون الله، ويعبدونه ويسبحونه ويكرسون أنفسهم له. لأجل هذه الأهداف بُنيت خيمة الاجتماع في القديم: لكي يستطيع الشعب أن يسبّح الله ويقدم القرابين السليمة بطريقة صحيحة. إلا أن الكنيسة أيضاً هي مكان الخدمة والإرسالية، حيث يسعى الأعضاء للذهاب خارج أسوار الكنيسة للكرازة ومساعدة الآخرين. كل شخص في الكنيسة هو خادم، ووظيفة القائد هو أن يُعرِّف الأعضاء بالخدمات المتنوعة التي في الكنيسة وكيفية إتمامها بأفضل الطرق.

الاختيار الإلهي للقادة

إلى جانب تلك المهام الثلاث، كانت هناك مهمة أخرى لموسى هدفها أن تخفف الحِمل عنه. كان عليه أن يختار من بين الشعب رجال مهرة (خر ١٨ :٢١). هذا أيضاً ما فعله بولس في سفر الأعمال، فقد اختار معاونيه بنفسه. لم ينتخبهم الناس، لكنه هو الذي اختارهم بنفسه. في كثير من الأحيان ينشأ جدل حول اختيار الكنيسة للشمامسة كما في (أع ٦ :٣-٥)، ويستندون على ذلك في أن اختيار القادة يجب أن يكون بالانتخاب بواسطة أعضاء الكنيسة. بالرغم من أن هناك قادة تم اختيارهم بالانتخاب، إلا أن الوضع لم يكن هكذا دائماً. إن هذا قد ينطبق على من يقومون بمهام عملية. لكن إن قرأت بعناية، ستكتشف أنه حتى في الاختيار بالانتخاب، كان للرسل حق الاعتراض. كان عليهم أن يضعوا أيديهم على الشمامسة كإجراء نهائي، الأمر الذي ما كانوا قد فعلوه لو لم تكن لديهم قناعة أن الروح القدس يوافق على الأشخاص الذين تم انتخابهم. أكثر من هذا نرى أن الرب يسوع اختار تلاميذه بدون أية انتخابات ديمقراطية. لقد تحدث بولس عن تيموثاوس، ابنه الروحي، بأن يكون خلفاً له، بدون إجراء أي نوع من الانتخابات. كما أعطى تيطس مهمة اختيار الشيوخ طبقاً لتعليماته (تي ١ : ٥). كان من الممكن أن يسافر الرسول بولس إلى هذه البلاد التي كان قد أسس فيها كنائس، ويعين الشيوخ بنفسه (أع ١٤ :٢٣). قبل أن نتسرع في الحكم، وقبل أن نقول أنه لا مكان للديمقراطية في اختيار القادة، من الواضح أنه عندما يتعلق الأمر بفريق روحي يعمل معاً، نجد أن للرب طريقة أخرى تختلف تماماً عن الطريقة التي ينتهجها العالم. إن كنا نطبق ببساطة الطريقة التي تمارسها النظم الديمقراطية عند اختيار القائد الروحي في جسد المسيح، فنحن نتجاهل أهم معيار على الإطلاق، ألا وهو موافقة الروح القدس. قد لا

يتجاوب المجتمع المدني مع هذا الأمر، لكن حتى في العالم لا يتم اختيار كل القادة بالنظم الديمقراطية فقط. هناك بعض الأهداف الخاصة ووسائل العمل التي تُستخدم في بعض الشركات، وهذا يسري أيضاً على الكنيسة، جسد المسيح. لا يستطيع أحد أن يأخذ وظيفة روحية من نفسه أو من خلال اختيار الأغلبية، لكن من خلال اختيار روح الله. هناك الكثيرون مَن أضاعوا حياتهم في صراعات وانقسامات على اختيار القيادة (قد تكون غير مسيحية)، التي ترفض أن تتعاون مع الراعي أو الكاهن. أحيانا يعيش الراعي في بؤس، وقد يتطور الأمر إلى أن يطلبوا منه أن يتخلى عن خدمته في الكنيسة إن لم يطع تعليماتهم. ثم يستغرب الناس ويتساءلون لماذا لم تأتِ النهضة!

صفات أعضاء الفريق المعاون

إن النموذج الذي قدمه موسى يبرهن على أنه اختار أعضاء الفريق المعاون بعناية طبقاً لمعايير محددة. أولاً كان عليهم أن يخففوا الحمل عن موسى، لا أن يثقلوا عليه (خر ١٨ :٢٢).

لكن أكثر من هذا يخبرنا الكتاب في (خر ١٨ :٢١) أنهم:

- ماهرون
- يخافون الله
- أهل للثقة– أمناء
- مبغضون للرشوة

تعالوا بنا نتأمل هذه الصفات. غالباً نحن نستعين بالمؤمنين الماهرين لأننا نكون في أشد الحاجة لهم. قد يكونوا ماهرين في الكمبيوتر، لكنهم غير ناضجين روحياً. قد يكونوا عمالقة في العلم، لكنهم أقزام روحياً. عندما يكون مثل هؤلاء

في خط المواجهة، فهناك خطر على الخدمة. غالباً مثل هؤلاء يتخلون عن العمل عندما يواجهون الضغوط، ويذهبون ليعملوا في مؤسسات دنيوية تحت إغراء المال. هؤلاء يريدون أن يكونوا دائماً في بؤرة الضوء، ويريدون أن يكونوا في مركز اهتمام الآخرين. إن ملكوت الله ليس بالمكان المريح لهؤلاء الأشخاص الذين يشعرون بأنهم غير مقدَّرين. هناك من لا يتمتعون بالتفكير الناضج، أي القدرة على الريادة والقيام بالعمل المطلوب في الوقت المعين، وبدلاً من ذلك يتوقعون التقدير والتشجيع الدائم من الآخرين.

إن كنت أمام الاختيار بين من لهم المهارة وهؤلاء الذين يتمتعون بخوف الله، عليك أن تختار من يخافون الله. إن كان هناك خوف الله، فمن الممكن أن ننمي المهارات. لكن إن لم يكن هناك خوف الله، فسيكون هناك الكبرياء، السطحية والأنانية. في هذا السياق، خوف الله يعني أن أدرك أن كل ما أعمله، أعمله في حضرة الله، فهو يراني، يسمعني ويعرف كل شيء. حتى لو لم يلاحظ أي شخص مقدار العمل الذي أعمله، فالرب يراه.

لكن خوف الله يقودنا إلى الصفة الثالثة ألا وهي الأمانة، أي أن أكون أهلاً للثقة. نحن نعيش في عصر الرياء وعدم الإخلاص. في العالم، يترك الناس أعمالهم ويذهبون إلى عمل آخر، يحكمهم في هذا قواعد وآليات السوق. إلا أن هذا ليس الحال في ملكوت الله. إذا كنت مدعواً لخدمة معينة، لا يمكن أن تترك مكانك فجأة لتذهب إلى مكان أفضل أو طمعاً في راتب أفضل. عليك أن تنتظر إرشاد الروح، وأن تصلب الجسد وتتخلى عن راحتك ومركزك وتطيع الرب في المكان الذي يضعك فيه. أن أكون أهلاً للثقة هذا معناه أن أكون أميناً. كعضو في فريق العمل لن أكون كاملاً، فبلا شك سوف تكون هناك أخطاء. تنشأ المشكلة، عندما أحاول دائماً أن أخفي أخطائي، وينتهي بي الأمر بأن لا أعطي إجابات واضحة، لا أقدم حساباً عن ما أفعل، أحاول أن أكون مقتضباً

في تقاريري ولا يكون هناك شفافية. إن أفضل صفة للشخص المعاون هو أن يكون جديراً بالثقة. إن أفضل أمر يتمتع به فريق العمل هو أن يكون هناك ثقة بين القائد ومعاونيه، وبالتالي لن يكون هناك خداع، أو أجندات خفية. إن مثل هذه الثقة سوف تكون سبباً في إصلاح الأخطاء.

أما الصفة الرابعة والأخيرة هي أن يكون مبغضاً للرشوة. إن هذا لا يتعلق بالمال فقط. إن هذا معناه أن ترفض الفساد. الفساد معناه أن تستغل منصبك لأغراض ومكاسب شخصية. إن هذا قد يشمل المال الذي لا يخصك وتستخدمه لأغراض شخصية، وقد تشمل أيضاً بعض الامتيازات التي تستغلها لصالحك. كان لنحميا بعض الامتيازات، باعتباره حاكماً، لكنه لم يستغلها (نح ٥ : ١٤-١٩). بسبب مركزه كان من الممكن أن يقتني حقولاً كثيرة، لكنه لم يفعل هذا. كان من الممكن أن يجمع ضرائب من الشعب ويستغلها لنفسه، لكنه لم يفعل هذا. كان من الممكن أن يقبل بعض الرشاوي من الأغنياء الذين قد يستفيدون منه، لكنه لم يفعل هذا. إن بُغض الرشوة ينطبق أيضاً على السلطة والمركز. فاستخدام علاقاتي أثناء عملي لدى شخص ما مع أصحاب النفوذ لخدمة مصالحي الشخصية، أمر خاطئ. إخفاء بعض البيانات عن رئيسي في العمل، بغرض استغلالها لأغراض شخصية، هو نوع من الفساد، سوف يعاقب عليه الرب آجلاً أو عاجلاً. إذا لم يقدم هؤلاء الذين يعملون مع موسى له بعض المعلومات التي يحتاجها، كان العمل بلا شك سوف يفشل. كان يثق فيهم، وأعطاهم السلطة، والمسؤولية والمركز. هذا المركز ليس معناه أنهم سيعملون ما يحلو لهم، لأنهم كانوا مسؤولين أمام موسى، وإن استغلوا وضعهم للحصول على منافع شخصية، كان الله سيكشف لموسى هذا وبالتالي كان سيقوم موسى بفصلهم عن الخدمة. البعض منهم ابتلعته الأرض عندما تمردوا وكشفوا عما بداخل قلوبهم (عدد ١٦).

الشركاء الجيدون هم عطية من الله

وجود فريق عمل مع موسى، يستطيع أن يسند إليه بعض المهام، أزاح عن كاهله حملاً كبيراً. «فيقضون للشعب كل حين. ويكون أن كل الدعاوي الكبيرة يجيئون بها إليك» (خر ١٨ :٢٢). وهكذا لم يستطع أحد أن يذهب لموسى بطريقة مباشرة. في الكنائس التقليدية، حيث اعتاد الأعضاء أن يكون لراعيهم باباً مفتوحاً، قد يحتاج الأمر إلى تغيير بعض المفاهيم لدى الشعب لكي يتعلموا مراجعة قادة آخرين. يستطيع الأعضاء أن يقبلوا الأمر ويعتادوا عليه، خصوصاً عندما يروا أن احتياجاتهم تُسد بطريقة أفضل، وأن القادة الروحيين أكفاء. سيدركون أن الرب لا يستخدم شخصاً واحداً، بل أشخاص كثيرين. إنه امتياز عظيم للقائد أن يرسل له الرب فريق من القادة المعاونين الأكفاء. يقول الرسول بولس عن تيموثاوس شريكه في الخدمة: «لأن ليس لي أحد آخر نظير نفسي يهتم بأحوالكم بإخلاص» (في ٢ :٢٠). يا له من تقدير رائع! لقد اختبرت هذه النعمة، وأشكر الله لأجلها. بدون هؤلاء الأشخاص الرائعين الذين يعاونونني، ما كنت قادراً على عمل ما عملته خلال العشرين سنة الماضية. والجدير بالتقدير أن كثيرين منهم مازالوا يعملون معي بأمانة وحب وإيمان.

طريقة تعامل القائد ومعرفته الذاتية عن نفسه

• • • • • • الفصل الحادي عشر

«احترسوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أع ٢٠ :٢٨). عندما نصح الرسول بولس القادة طلب منهم أن يحترسوا أولاً لأنفسهم. لا تستطيع أن تحترس لأنفس الآخرين ما لم تحترس لنفسك أولاً. لا تستطيع أن تحترس لنفسك إن لم تكن تعرف نفسك، كما أنه ليس بإمكانك أن تعرف نفسك، إن لم تكن لديك طريقة تعامل صحيحة. هذه هي مسيرة الخلاص.

الصورة الذاتية السليمة والاحتراس اليومي

يشرح لنا الكتاب المقدس كيف أننا من خلال الرب يسوع حصلنا على الخلاص، الولادة الثانية، وانتقلنا من الموت إلى الحياة (يو ١ :١٢؛ ٣: ٦-٨؛ ٥ :٢٤). ويحث الكتاب المقدس المؤمنين أن يسعوا لتتميم خلاصهم عملياً. علينا أن نسلك وفق مقامنا. نحن خلصنا في الماضي، ونخلص خلاصاً مستمراً في الحاضر، ويوماً ما سنخلص نهائياً. إن هذه الأمور تتعلق بالتبني، والتقديس، وفداء أجسادنا النهائي. يقول الرسول بولس لتيموثاوس: «جاهد جهاد الإيمان الحسن، وأمسك بالحياة الأبدية التي إليها دعيت أيضاً، واعترفت الاعتراف الحسن أمام شهود كثيرين» (اتي ٦ :١٢).

بكلمة أخرى، الرسول بولس حث تيموثاوس ليتمسك بما قبله، وأن يعمل طبقاً له، وهكذا ينبغي أن نفعل نحن أيضاً. هنا نرى تركيزاً كبيراً على أن الافتراض الذي يزعم أن كل شيء قد تم عندما سلَّمنا حياتنا للرب يسوع يوماً من الأيام هو افتراض خاطئ. فالحياة المسيحية حياة جهاد، ونحن نجاهد كل يوم. لهذا يحثنا الكتاب في الرسالة إلى العبرانيين أن نحترس ونصحو لحياتنا حتى لا نرتد عن الله.

« أنظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي. بل عظوا أنفسكم كل يوم، ما دام الوقت يدعى اليوم، لكي لا يقسى أحد منكم بغرور الخطية» (عب ٣ :١٢-١٣).

خلال حياتنا المسيحية نحن في حاجة للاحتراس لأنفسنا. يقول الكتاب في (١تي ٤ :١٦) «احترس لنفسك والتعليم وداوم على ذلك، لأنك إذا فعلت هذا تخلّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً». بكلمة أخرى، عندما تكون لدينا صورة ذاتية إيجابية عن أنفسنا، وحياة جهاد يومي، نحن «نخلّص» أنفسنا. نحن غالباً ما نهمل هذا الجزء من حياة التكريس. قد نشعر بالصدمة أحياناً عندما نكتشف أنه هناك ضرورة للاجتهاد والعمل على تصحيح ذواتنا.

تطرفان في حياة القداسة

التطرف الأول الذي يخص القداسة هو الناموسية المسيحية التي تصيب الشخص بالاكتئاب. فيشعر ذلك الشخص أنه ممتلئ بالعيوب، لدرجة أنه يفقد يقين الخلاص. قد ينتهي الأمر به بأنه يبدأ في البحث عن الخلاص بالأعمال. وهكذا يصبح الشخص قلقاً، منطوياً، مكتئباً، مملوءاً بالشعور بالذنب لأسباب تافهة. يشعر وكأن الله بعيد، ويصبح غير متأكد من خلاصه بل ومن محبة

الله له.

إلا أن هذا الأمر لا يمثل المشكلة الرئيسية في المسيحية في هذه الأيام. يخبرنا الكتاب أن الذي سيسود في الكنيسة في آخر الأيام ليس هو روح الناموسية بل عدم الناموسية (٢تس ٢ :٧ ؛ ٢تي ٣ :١-٥ ؛ تي ١ : ١٠ -١١؛ يه ٤، ١٢،١٦،١٨). سنرى بعض الواعظين، تحت شعار «النعمة المزيفة»، يتركون الشعب في حالة من الحرية التي تتجاوز حدود الكتاب المقدس، ويفعلون كما فعل هارون عندما سمح للشعب أن يعبد العجل الذهبي في البرية وبدؤوا يلهون ويرقصون ويزنون. هؤلاء الواعظون سيصبحون الأكثر انحرافاً وشهرة بين الناس. يعرفون كيف يداعبون آذان الناس بتعاليمهم، لكنك لا تسمعهم يحثون الناس أو يشجعونهم ليحيوا حياة القداسة. يتحدثون عن أننا نتقدس تلقائياً لأن الكتاب يدعونا «قديسين». إلا أن ما يتكلمون به هو جانب واحد من الحقيقة، أما الجانب الآخر فهو أنه بدون قداسة لا يستطيع أحد أن يرى الله. إن هؤلاء ينادون بالتحرر من كل أشكال التدين الظاهري، ما قد يعني التحرر من كل ما يعلنه الكتاب بخصوص حياة القداسة الشخصية. هم دائماً يشيرون إلى الآيات والعجائب التي يراها الناس من خلال خدمتهم، كدليل على أن الله معهم، وينسون أن الله رحيم تجاهم وتجاه الناس الذين يستمعون إليهم، مانحاً إياهم الفرصة لعلهم يتوبوا عن الحياة الدنيوية والسطحية. إن مثل هؤلاء الخدام يعدون الشعب بالحرية وهم أنفسهم عبيد للفساد (٢بط ٢ :١٩). هم ينغمسون في الملذات، ويحيون حياة دنيوية، ويستهزئون ويضطهدون المؤمنين الذين يعيشون حياة القداسة الحقيقية. ينظرون إلى ذلك المؤمن الذي يعيش حياة القداسة وكأنه معقد، مقيد، أصولي، ممل، ناموسي، أو كأنه يعيش في كوكب آخر. إن الطبيعة الدنيوية في كثير من المؤمنين تتمرد على ما دعانا إليه الكتاب ألا وهو كبح الجسد. إن الجسد يقاوم أي محاولة للإنسان في العيش مع المسيح. في كل الطوائف المسيحية نرى أن

هناك خط فاصل بين هؤلاء الذين يأخذون موضوع الخلاص بجدية، ويتخلّون عن العالم، وهؤلاء الذين يريدون أن يتمسكوا بالرب يسوع والعالم في آن واحد وبالتالي لا يطهرون ذواتهم بصدق.

هناك تطرفان بخصوص فهمنا عن التقديس. التطرف الأول هو المسيحية الناموسية المنطوية المكتئبة. أما التطرف الثاني فهو المعرفة السطحية للإيمان، الأمر الذي لا نريد أن نتعمق فيه في حياتنا بل نشغل ذواتنا بأمور ظاهرية، تكون مجرد مظاهر. بينما الذين في التطرف الأول لا يؤمنون بالانتصار، بل يتحدثون عن الألم والمشكلات ولا يكون لديهم أمل في اجتيازها، أما الذين يحيون وفقاً للتطرف الثاني، يأخذون كل هذه الأمور باستخفاف، ويفضلون أن لا يتعاملوا مع الضيقات، والاضطهادات والمشاكل.

فحص الحياة الداخلية

نحتاج كمؤمنين أن ندرك أننا نستطيع أن نعيش حياة الانتصار. لقد أتى الرب يسوع ليعطينا النصر. لقد غلب العالم، الشيطان والخطيئة (يو ١٦ :٣٣؛ عب ٢ :١٤). لقد انتصر لكي يعطينا الحرية، الفرح والانتصار، وبالإيمان به نستطيع أن نكون منتصرين، وبإيماننا نغلب العالم (١يو ٥ : ٤-٥). إن هذا ليس معناه أننا لن نمر في ضيقات أو أن العدو لن يهاجمنا. إن أنكرنا هذه الحقيقة أو تناولناها باستخفاف أو إن لم نستطع أن نفهمها، قد يتولد لدينا نوع من اللامبالاة أو السطحية. نحن نسير في طريق محفوف بالمخاطر. يقول الكتاب في رومية ٨ :٣٧ أننا في جميع هذه الأمور نحرز ما يفوق الانتصار على يد من أحبنا. إن كل هذه الأمور التي تحدث عنها الرسول بولس كانت تحوي عدداً كبيراً من الضيقات، لكن في كل الأحوال نحن أكثر من منتصرين. إن أحد الاحتياجات المهمة للمؤمنين اليوم، أن يتعلموا كيف يعيشوا حياة الانتصار.

البعض يجهل هذا الأمر، ويستغل العدو هذه الفرصة ويحاول أن يخرب حياة الناس.

لذا، فإن الانتباه لحياتنا والسير مع الله أمر ضروري. فكما أنه من المهم أن نعرف أين نحن من جهة صحتنا الجسدية، من المهم أيضاً أن ندرك أين نحن من جهة حياتنا الروحية، وإلا سينتهي بنا الأمر إلى التشويش وخداع النفس. من الممكن أن يخدع كل قائد وكل مؤمن نفسه. فالجسد مازال معنا، وهذا الجسد يقاوم الروح كل يوم (غل ٥ :١٧). إن هذا الجسد يريد أن يتعالى، ويأخذ المجد من الرب يسوع ويضع ذاته في مركز اهتمام الناس. إن الذي يضمن لنا الانتصار على الجسد ويجعلنا نسلك في الروح هو صلب الجسد كل يوم. يقول يعقوب أنه ينبغي أن لا نكون سامعين للكلمة فقط، بل عاملين بها، وإلا فنحن نخدع أنفسنا. لذا فإن من يستمع لكلمة الله فقط دون أن ينفذها يخدع نفسه، لأنه يعتقد أن الأمور على ما يرام كونه حضر الخدمة واستمع لها. إلا أن الكلمة ليست لنسمعها فقط، لكن لكي نعمل بها أيضاً.

الحاجات الأساسية للإنسان

لا يريد أحد أن يشعر نفسه منبوذاً، لكن في الخلاص نستطيع أن نجد شركة. الكل يريد أن يشعر بأنه محبوب ومقبول من الله ومن الناس. الكل يريد أن يقوم بشيء ليشعر أنه حقق إنجازاً ما. كل شخص يريد أن يحقق نجاحاً ويخشى الفشل. كل منا يحتاج إلى الحرية. الكل يريد أن يؤمّن حياته ويعيش برفاهية. كل منا لديه أحلام يريد أن يحققها. كل منا يحتاج إلى الحق والواقع والحماس والحماية والسلام والتقديس.

لكل منا احتياجات في مجالات الحياة المختلفة. فلدينا احتياج روحي،

نفسي، جسدي، اجتماعي ومادي. في أعماقنا، نحن نتوق إلى تلبية كل هذه الاحتياجات، لذا نبذل جهداً كبيراً لكي نتمكن من تلبيتها. إن هذه الاحتياجات المتنوعة ترجع جزئياً إلى كوننا قد خُلقنا هكذا، لكنها أيضاً نتيجة للسقوط الذي أدى إلى الشعور بالنقصان. إن قلوبنا، وأذهاننا تعيش في توتر، ولا نستطيع أن نجد الاكتفاء، السلام والراحة إلا في الله.

على المؤمن أيضاً أن يسعى إلى تلبية هذه الاحتياجات. الاقتراب من الله معناه أننا نثق أنه وحده الذي يستطيع أن يلبي كل احتياجاتنا. عندئذ يبدأ صراعنا ضد الأنانية، لذا فإن الله وحده، ولا أي شيء آخر يمكن أن يلبي احتياجاتنا. أحياناً قد تنحرف احتياجاتنا، وتجعلنا نحاول معالجة كل المشاكل معتمدين على ذواتنا بدون اللجوء إلى الله، وهكذا قد يتحول :

- الاحتياج للنجاح إلى طموح دنيوي، وغرور، وتمجيد الذات.
- الاحتياج للشركة إلى خوف من الناس، والاستخفاف بالحق.
- الاحتياج للمال إلى خوف أو جشع.
- الاحتياج للحب إلى الاستغلال للمنفعة الشخصية.

قد يتحول الناس بالنسبة لنا إلى وسائل بدلاً من أهداف، فيصبحون أدوات لتحقيق المتعة لنا، بدلاً من أن نكون خداماً لهم ونخدمهم بكل محبة وبلا شروط.

إذا سمحنا للذات، «للأنا» أن تجلس على العرش بدون أي عوائق، سيفقد الإنسان النبع الداخلي للعواطف، ويتحول كل شي لخدمة الذات والجسد. في هذا الإطار سيحاول أن يتخلص من أي شيء يقف في وجه تحقيق غاياته. لكن الشخص الذي تقابل مع الرب يسوع واختبر محبته، يستطيع نتيجة لهذا اللقاء أن ينال إيماناً قوياً، وثقة غير محدودة. إن لم تكن هذه الثقة في مكانها، يبدأ الشك وعدم الإيمان والخوف يتغلغل في هذا الشخص، ويبدأ الشخص في الدفاع عن

رغباته ويحاول أن يفرض ذاته.

عندما تتم الأمور في الإطار الذي كنت تخطط له، تشعر بالكبرياء والغرور، لكن عندما لا تسير الأمور وفق إرادتك، تبدأ بالاكتئاب ولوم الآخرين، وتبحث عن كبش فداء وتقدم مبررات. لكن عندما تنجح، تشعر بالسعادة والتفاؤل، وعندئذ تصف هذا الأمر بأنه «إيمان». لكن عندما تسير الأمور على غير ما تريد، تفقد شجاعتك، وتبدأ في توجيه اللوم لله، وتتساءل «لماذا أنا؟». عندما يكون معك المال، تشعر بالراحة والأمان، لكن بمجرد ما تقل الأموال، يستولي عليك الخوف، وتصبح الحياة بالنسبة لك لا تُطاق. فالمال بالنسبة للكثيرين يُعتبر صخرة أقوى من شخص الله الحي، بالرغم من أنهم يتحدثون بفصاحة عن الله وكلمته. يعرف الناس أموراً كثيرة وهم بالقرب من منابر الوعظ، لكن من النادر أن يحيوا بمقتضى ما يعرفوه وهم خارج الكنيسة. عندما يحقق الناس النجاح يُعجبون بأنفسهم، لكن إن حقق شخص آخر نجاحاً أكبر، يشعرون بالغيرة، ويبدؤون بالتنافس محاولين أن يجدوا فرصة لنقد الآخر أو إحباطه. طالما أن الأمور تسير وفق خططهم يشعرون بالسعادة، لكن عندما يعترضهم الناس أو العراقيل أو الظروف، يصابون بالإحباط والغضب والتوتر، ويصبون جامات غضبهم على الظروف والناس، كما فعل شاول عندما أطلق سهامه على داود. من السهل أن نفضح بل ونُشهّر بالآخرين عندما نعتقد أنهم على خطأ وذلك تحت غطاء غيرتنا الروحية، بينما في واقع الأمر تكون المشكلة هي في ذواتنا، في «الأنا» التي تثور عندما نرى أن هناك من أصبح أعظم منا، بل وأكثر منا شهرة.

كثير من الناس يريدون النهضة إذا كانوا سيبقون هم وكل ما يتعلق بهم في محور اهتمام الناس، وإن كان سيتبين للجميع أنهم الأكثر روحانية والأكثر صدقاً. إن هذا يؤدي إلى طموح ذاتي غير منضبط (غالباً يتخفى تحت غطاء

روحي) وصراعات نفوذ، وانقسامات داخلية. إن الوحدة الحقيقية لن تحدث إلا إذا تخلينا عن كل هذه الأمور، وقبلنا الآخرين بحق، وأحببناهم وقدَّرناهم أكثر من أنفسنا (في ٢ :٣). لن تنفع أي شروط سواء لاهوتية أو غير لاهوتية لتحقيق تلك الوحدة. إذا كنت تعتقد أن الشركة من الممكن أن تتحقق لو أن الطرف الآخر تغير، فأنت لا تفهم طبيعة الكنيسة والمسيح بل ومفهوم الوحدة. عندما تتحقق الوحدة، لن تحتاج أن تحث الناس على أن يغفروا للآخرين، لأن ذلك سيحدث تلقائياً بدون شروط. فالمحبة تمد ذراعيها وتسير ميلاً آخراً. المحبة لا تتهكم على الآخر، ولا تفرح عندما ترى فشل الآخر.

إن الله يستطيع أن يسد كل هذه الاحتياجات. إن لم يسد الله هذه الاحتياجات، سيعيش المؤمن في الجسد وسيسلك كأولاد العالم (١كو ٣ :١-٣). إن النجاح الخارجي لا يعني أنك تحيا حياة النضج الداخلي. النجاح هو عطية من الله وينبغي أن نمجد الله على عمله في أجسادنا الضعيفة. لكن عندما ننضج داخلياً، سندرك أن معونتنا من عند الرب، وسنعتمد عليه في حياتنا اليومية، وسيكون هناك ثمر خارجي. لكي نجني الثمر، ينبغي أن يُقلَّم الغصن (يو ١٥:٢). بلا شك «الأنا» تقاوم هذه الفكرة، ولهذا السبب من الضروري أن يُصلب الجسد كل يوم (مت ١٦ :٢٤ ؛ غل ٥ :٢٤). إن لم يحدث هذا، لن يكون هناك ثمر، لكن ستظل «الأنا»، بكل ما فيها من علم وجاه وسطوة، بذرة واحدة، لن تموت، وبالتالي لن تأتي بثمر (يو ١٢ :٢٤).

لا تسمح لنفسك بأن تتأذى

في هذا السياق أقول أن الموت أمر رائع نوعاً ما (متّى ١٦ :٢٥ ؛ رومية ٦ :١١)، فهو الطريق الذي رسمه لنا الرب يسوع لنصبح ناضجين روحياً. إن كنت تتمتع بصورة ذاتية إيجابية، وتقبل عمل الروح القدس في حياتك، ستتمتع بنعمة

الله الغنية، الأمر اللازم لعملية النضج الروحي. إذا لم تدرك هذه الحقيقة فأنت تخدع نفسك، وبالتالي ستخسر بركات عظيمة. أن تكون ناجحاً وسليماً هذا أهم بكثير من أن تربح العالم كله (مت ١٦ :٢٦).

إن كان هناك أمر يؤذي النفس، القلب، الإنسان الداخلي، فهو السلوك الجسدي الدنيوي المدموج بالعمل الروحي، لذلك ينبغي أن نقدس المسيح في قلوبنا (١ بط ٣ :١٥). لقد أوصى الرسول بولس تلميذه تيموثاوس أن يحترس لنفسه (١تي ٤ :١٦). نحن في الكثير من الأحيان نلاحظ ونراقب الآخرين، فنحن جميعاً مصابون بمرض انتقاد الغير، والبر الذاتي، الذي فيه نضخم من إيجابياتنا، ونحتقر الآخرين. إن العلاج الوحيد هو أن تخرج الخشبة أولاً من عينك، ثم تساعد الآخرين ليخرجوا القشة من عيونهم.

الاتهام الباطل

عندما تعمل فيك موهبة النبوءة، قد ينتقدك البعض ويتهموك بأنك تريد أن تتعالى عليهم. لأجل هذا السبب، ينبغي أن يعرف النبي نفسه، كما أنه يجب أن يقاوم الضغط المستمر الذي يجبره على الصمت. إنها حيل دينية حين نوجه اللوم إلى الشخص الذي يرفض المشاركة في تبرير الوضع، فتنتقل الخطيئة إلى شخص آخر، والشخص الذي ليس لديه حل آخر يضطر للسكوت.

لقد اختبر كل من داود ونحميا هذا الموقف. لقد استهزأ إخوة داود به، لأنه ذهب إلى ساحة القتال، في حين أنهم أهملوا واجباتهم تجاه الله. لقد استهزأ قادة الدين بالرب يسوع، وأهانوه علانية. عندما نكون في المسيح نستطيع أن نواجه الشعور بالمرارة، ونقاوم روح الانتقام عندما يسخر الناس منا ويتكلموا علينا بالباطل. الأكثر من هذا، نستطيع أن نعتمد على الرب في تلبية احتياجاتنا ولا

نبحث عن مصادر أخرى كما يفعل أبناء هذا العالم. إن الشخص الذي له علاقة حميمة مع الله لا يحتاج إلى مديح من أحد، فنحن لا نحيا للعالم بل للرب الذي سيأتي يوماً ما وعندئذ سيُظهِر كل شيء ويدين بالعدل. لذلك نحن لا نخاف من الذي قد يكون له سلطان على قتل الجسد، لكن نحن نخاف من الذي له سلطان أن يرسلنا إلى جهنم.

الوحدة

يحتاج القائد لأن يكون قادراً على التعامل مع الوحدة، لأنه سيواجهها حتماً. الشعور بالوحدة الجسدية هو أحد مظاهر الوحدة. فالكثير منا يجد أنه من الصعب عليه أن يجلس منفرداً. في وقتنا المعاصر نحن نعيش في جو صاخب، وكثير من الناس يعيشون في حياة حافلة بالصخب والتوتر. هم يهربون من التوتر الداخلي من خلال انهماكهم في دوامة العمل والمتعة. السكون يجعلهم متوترين لأنهم تعودوا على الضجيج، لذلك يشغّلون التلفاز على الدوام أو أي مؤثرات صوتية أخرى ليقهروا الشعور بالوحدة والقلق. على القائد أن يقهر الوحدة الجسدية وإلا لن يستطيع أن يستمع إلى صوت الله. إنها ذات الوحدة التي شعر بها كل من موسى، إيليا، إرميا وآخرين. قد تشعر بهذه الوحدة، عندما تطيع كلمة الله، ثم تدرك أن الناس من حولك لا يفهمون كلمة الله ولا يقبلونها أو يوافقون عليها. سيبدأ العدو بالهجوم عليك، وقد يتهمك بالجنون، فتعود تنمّي علاقات شركة مع الناس مبنية على التنازل المتبادل. كثير من الناس تركوا الحياة الروحية بسبب تهجم أصدقائهم عليهم والسخرية منهم. وهكذا أصبحت الشركة مع الأصدقاء أهم من الحق، ومن شخص الرب يسوع، وتعلقت نفوس هؤلاء الأشخاص بأشياء أصبحت أكثر قيمة في حياتهم من الرب يسوع. إن هذا الهجوم لا يقتصر على حديثي

الإيمان، لكن قد يحدث في أي مرحلة من مراحل حياتنا الروحية. إن الرب يسوع يريد حياتنا بشكل كامل، واهتماماتنا وكل حبنا.

التألم لأجل المسيح

هناك وقت تُمتحن فيه المحبة من خلال الشعور بالوحدة. قد يشعر القائد كما لو أن "كل شخص يريد أن يتخلص منه". لكن إن صمد في الامتحان، عندئذ سوف ينمو ويختبر حضور الرب بطريقة أفضل في حياته. إن مثل هذا الحضور أثمن بكثير من أي مديح من قبل الناس.

إن الشخص الذي لا يريد أن ينتهي به الأمر إلى الشعور بالوحدة، قد تتحقق مخاوفه ويكتشف في النهاية أنه يعيش وحيداً. قد يشعر بالخوف في قلبه في كل مرة يأتي فيها إلى الله، لأنه يدرك أنه خذل الله. لكن الشخص الذي يحتمل الألم،الوحدة، العزلة، المقاومة لأجل المسيح لن يكون وحيداً "إن كان الله معنا فمن علينا!» (رو ٨ :٣١). هذا الشخص سوف يجد نفسه محاطاً بالأخوة والأخوات، بقلوب نقية وإيمان ومحبة للرب ولعمله. إن مثل هذا النوع من الشركة هو أمر رائع، وهو يعوض كل شيء. في مثل هذا الجو من الشركة يعمل الرب أي شيء، فنجده يتكلم بحرية، ويعمل أموراً عظيمة، من خلالها يتبارك آلاف الناس.

طرق التعامل

على القائد أن يراقب طرق تعامله دائماً. إن هذه الطرق لا تتعلق بمدى معرفته، لكنها تحدد الطريقة التي ينقل بها هذه المعرفة. إنها تلك الروح التي بها ينفذ المهام، وهي في تعبيرها أقوى من الكلمات.

موقف إيجابي إزاء كل الأمور

أولاً، القائد يجب أن يتحلى باتجاه إيجابي، حتى وإن وجد نفسه محاصراً بأمور سلبية، الأمر الذي قد يؤثر عليه بقوة. فالسلبية أمر مدمر. لأكثر من مرة تعامل الرب يسوع مع الأمور التي كانت موجودة في تلاميذه. فقد كانوا في أوقات كثيرة متوترين ومشوشين، محبطين وخائفين. كانوا أحياناً يثورون ويدينون بعضهم البعض. إن النظر إلى الظروف نظرة مجردة، قد تجعل المؤمن يُصاب بالسلبية، الأمر الذي قد ينتشر بل ويتأصل ويصبح عقيدة مقبولة في وسط بعض الكنائس. قد يقول القائد مدافعاً عن وجهة نظره «هذه هي طبيعة الكون»، لكنه لا يفهم أن إحدى مهام القائد أن يغير ما هو سائد. نحن دعينا لنغير الخريطة لا أن نقبلها مرغمين.

قد يُتهم الأشخاص الإيجابيون بأنهم بسطاء وساذجين، لكن لا تعر مثل هذا الكلام أي اهتمام. فالأشخاص «التحليليين، المعقدين» الذين يعطون تعليقات سلبية باستمرار عادة لا ينجزون الكثير. أظهر لهم الحب، لكن لا تتأثر بأفكارهم. تذكر ما قاله الرب يسوع في يو ١٤ :٢٧: «لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب»، نحن مدعوون لا لنقبل الأوضاع على ما هي عليه بل لنغيرها. في كثير من الأحيان كان الرب يسوع يعالج حالة الاكتئاب في تلاميذه، محاولاً أن يرفع من معنوياتهم. لقد انتهر العواصف وهدّأها، أخرج الأرواح النجسة من الناس، حوَّل الماء إلى خمر، أشبع خمسة آلاف شخص وأقام لعازر من الأموات. في كل هذه المواقف، لم يستطع التلاميذ أن يجدوا حلولاً للمشاكل المختلفة، لكن الرب يسوع كان لديه دائماً الحل، وما زالت في يديه كل الحلول لمشاكل اليوم أيضاً. إنه يريدنا أن نكتشف الحلول معه، لا أن نكون جزءاً من المشكلة ونصبح سلبيين. من خلال كلمة الله وإيماننا بمواعيده، نستطيع أن ننمي طريقة تعامل إيجابية في داخلنا.

ينبغي أن يكون للقائد اتجاهاً إيجابياً ليستطيع أن يغير ما حوله. قد يمثل التغيير بالنسبة لكثير من الناس نوعاً من التهديد، لكن لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا بالنسبة للقائد. تأكد أنه في كل تغيير، بغض النظر عما يبدو عليه الآن، عنصر إيجابي.

ينبغي أن يتمتع القائد بصورة ذاتية إيجابية. إن هذا ليس معناه أنه يعتمد على قدراته، لكن أن يدرك بصدق أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً بنفسه، لكن في المسيح يستطيع أن يعمل كل شيء. بدونه لا نستطيع أن نأتي بثمر، لكن به نستطيع أن نأتي بثمر كثير. لقد قال الرب لتلاميذه بكل جرأة: « كل شيء مستطاع للمؤمن» (مر ٩ :٢٣).

ينبغي أن يكون للقائد موقف إيجابي تجاه مركزه القيادي، بغض النظر عن حقيقة شخصه، فعليه أن يدرك أن الله دعاه دعوة حقيقية وعينه لهذه المهمة. الاعتذار المستمر عن ضعفك، ليس اتجاهاً إيجابياً. إنه نوع من التواضع الكاذب، والفكر السلبي. طيلة حياتي، لم أر طبيب أسنان يعتذر عن كونه طبيب أسنان ويكمل حديثه بأنه لا يعرف أن يعمل أي شيء بخصوص طب الأسنان. يقول الرسول بولس: «حسب نعمة الله المعطاة لي كبنَّاء حكيم قد وضعت أساساً» (١كو ٣ :١٠). كقائد أنت تمتلك قدراً من السلطة، ومن المهم أن لا تهرب من مسؤولياتك بأعذار ضعيفة وتعطي هذه المسؤوليات للآخرين، الأمر الذي سيكون له تأثيراً سلبياً مدمراً على العمل. لكن ينبغي أن يكون للقائد اتجاه إيجابي في مواجهة المشكلات. فالمشاكل جزء من حياتنا اليومية ولا يوجد شيء كامل، فكل شيء يحيط بنا نجد فيه عيوب ونقائص. هؤلاء الذين لا يريدون أن يواجهوا المشكلات، يمكنهم أن يطلبوا من الرب أن يأخذهم إلى بيتهم الأبدي. فنحن على الأرض نواجه مشاكل يومية. لكن المسألة لا تكمن في المشاكل بحد ذاتها، بل في موقفنا تجاهها. ليكن موقفك جزءاً من حل المشكلة، لا جزء

من المشكلة. فالمشاكل دائماً مؤقتة، وسوف تنتهي مهما طالت مدتها. هناك حل لكل مشكلة، مهما بدت عويصة. عندما نصلي ويكون لنا شركة مع الرب، يستطيع الروح القدس أن يعطينا حلولاً عجيبة للمشكلات. غالباً، لا نستطيع أن نصل إلى مثل هذه الحلول بأنفسنا. لكن عندما يكون لنا اتجاه سلبي، لن نطلب الرب، ولن يكون ذهننا متفتحاً على الحلول المختلفة. هل تتذكر ذلك الرد السلبي الذي قاله الجندي لأليشع عندما أخبرهم أن المجاعة التي استمرت طويلاً سوف تنتهي في الغد، لم يصدق هذا الجندي ما سمعه من رجل الله، حيث قال: «حتى لو فتح الرب كوى في السماء! هل يكون هذا الأمر؟» ثم رد عليه رجل الله وقال: «سترى ذلك بعينيك، ولكن لن تأكل منه» (٢مل ٧ :١-٢). قد يكون هذا هو رد فعل الكثيرين منا. إن سلبيتهم تغلق أذهانهم، لذلك لا يستطيعون أن يفكروا في الاحتمالات والحلول. وعندما يأتي الحل لا يستطيعون أن يؤمنوا به ويقبلوه. رغم أنهم قد يرون استجابة للصلاة، لكنهم قد لا ينالوا بركة هذه الاستجابة. إن السلبية أمر مدمر.

اتجاه له تطلعاته الحماسية

الاتجاه الثاني الذي ينبغي أن يتحلى به القائد هو اتجاه له تطلعاته الحماسية، ذلك الموضوع الذي تطرقنا إليه في الفصل الخاص بالقائد صاحب الرؤى. يقول الكتاب في مزمور ٣٧ :٣-٥ أن الله يعطيك سؤل قلبك. كلمة «سؤل» هي كلمة قوية فهي تعني «أمنية متأججة في داخلك». هناك أماني إيجابية تنبع من روح الله. عندما يتكلم الرب ويستجيب المؤمن، تبدأ سلسلة من الأحلام. فالمؤمن يريد أن يتم كل ما رآه. الرؤيا وحدها لا تكفي. إنها مجرد بداية، لكن من المهم أن تمتزج تلك الرؤيا بالحماس لكي تصبح واقعاً. إن التاجر الذي باع كل ما يملك ليشتري اللؤلؤة الثمينة كانت لديه الرغبة المتأججة المقترنة بالرؤيا (مت

١٣ :٤٤-٤٦). كان يعرف ما هو ثمين ومستعداً لأن يفعل أي شيء ليحصل عليه. كان يدرك أن حصوله على هذه اللؤلؤة الثمينة من الممكن أن يحدث تغييراً عظيماً في حياته. كانت هناك أيضاً مخاطرة. بالتأكيد، كانت هناك مشاكل في الطريق، لكن حلمه أن يقتني هذه اللؤلؤة كان أقوى من كل ما اعترضه. إن الحلم الذي يولد فينا سوف يغيرنا. إنه سيصبح أمنية متأججة ويغير كل حياتنا. إنه يزيح كل الحواجز، ويجبرنا لكي نفكر ونعمل بطريقة مختلفة. في النهاية، لا نفكر إلا فيه.

قال المصلح الاسكتلندي جون نوكس لله: «أعطني اسكتلندا وإلا سأموت». كان هذا حلم في أعماق قلبه. عندما يكون للقادة أحلام بمثل هذه القوة، قد تحدث أشياء كثيرة. سيحدث تغيير في الكنائس، والمدن والشعوب. إن الأشخاص السلبيين الذين لا يريدون التغيير، الذين لا يقبلون التحدي، لا يمكن أن يفهموا هذا. إنهم ليسوا من أصحاب الأحلام، ولا يسمحون للرؤى أن تتغلغل في داخلهم، ولا يفهمون هذا الأسلوب من الحياة. لكن كقائد عليك أن تعيش كذلك، وإلا لن يحدث أي تغيير.

اتجاه تخطيطي

الاتجاه الثالث هو اتجاه في مجال التخطيط. إن كنت ترى أمراً وتحلم به، عليك أن تخطط ليصبح هذا الأمر واقعاً. أتذكر يوماً، كنت أحلِّق فيه فوق السويد على ارتفاع منخفض في طائرة خاصة. وريثما كنت أحلق وأنظر من الطائرة إلى الحقول، والغابات، والطرق، وخطوط الكهرباء، تبادرت إلى ذهني فكرة: لم يأت أي شيء بالصدفة، فكل الأراضي المزروعة والممهدة في السويد كانت يوماً من الأيام عبارة عن غابات. كان لأحد الأشخاص رؤيا، أن تكون هناك حقول وحصاد وفير، لتحل محل الأرض البور المغطاة بالأحجار وأكوام

القش. بدؤوا بنزع الحجارة وتنظيف القاذورات، وخلقوا مساحة واسعة من الحقول، التي تنتج اليوم حصاداً وفيراً، عاماً بعد الآخر. بدون شك، كان هناك أشخاص حلموا أن تكون لديهم حقول لكنهم لم يبدؤوا في التخطيط لذلك. في كل مكان نجد أشخاص يحلمون، لكنهم لا يضعون أيديهم على المحراث، منتظرين أن يربحوا بسحب «اليانصيب».

كثير من المؤمنين خصوصاً الذين لديهم اتجاهات كاريزماتية، ينتظرون روح الله لدرجة أنهم لا ينجزون أي شيء. يرفضون بشدة أي فرصة يتيحها لهم الرب، لأنهم لا «يريدون» أن يعملوا هذا. إلا أن كثير من الفرص التي يعطينا إياها الرب لا يصاحبها شعور بأي شيء! أحياناً قد يكون رد فعلنا على هذه الفرص سلبياً، نتيجة المخاوف الداخلية من التغيير الذي قد يصاحبه الفشل. إن الشخص الذي لديه حلم، ويخطط لتحقيقه، يكون دائماً نشيطاً، ومجتهداً. نعم فالذي يبحث سيجد، الذي يقرع على الباب، سيفُتح له. فالأمر يستلزم إسهام من جانبنا، فهو لا ينزل من السماء، لكنه ينمو بالتدريج في التربة، التي هي قلوبنا.

إن كل حياتي كانت تدور في فلك خطة مدتها عشرين عاماً. لقد قضيت عشرين عاماً أبني كنيسة كلمة الحياة في أوبسالا – السويد. في السنوات العشرين التالية، سآخذ ما تمكّنت من تأسيسه إلى أماكن ذات أهمية إستراتيجية في كل أنحاء العالم. عندما بدأت العمل مع «كلمة الحياة»، لم تكن لدي أية فكرة عن مدى الاتساع والانتشار الذي سيصبح عليه هذا العمل، إلا أن زوجتي وأنا تبنينا الأحلام والخطط التي أعطانا إياها الله. الآن أعطانا الرب خطة جديدة، قد تبدو صغيرة، لكن عندما أضعها في مقارنة مع ما فعله معنا الرب في العشرين سنة الماضية، أستطيع أن أقول أنها ستصبح أعظم من كل توقعاتنا.

لماذا خطة على مدى عشرين عاماً؟ لأن الذي يعمله الرب أكبر مما نتخيله. لهذا نحن نحتاج إلى خطط، لكي لا نتوه في مشاكل الحياة اليومية، أو ننشغل

بالأمور الثانوية التي قد تبدو أنها جميلة، لكنها تقود إلى طريق خاطئ. نحتاج أن نخطط لنحقق النجاح. بدون تخطيط، سنتوه ونفشل في الأمور التي دعانا الله لنتممها.

فكر خلاق

الاتجاه الرابع هو أن يكون لدينا فكر خلاق. الله هو الخالق، وكل ما يعمله بديع ومتميز. نحن نريد أن نعمل كل الأمور على ذات المنوال. لكن بدون إبداع نصبح مجرد مقلدين. نحن خُلقنا لشيء أعظم وأفضل من أن نكون مقلدين. من الممكن أن تنظر إلى أي أمر من جوانب متعددة، وتستطيع أن تعمل أي أمر بطرق مختلفة. أحياناً نمعن النظر في أسلوب الآخرين في إتمام العمل، ونود لو أنهم قاموا بالعمل بدلاً منا. إن دل هذا على أمر، فهو يدل على أنك لست مبدعاً. إن كان الآخرون يعرفون أن ينجزوا هذه الأمور، أفلا يمكنك أنت أيضاً! لكن، لا أقصد بهذا أن يحاول كل شخص اختراع كل شيء من جديد، أو أن يعمل الأمور بطريقته الخاصة. كما سبق وقلت أن الكنيسة أعظم منا كأفراد! كثير من الذين سبقونا فعلوا أموراً نستطيع أن نستفيد منها. إلا أن كل شخص وكل قائد له فكره الخلاَّق الخاص به الذي يريد الله أن يستخدمه. نعم، فنحن أشخاص متميزون ومتفردون.

لكن الإبداع قد يعني أيضاً أن آخذ المبدأ القديم وأطبقه في دوائر جديدة. لقد برع الفنانون في هذا، فهم يتأملون ما هو موجود، ويضعونه في قالب جديد، وهكذا يخرجون إلى العالم تحفة فنية جديدة رائعة. إن هذا ينطبق أيضاً على العالم الروحي. نستطيع أن نقول أنه لا يوجد جديد تحت الشمس، لكن من جانب آخر نستطيع أن نقول أن كل شيء جديد. كم من البؤس أصاب أصحاب النفوس الحساسة نتيجة لعدم تصديقهم أن الله خلقهم فريدين، وبدون وعي انساقوا

وراء ما قاله لهم الآخرون؟ غالباً فعلوا هذا خوفاً من الفشل أو عدم إرضاء الله، في حين أن ما لا يرضي الله هو هذه العقائد الراسخة. الله ليس عادي، وكذلك أنت، إن كنت تقضي معه وقتاً. لذلك تخلص من كل الروتين والعادات المعطلة لك والتقاليد الخانقة، الأمور التي تعيق انسياب الإبداع الروحي.

هناك احتياجات كثيرة ينبغي أن تسدها. اكتشف هذه الأمور، وسوف يعطيك الله طريقة خلاقة لتقوم بها. اجعل الفكرة تنساب في ذهنك، واطلب من الله أن يعطيك فكره في الأمر، بدلاً من أن تجلس، منتظراً المعجزات. من الأفضل أن تكون في ذهنك خطط كثيرة، وتستبعد بعضاً منها، عن أن لا يكون لك أي خطط على الإطلاق. أنا شخصياً، لدي خطة لأكتب خمسين كتاباً آخراً، وأزور خمس قارات، لأنشئ خمسة عشر مركزاً قوياً في أماكن استراتيجية، هدفها إنشاء كنائس، مدارس، جامعات، مدارس للكتاب المقدس، وبرامج تلفزيونية روحية. لعل البعض يتساءل ويقول: «ماذا لو لم يكن لك الوقت لعمل كل هذه الأمور؟ أو ماذا لو فشلت في تحقيقها؟» هنا أجيب وأقول: على الأقل، أنا أنجزت أكثر مما لو كنت جلست في البيت لا أعمل أي شيء، متسائلاً هل هذه الأفكار من الله أم لا، وفي النهاية قد أستبعدها تماماً من ذهني.

اتجاه المحبة

الاتجاه الخامس هو اتجاه المحبة. إن القائد لا يبني ملكوته الخاص به، بل على العكس، هو يضع نفسه في خدمة الرب، ويكرس نفسه لطاعته وخدمته. إن رب الكون، هومحبة. كل شيء عمله الرب يسوع كان أساسه، ونقطة بدايته وهدفه المحبة. بدافع الحب، ترك الابن مجد الآب لكي يخلصنا. قلب الآب يئن وهو ينتظر رجوع أبنائه الضالين. فالمحبة تجد هدفها في شخص آخر وليس في نفسها. بسبب محبة الله الآب لنا، أعطانا كل شيء في المسيح يسوع الذي

أرسله لأجلنا. عندما نذهب إلى السماء سيتحول إيماننا إلى عيان. سنرى الرب كما هو. لن نمل أو نشبع من النظر إليه. هناك شيء واحد سيحركنا ويدهشنا ألا وهو الحب المتبادل بين الآب والابن والروح القدس. بلا شك سنندهش ونتعجب حتى أننا نحن الكنيسة الجامعة الممجدة مع الملائكة سنسبح الثالوث الأقدس على نعمته ورحمته ومحبته. سوف نرى أن خدمتنا الملتهبة وعبادتنا المتميزة هنا على الأرض، لا تساوي شيئاً بالمقارنة لما سنختبره في السماء، عندما نتخلص من كل محدوديتنا البشرية. فالتسبيح هو أفضل وسيلة للتعبير عن حبنا لشخص الله الحي الأبدي.

عندما كان الرب يسوع على الأرض، عبَّر عن محبة الآب في كل أمر فعله أو تكلم به. كخدام للرب يسوع، ليس علينا أن ننقل رسالته بكل أمانة فحسب، بل أن نكشف للناس عن روحه أيضاً. نحن رسالته: «لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا»(رو ٥ :٥). إن الطريقة التي تصرف بها الرب يسوع، وتعامل بها مع الصراعات، وأسلوبه في حل المشاكل، كانت كلها مبنية على المحبة.

إن المحبة الإلهية ليست مثل محبة البشر. فالعالم يرى المحبة بطريقة مختلفة. محبة العالم غالباً ما تكون محبة غير ملتزمة، وبلا مبادئ وتتغير مع تغير الظروف. أما المحبة في ملكوت الله، فهي تلك المحبة التي تكلم عنها الرسول بولس في (١كو ١٣) عندما وصف محبة الله التي تختلف تماماً عن محبة البشر. إننا قد نحيد عن هذا الإطار أثناء خدمتنا. نحن نتوقع تقديراً على ما نعمله، ونريد أن نحصل على مكافآت. نمتلئ بالانتقام عندما يهاجمنا أحد. نشعر أنه من حقنا أن نهاجم من لا يتفقون معنا في عقائدنا اللاهوتية. ننسى في كثير من الأحيان عمق رحمة الله وطول أناته علينا.

إن شعار محبة الله هو العطاء، لذلك ينبغي علينا أن نعطي. إن الرب يسوع

بحث عن الناس لذلك ينبغي علينا أن نفعل هذا. عندما تنمو في حياتنا المحبة بالتدريج، يكون من السهل علينا أن نتعامل مع الظلم الذي يأتي علينا في الحياة. لا نحتاج أن ندافع عن أنفسنا باستمرار. نستطيع أن نسير ميلاً آخراً، ولا نشعر بخيبة الأمل بسبب عيوب الآخرين. في العالم، تحتاج أن تحمي نفسك من الخداع والاستغلال. أما في ملكوت الله، فالله هو الذي يقوم بهذا الدور، فهو أفضل قائد يحميك. إنه يكشف أمر هؤلاء الذين يريدون أن يسببوا لك الأذى أو يبعدونك عن العمل تحت مزاعم مزيفة. إنه يحذرك عندما يكون الوضع خطيراً، ويتولى أمر من يقاومونك ويضطهدونك. في هذه الأوقات العصيبة عليك أن تكون قريباً من الرب يسوع ولا تسمح لنفسك أن تُحبط بسبب الناس. تذكر أن البشر هم بشر، سواء في الخير أم الشر. ليس هناك أي مبرر لانجراح المشاعر بسبب الظلم، فالرب يسوع مات، وأعطانا مثالاً رائعاً على الغفران التام.

كقائد، ستعمل دائما مع أشخاص غير كاملين، كما أنك أنت أيضاً لست كاملاً. عندما يرتكب مساعدوك بعض الأخطاء، التي قد تكون مكلفة، بلا شك ستشعر بالتوتر، وربما بخيبة الأمل. في بعض الأحيان قد تتمنى أن يعمل معك أشخاص آخرون، لكنك لا تجدهم. عليك أن تعمل مع المجموعة التي معك، فقد أرسلهم لك الرب يسوع بكل ما فيهم من نقائص، وعليك أن تحبهم، تحميهم، تدربهم، وتنميهم. من السهل أن تفقد صبرك، وتطلب منهم أن يكونوا كاملين، لأنك لا تريد أن تتعامل مع كل هذه المشاكل، لكن هذا ليس بالأمر البسيط. بالصبر سوف ترى كيف أن هؤلاء الأشخاص الذين قد تعتقد أنه لا رجاء فيهم، سينمون ويثمرون بطريقة لا يمكن أن تتخيلها. هذا هو أعظم شيء رأيته من خلال تدريبي للناس. طوبى للشخص الذي يستطيع أن يرى القدرات الكامنة في الآخرين، في حين لا يرى الآخرون إلا النقائص في غيرهم. طوبى لذلك الذي يستطيع أن يساعد في تنمية هذه القدرات الكامنة. أنا ممتن لرجال الله الذين لم

يبعدوني عن العمل، بل بصبر دربوني وصححوا أخطائي. بدون مساعدتهم، لم أكن بأي حال من الأحوال وصلت إلى ما أنا عليه الآن. طالما أن الناس يريدون أن يصححوا طرق تعاملهم في الحياة، علينا أن نساعدهم، مهما كان الأمر صعباً.

الغفران

أود أن أتكلم قليلاً عن الغفران. قد تسمع الناس يقولون: «أطالب بالاعتذار!»، بغض النظر عن المخطئ، ليس من الصواب أن تطالب الآخر بالاعتذار. إن التزامنا الوحيد هو أن نغفر لمن يخطئ إلينا. إن العالم يطالب بالاعتذار، لكن نحن نغفر، ومن يغفر ينسى. تقابلت مع أشخاص كانوا يفتخرون بأنهم غفروا كثيراً لهذا وذاك، لكن في ذات الوقت يتحدثون عن أخطاء هؤلاء الذين غفروا لهم بالتفصيل، ويبدؤون بالتحامل عليهم. يبدو أن الغفران لم يكن من أعماق قلوبهم، وإلا كانوا قد نسوا كل شيء. إن الغفران الحقيقي معناه استعادة العلاقات المحطمة، وتعود كما لو لم يكن قد حدث أي شيء. هذا ليس بالأمر السهل، إنه يتطلب أن نكون في المسيح، وهو يحتاج إلى قوةٍ تُعادل قوة الشفاء بتحقيق معجزة. إنه ليس بالأمر المستحيل، وتحقيقه أمر ضروري.

المعاناة

القائد يكون دائماً في موضع تفحص دقيق وانتقاد، وعليه أن يتكيف مع هذا. النقد من الخارج أسهل بكثير من النقد من أحد أعضاء المجموعة. لكن الانتقاد والافتراء من هؤلاء الذين يساعدهم القائد يكون أصعب، خصوصاً عندما يكون القائد في وضع لا يسمح له بالكلام ولا يستطيع أن يُظهر الوجه الآخر من

الصورة ليبرئ نفسه. هذه بعض المعاناة التي على القائد أن يتحملها. إن الرب هو الديّان العادل الذي يرى كل الأمور على حقيقتها، لذلك يجب على القائد أن يستودع كل الأمور بين يدي الله. المحبة تجعلنا نصمت، نتألم ونحتمل كل شيء.

يتحدث الكتاب عن المعاناة التي نجونا منها بفضل الخلاص، لكنه يتحدث أيضاً عن معاناة أخرى علينا أن نحتملها. يقول الكتاب في (١بط ٤ :١٩): «فإذاً، الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل الخير»، إن هذا الألم يشمل التعرض للافتراء والمقاومة والاعتراض. يقول الرسول بطرس أنه إن كنا نُشتم من أجل اسم المسيح فهنيئا لنا، لأن روح المجد، أي روح الله، سيحل علينا (١بط ٤ :١٤-١٦). كل شيء في داخلنا يريد أن يتمرد على هذا الأمر، بل أحياناً نشعر أننا مدفوعون للدفاع عن أنفسنا، وقد ينتهي بنا الأمر بأن يتولد في داخلنا إحساس مر. إلا أن هذا لن يرضي الرب يسوع ولن يحل المشكلة. الله يعطينا القوة لنحتمل هذا الألم. إن الألم البسيط الذي قد نحمله لا يقارن بالألم الذي احتمله الرب يسوع عنا عندما ضُرب وأُهين وهو يحمل الصليب للموت من أجلنا. من خلال ما فعله لأجلنا، أعطانا نعمة بها نستطيع أن نحب، ونبارك أعداءنا. في كثير من الأوقات يعمل الناس ما يعملوه لأنهم لا يعرفون أن يعملوا أفضل من هذا. ولولا نعمة الله لكنا قد فعلنا أسوأ مما فعلوا. لذلك ليس لدينا شيء نفتخر به. نستطيع أن نشكر الله ونتحمل ما يجب علينا تحمله. إن الرب يسوع سوف يتعامل مع الموقف، ويقلب كل الأمور نحو الأفضل، كما فعل مع يوسف، «أنتم قصدتم لي شرا أما الله فقصد به خيرا لكي يفعل كما اليوم ليحيي شعبا كثيرا» (تك ٥٠ :٢٠). إن نتيجة المعاناة التي تحملها يوسف لم تكن استعادة علاقاته مع إخوته فحسب، بل إنقاذ حياة الكثير من الناس. إن كنا نتعامل مع الخطأ والظلم بطريقة سليمة، قد يكون هذا مع

مرور الوقت سبب بركة من أجل الكثير من الناس، والمحبة هي التي ستنتصر !

يسوع – المثال الأعظم للقائد

.... الفصل الثاني عشر

يقول كاتب الرسالة للعبرانيين: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع» (عب ١٢: ٢). الرب يسوع هو فادينا، لكنه أيضا قدوتنا، فهو يقدم مثالاً لحياة بلا خطيئة، ومستوى أخلاقي سامي، ومحبة ليس لها مثيل. ولم يكتف بهذه التعاليم، بل كانت حياته أعظم مثال لتوضيح كيفية تنفيذ تلك التعاليم. إنه أعظم نموذج للقائد على مر التاريخ. نستطيع أن نتعلم من قادة آخرين ونتبنى مبادئهم، لكن لا يمكننا أن نضع أي منهم في مقارنة مع الرب يسوع، لا من حيث الحياة التي عاشها، ولا من حيث التصرف كقدوة، لأن يسوع هو إله ١٠٠٪ وكذلك إنسان ١٠٠٪، لذا فهو قادر على أن يُظهر لنا مَن هو الله، وكيف يمكن أن يكون الإنسان. فالقيادة هي جزء من الحياة البشرية، ولا يستطيع أحد أن يعبر عن دور وجوهر القيادة الحقيقية إلا شخص الرب يسوع. أي قائد آخر مهما كان مبدعاً ومتمكناً، فهو يحمل آثار الخطيئة المتوارثة، ولديه بعض العيوب والنقائص الخاصة بالبشر. نستطيع أن نرى ذلك في دوافعه، وسائله أو في النتائج. حتى أكثر القادة نجاحاً وتميزاً لديهم جوانب مظلمة في حياتهم، دوافع خاطئة، أو حياة غير مقدسة. الرب يسوع هو الشخص الوحيد الذي تكمن فيه الطهارة والحرص التام والصدق. بالطبع، هذا لا يعني أننا لا نستطيع أن نتعلم من قادة الأمس واليوم، من رجال الدولة، الفلاسفة، رجال الأعمال، أو

الأشخاص المثاليين من كل الأطياف. فهم قد يقدمون لنا بعض الأمثلة العملية، ولكن على الكل الأحوال لا يمكن مقارنتهم مع المعلم الناصري.

إدراك قوي للدعوة

نستطيع أن نرى في الرب يسوع إدراكه الواضح لدعوته. فهو يعرف من هو، من أين أتى وإلى أين يذهب وماذا يفعل. يقول الكتاب في (عب ١٠: ٧): «هنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ». وأيضاً، قال يسوع لتلاميذه في (يو ٢٠: ٢١): «كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا». الرب يسوع لديه إدراك واضح عن من الذي أرسله، ولذلك فهو لم يرسل التلاميذ فحسب، لكنه علّمهم أيضاً بأنه من الذي أرسلهم.

في يوحنا ١٧، يَظهر إدراك الرب يسوع لدعوته بوضوح، إذ يقول في الآية ٤: «أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ»، فهو يدرك أنه تمم جزءاً من مهمته. في الآية ١٣ يقول: «أَمَّا الآنَ فَإِنِّي آتِي إِلَيْكَ. وَأَتَكَلَّمُ بِهذَا فِي الْعَالَمِ لِيَكُونَ لَهُمْ فَرَحِي كَامِلاً فِيهِمْ»، فالرب يسوع كان يدرك تماماً ما الذي سيحدث، وإلى أين هو ذاهب. كان يعرف هدفه بوضوح، الصليب والمجد.

عند هذه النقطة، كان الرب يسوع قد تمم الجزء الخاص بدعوته على الأرض، وكان عليه أن ينقل هذا لتلاميذه. في يو ١٧: ٨ صلى الرب يسوع من أجل تلاميذه: «الْكَلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ، وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي». لقد استودع الرب يسوع تلاميذه للآب،وكان يدرك أنه تمم هذا الجزء من خدمته. هنا نستطيع أن نرى أهمية تركيز الرب يسوع على التلمذة. فلم يكن مجرد واعظاً، شافياً، نبياً ومعلماً، لكنه

كان مُعد تلاميذ. كان يدرك تماماً أن نجاحه في العمل لن يتحقق إلا إذا استمر تلاميذه في إتمام ذلك العمل. لذلك، كانت التلمذة أمر ضروري بالنسبة للرب يسوع. كانت أكثر أهمية من إدراك المؤمنين لها على مر العصور.

عندما جاء الوقت ليترك يسوع تلاميذه ويصعد للآب السماوي، ترك لهم وصية أخيرة وهي الإرسالية العظمى. لقد قال بوضوح في مت ٢٨: ١٨ –٢٠: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ». لذلك عندما يقبل الناس الرب يسوع من كل الأمم ويتوبوا عن خطاياهم، يجب أن يصبحوا تلاميذ. لكن، كيف يحدث هذا؟ بنفس الأسلوب الذي اتبعه الرب يسوع مع تلاميذه. لذلك من الضروري أن ندرك تركيز الرب يسوع على التلمذة، ونرى كيف كان يدرب تلاميذه، فهو أعظم مثال يمكن أن نتعلم منه.

كيف أعدّ يسوع تلاميذاً

بدأ يسوع بجمع تلاميذه. لقد دعا يسوع تلاميذه في مت ٤: ١٨ –٢٢. طلب منهم أن يتبعوه ليجعلهم صيادين للناس. هذا ما جعلهم يتجاوبون معه. ما كانوا سيتجاوبون مع واعظ يعدهم بالبركات، فهم ليسوا من هؤلاء الأشخاص الذين يجلسون في المقاعد منتظرين خدمة من الآخرين، لكن الرب يسوع دعاهم لترك شباكهم واتباعه. كان هذا الأمر بالنسبة لهم تضحية. هذا ما يميز التلميذ عن العضو في الكنيسة. فالرب يسوع لا يتحدث عن أعضاء، لكنه يتحدث عن تلاميذ.

التلميذ هو ذلك الشخص الذي يتبع سيده ولديه استعداد للتعلم منه. أما السيد فلديه الاستعداد لمشاركة تلميذه بخبراته ومهاراته ليدربه في مجال عمله، كنجار، فنان، فلاح أو كهربائي. فالتلميذ يحتاج أن يتعلم من معلمه حتى تستمر

المهنة، ويتعلم مهارات وأسرار تلك المهنة. كذلك يحتاج أن يتبع معلمه ويطيعه، ويكون لديه الاستعداد للتعلم. هذا ما فعله الرب يسوع مع تلاميذه. كانت مهمته هي «الخلاص»، وكان يريد أن يدرب تلاميذه على نفس المهمة: ربح النفوس. هناك جانبان لهذا الأمر، الجانب الأول هو الكرازة، أما الجانب الثاني فهو البناء الداخلي للتلاميذ. الرب يسوع درب تلاميذه على هذين الجانبين: الخارجي والداخلي. لقد دربهم من خلال التعليم وكذلك من خلال كونه قدوة لهم.

من المثير أن نذكر أن الرب يسوع عندما كان يشفي المرضى، كان يصلي صلاة قصيرة أو ينتهر مباشرة المرض. ولكن عندما أراد أن يختار تلاميذه، قضى الليل كله في الصلاة (لو ٦: ١٢ –١٣). كان هؤلاء الرجال الإثني عشر الذين دلّه عليهم الآب هم الذين شاركهم حياته بطريقة خاصة. لقد أعطاهم معظم وقته، وقدم لهم تعليماً خاصاً. لم يكن تلاميذه من النخبة، ولم يكونوا أكثرا تأهيلا من الآخرين من حولهم، ربما كانوا أكثر جوعاً لله، لكن كانت لديهم مواضع ضعفهم ونقائصهم. لعل بعض الناس في عصرنا الحديث لا يوافقون على الطريقة التي اختار بها الرب يسوع تلاميذه، لكن الرب يسوع لم يكن يقصد من اختياره للتلاميذ أن تكون له مجموعة من النخبة، لكنه كان يريد أن يخدم أكبر قدر من الناس بطريقة فعالة. لقد رأى الرب يسوع العالم بأكمله وكأنه يتعامل مع تلميذ واحد. لقد كان يدرك أنه لو درب شخصاً واحدا، هذا الشخص يستطيع أن يدرب آخرين، وهكذا يستطيع أن يصل إلى العالم بأكمله. نعم، لقد نجح الرب يسوع، ومن خلال الأحد عشر تلميذ استطاع أن يصل لكل العالم. ملايين الأشخاص آمنوا بالرب يسوع من خلال التلاميذ، الذين دربوا تلاميذ آخرين، وهؤلاء دربوا آخرين وهكذا. يالها من قوة هائلة، فهي تشمل أكثر من مجرد إلقاء عظة على الجموع. مع أهمية الوعظ، العبادة، التشفع والمناولة إلا أن كل هذه الأمور ليست كافية. لقد كان تركيز الرب يسوع على تدريب، تلمذة

وإرسال تلاميذ.

أسلوب الرب يسوع في تدريب تلاميذه

استخدم الرب يسوع ثلاثة طرق في التعليم:

أ- كان يسوع يعظهم ويعلمهم.

الوعظ معناه الإعلان. التعليم يعني الشرح. هذا ما فعله الرب يسوع. لقد رجع إلى الجليل بقوة الروح القدس: «وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ،وَيَقُولُ:«قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ»».(مر ١: ١٤، ١٥). عندما كان الرب يسوع يعظ، كان كلامه يلمس قلوب الناس. لم يستخدم لغة معقدة، أو نظريات أو تعريفات. لكنه تحدث بوضوح وبصراحة تلمس حياة الناس، إلا أن كلامه كان بقوة وسلطان (مر ١: ٢٧). لقد تعجب التلاميذ لأنهم لم يسمعوا مثل هذا الوعظ من قبل. في البداية، هم كانوا يدركون على الأرجح أن واحداً من أهداف الرب يسوع أن يعلمهم كيف يبشروا بالإنجيل.

اشتمل التدريب على التعليم أيضاً. ففي كل الأناجيل نستطيع أن نرصد عدداً من الدروس (المحاضرات) التي قدمها الرب يسوع، خصوصاً لتلاميذه. لعل أفضلها ما نسميه موعظة الجبل: "ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل فلما جلس تقدم إليه تلاميذه. فعلمهم قائلا.....» (مت ٥ :١-٢).

عندما كان الرب يسوع يعلّم، كان يختار أمثلة بسيطة من الحياة. لقد تحدث عن الرياح، الماء، الأرض، الزرع والحصاد، الخمر، وكثير من الأمور الأخرى التي يعرفها الناس. من العجيب أن ترى أنه لم يستخدم إلا القليل من التعابير اللاهوتية واللغة الأكاديمية التحليلية. حتى في هذه الأمور، نجده مثالاً لنا. لقد

تحدث أيضاً بأمثال، وكان يفسرها بعد ذلك لتلاميذه. كان يتكلم بأمثال لأن كثيراً من الناس كانوا «مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون» (مت ١٣ :١٣).

ب- *كان الرب يسوع مثالاً لهم:*

قال الرب يسوع في يو (١٣ :١٥): «لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً». هناك أمر مهم كان الرب يسوع يريد أن ينقله لتلاميذه وهو الحياة بالإيمان. الإيمان هو الثقة، كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: « وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى» (عب ١ :١). لقد وضع الرب يسوع تلاميذه في مواقف كثيرة ليمتحن وينمي إيمانهم. كان هو شخصياً يحيا في التزام يومي وطاعة، وثقة في الآب.

«أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً. كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني..... لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الآب يعمل. لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك.» (يو ٥ :٣٠، ١٩).

بلا شك لقد انبهر التلاميذ بتلك العلاقة الحميمة التي كانت تربط الابن بالآب. ترى من هذا الذي يتمتع بمثل هذه العلاقة مع الله؟ لقد وضح الرب يسوع هذا عندما تحدث مع المرأة السامرية عند البئر. لم يسمع التلاميذ هذا الحوار، لأنهم كانوا يشترون الطعام، وعندما عادوا قال لهم الرب يسوع: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله» (يو ٤ :٣٤). كان الرب يسوع مطيعاً لأبيه، لذلك كان يحيا مطمئناً. كان على استعداد لئلا يعيش لنفسه بل ليعمل إرادة الآب. كانت إرادة الآب تمثل له القوة، الفرح، الاكتفاء والحياة. كانت طريقة حياته هذه أمراً مذهلاً ومدهشاً بالنسبة لتلاميذه.

من المهم أن نوضح أن الرب يسوع لم يكن مثالاً في حياته الظاهرية فحسب، لكن فوق الكل كان مثالاً في حياته الداخلية وفي علاقته مع الآب. فالشخص الذي يطيع الله، هو فقط الذي يستطيع أن يكون في علاقة حميمة معه ويختبر حضوره وسلامه.

كان هذا واضحاً في حياة الرب يسوع كل الوقت، وكانت هذه العلاقة مصدراً للقوة والإعلان. فلا عجب إن تساءل الجميع: «أي كلمة هي هذه؟ فإنه بسلطان وقدرة يأمر الأرواح النجسة فتخرج» (لو ٤ :٣٦). لكننا نرى مثالاً آخر عندما أراد الرب يسوع أن يقوي إيمان تلاميذه، طلب منهم أن يأخذوا السفينة ويعبروا بها إلى الشاطئ المقابل في بحر الجليل، فهبت عاصفة شديدة وأخذت الأمواج تضرب القارب، وكان الرب يسوع نائماً بينما كان التلاميذ في خوف وفزع. عندما أيقظوه، قام وانتهر الريح فهدأت. بعد ذلك سألهم وقال لهم: «ما بالكم خائفين هكذا؟ كيف لا إيمان لكم؟» (مر ٤ :٤٠). لقد أعطى الرب يسوع اهتماماً أكثر لثلاثة من تلاميذه، وهم الذين كانوا مقربين له أكثر من الباقين: بطرس ويعقوب ويوحنا (مر ٥ :٣٧). وأحياناً كان يأخذ معه بطرس فقط. من خلال أعماله، وتوجهاته، وكلماته، بل ومن خلال كل كيانه، وضح الرب يسوع ماهية ملكوت الله، وكيف يمكن أن ينتشر.

في جتسيماني، عندما قطع بطرس أذن ملخس عبد رئيس الكهنة، شفاه الرب يسوع. عندما اتهمه الأعداء، لم يدافع عن نفسه. عندما كان الشعب جائعاً، أعطاهم طعاماً. لقد شفى المرضى، أخرج الأرواح النجسة، أقام الموتى. لقد سمح لبطرس أن يكون معه عندما أقام ابنة يايرس من الأموات (مر ٥ :٣٥-٤٣). فيما بعد كان لبطرس ذات الاختبار عندما أقام طابيثا من الموت (مر ٩ :٤٠). لا أعتقد أنه كان بإمكان بطرس أن يجري هذه المعجزة إن لم يكن قد رأى الرب يجريها مع ابنة يايرس.

ج- أرسلهم الرب يسوع في مهمة تدريبية

عندما أرسل الرب يسوع تلاميذه، أعطاهم سلطاناً. لقد دعاهم أولاً لعنده، ثم أعطاهم سلطاناً لشفاء الأمراض، وسلطاناً على الأرواح النجسة. بعد ذلك أرسلهم لينادوا بملكوت الله ويشفوا المرضى (لو ٩ :١-٢). كان يرسلهم عادة إلى أماكن سيزورها في وقت لاحق (لو ١٠ :١). عندما ذهب التلاميذ للأماكن التي أرسلهم إليها الرب، تعجبوا لما حدث عندما كرزوا وصلوا للناس باسم المسيح. عندما عادوا بعد هذه الإرسالية كانوا مندهشين، نقرأ في لو ١٠ :١٧ أن السبعين رجعوا بفرح قائلين: يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك. بعد أن عادوا جلس الرب يسوع معهم، وبدأ يقيِّم ما كانوا قد نطقوا به وعملوه (مر ٦ :٣٠). أحيانا كان يشجعهم، وفي أحيان أخرى كان يصحح من مفاهيمهم. عندما رأى الرب يسوع أنهم فرحوا أكثر من اللازم بسبب النتائج المبهرة التي رأوها، وجه أنظارهم لأن يفرحوا من أجل ملكوت الله بدلاً من أن يفرحوا من أجل النتائج (لو ١٠ :٢٠).

منح السلطان يعني تحميل المسؤولية. فالتلاميذ لم يكونوا مجرد مستمعين خاملين أو متفرجين معجبين، لكنهم تبعوا يسوع ليتدربوا على الخدمة. إرسالهم للخدمة، لم يعني أنهم كانوا قد أتموا تدريبهم. إن إرسالهم للخدمة كان جزءاً من تدريبهم، لكي تُنمّى قدراتهم ويكتمل تأهيلهم. لكن الأهم هو أن يمارسوا إيمانهم بطريقة عملية. ربما ارتكبوا أخطاء كثيرة، خصوصاً ما يخص طرق تعاملهم. لقد رأينا كيف أن يعقوب ويوحنا طلبا بإنزال نارٍ من السماء على القرية التي رفضت أن تقبل الرب يسوع. ولم يكن توما يريد أن يعود إلى اليهودية عندما سمعوا أن لعازر قد مات. كانوا يتشاجرون كثيراً مقارنين بعضهم ببعض ليروا من هو الأعظم، والأكثر روحانية. كان الرب يسوع يعالج كل هذه الأمور عندما كان يسير معهم ويرسلهم في إرساليات مختلفة. كانوا يتدربون على العمل من

خلال معايشة حقيقية.

إن مثل هذه الطريقة في العمل من خلال فريق يتشارك في خبرات الحياة، ويتدرب، ويُرسَل، ويعود بعد الإرسالية للتقييم والتشجيع والتصحيح، أصبحت في طي النسيان في أماكن كثيرة. أصبحنا أشخاص روحيين غير منتجين بل مستهلكين! نعيش حياتنا على حساب أشخاص مشهود لهم «بالنجومية» روحياً، حيث أنهم يحققون بطولات بالنيابة عنا. أصبحت أهدافنا في الحياة هي الراحة، الاسترخاء، المتعة، التسلية، بدلاً من أن نكون تلاميذ متشبهين بالرب يسوع. إن هذا قادنا إلى نوع من الخمول الخطير، وعدم الاختلاف عن أهل العالم، الأمر الذي يضعف المؤمنين. إن هذا الضعف سيجعلنا غير قادرين على استيعاب الحياة المسيحية، فلا نُسلّم ذواتنا بالكامل للرب يسوع، وبالتالي لا نصبح تلاميذاً حقيقيين. كتلميذ، أحتاج أن أنفتح على التدريب المستمر، الالتزام والنمو في حياتي الروحية. نحن نحتاج الآن أكثر من أي وقت مضى إلى أن نغير من طريقة تفكيرنا، حتى يستطيع جسد المسيح أن يتدرب ويصبح جيشاً، وعندئذ من الممكن أن يُرسل كل منا لإتمام الإرسالية العظمى.

طريقة الرب يسوع في مقابلة الأشخاص

كانت خدمة الرب يسوع نشيطة وعامة. كان دائماً بين الجموع. عندما كان ينسحب ليجلس منفرداً أو مع تلاميذه، كان هذا لكي يستمد قوة من الآب حتى يتزود بالطاقة والحكمة ليكون قادراً على الاستمرار في خدمة الجموع.

كوَّن الرب يسوع فريقاً ليستطيع أن يخدم الجموع بفعالية أكبر، حتى يمتد ملكوت الله على الأرض من خلال تلاميذه، بعد أن يصعد إلى السماء. كانت خدمته على الأرض قبل أن يُرفع على الصليب هي أن يبشر بملكوت الله ويعلّم

ويُظهر ذلك من خلال حياته: «وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب» (مت ٩ :٣٥). كانت خدمته متعددة الجوانب وتتسم بالمرونة. فمن جانب كانت تتنوع ما بين الوعظ والتعليم. من جانب آخر كان الرب يسوع خادماً متجولاً يذهب إلى المدن والقرى وإلى كل مكان. كان يسد احتياجات الناس في كل مكان. كان ممتلئاً بالحنان: «ولما رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها» (مت ٩ :٣٦). إن قلب يسوع الذي كان يشعر باحتياجات الناس الجسدية والروحية جعلته يتحنن عليهم. لقد شفى المرضى، دعَّم الناس بطرق عديدة. عندما اتجه بقلبه تجاه المتألمين، رأى بوضوح المشكلة، لقد كانوا كخراف لا راعي لها. بلغة أخرى، لقد كانت مشاكل الناس ومعاناتهم نتيجة عدم وجود قيادة. وبالتالي، لم يخصص الرب يسوع كل وقته في شفاء المرضى بنفسه، لكنه شجع تلاميذه أن يشتركوا في حل المشكلة.

عندما قال الرب يسوع لتلاميذه في (مت ٩ :٣٧-٣٨): «الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده»، كان يريد أن يقلب ترتيب الأولويات. نحن نود أن نصلي لأجل النهضة، لكن الرب يسوع كان يدرك أن النهضة، الحصاد موجود من قبل. إن الحصاد ليس هو المسألة الكبرى، بالرغم أن هذا هو ما نعتقده. إن المسألة تكمن في عدم وجود فعلة أو قادة. فعدم وجود النهضة يرجع أساساً إلى مشكلة في القيادة. إن كان لدينا قادة ورعاة، فقد كان من الممكن أن يدربوا قادة: فعلة، وبالتالي نستطيع أن نجمع الحصاد. شجع الرب يسوع تلاميذه في (يو ٤ :٣٥) عندما قال: « أما تقولون إنه يكون أربعة أشهر ثم يأتي الحصاد؟ ها أنا أقول لكم: ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيضت للحصاد!». نحن أحياناً نتساءل ونقول: أين الحصاد؟. الرب يسوع يشير ويقول أنه هناك، نحتاج أن نرفع أعيننا لنراه. فالحصاد ليس

هو المشكلة، لكن المشكلة في الفعلة. إن لم يكن لدينا خدام، نستطيع أن نصلي لأجل النهضة كما نشاء، لكن عندما تأتي النهضة، نكون غير مستعدين لها على الإطلاق. إن الله لن يسمح بخسران الحصاد لعدم استعدادنا. لهذا، طلب الرب يسوع من تلاميذه أن يصلوا لأجل الفعلة، وبعد ذلك أعطاهم سلطاناً أن يذهبوا إلى الحصاد (مت ١٠: ١).

التدريب الخاص بواسطة الرب يسوع

سبق وذكرت أن الرب يسوع كوَّن فريقاً، وأولى اهتماماً خاصاً ببعض الأشخاص. كان لديه سبعون رسولاً، لكن كان لديه أيضاً إثنا عشر تلميذاً. من بين هؤلاء الإثني عشر، كان هناك ثلاثة يقضي معهم وقتاً إضافياً. فعلى سبيل المثال أخذهم معه إلى جبل التجلي وإلى جتسيماني. لكنه كان أحياناً يُشرك معه بطرس فقط، الذي كان يدربه ليصبح قائداً. لقد قيل الكثير عن وضع بطرس المتميز، لن أتحدث عن هذا الأمر بالتفصيل ، لكن بلا شك أن الرب يسوع درب بطرس تدريباً خاصاً، نظراً لمهمته القيادية المستقبلية. عندما دعاه الرب يسوع قال له: «أنت سمعان بن يونا. أنت تدعى صفا، الذي تفسيره: بطرس» (يو ١ :٤٢). استخدم الرب يسوع ذات الكلمات عندما اعترف بطرس أن المسيح هو المسيا في مت ١٦ :١٦-١٨ . بلا شك إن كل من اعترف بالمسيح أنه المسيا، وبطرس نفسه، يمثلان جزءاً من الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة. وهكذا كان لبطرس كقائد دوراً خاصاً في بناء الكنيسة. وعلاوة على ذلك كان بطرس هو الشخص الوحيد الذي قال له الرب يسوع: «سِمْعَانُ، سِمْعَانُ! هَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَمَا يُغَرْبَلُ الْقَمْحُ، ٣٢وَلكِنِّي تَضَرَّعْتُ لأَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَخِيبَ إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ، بَعْدَ أَنْ تُسْتَرَدَّ، ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لو ٢٢: ٣١). كما كان هو الشخص الذي ردّه الرب يسوع واختاره لخدمة هامة (يو ٢١ :١٥-١٨).

لعلنا نتذكر أيضاً الرسالة الخاصة التي أرسلها له الرب يسوع عن طريق النساء اللواتي رأين القبر الفارغ (مر ١٦ :٧). إنه بطرس الذي وعظ في يوم الخمسين (أع ٢)، وهو أول من بشر الأمم في القيصرية (أع ١٠).

إن المبدأ هو : كلما كانت خدمتك لها خصوصية أكثر، كلما كان عليك أن تكون أقرب إلى الرب يسوع. كلما كانت هناك صعوبات ومشاكل أكثر، كلما كنت في حاجة إلى تدريب أكثر مع يسوع. ليس كل شخص مؤهل للتعامل مع هذه الأمور، فالبعض يفشل وينسحب. لقد أنكر بطرس الرب يسوع، لكنه تاب وعاد. لقد أخطأ يوماً من الأيام واضطر بولس لأن يوبخه علانية (غل ٢)، لكنه لم يفشل. لقد تمم ما طلبه منه الرب. إن الوقت الذي درب فيه الرب بطرس بطريقة شخصية، كان بلا شك عاملاً حاسماً في النمو الروحي لبطرس، وسبباً في نجاحه.

اتجاه الخدمة

إن علاقة الرب يسوع مع تلاميذه لم تكن مجرد تدريبهم على الخدمة، لكنه كان يخدمهم ويسد احتياجاتهم. على سبيل المثال نجد في يو ١٣ :٤-٥، كيف غسل أرجل تلاميذه. لقد وضح الرب يسوع هذا في قيادته للفريق من خلال خدمته لهم بمحبة. لقد دعاهم «خاصته» ليس كممتلكات، لكن كمسؤولية أعطاها إياه الرب ليعتني بهم. كان يدرك أنه سيدهم، لكنه لم يتكبر عليهم ، فيقول في يو ١٣ :١٣-١٥: «أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأني أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً».

بلا شك أن هذين الاتجاهين قد أثرا بعمق في التلاميذ. لم يكونوا مجرد مستمعين إلى وعظات، ومشاهدين لآيات ومعجزات، لكن حياة الرب يسوع كانت أمام أعينهم كل يوم. لقد قدم مثالاً سامياً من خلال حياته. كان هذا جزء من التدريب الذي قدمه للتلاميذ، لكي لا يكونوا أكفاء في توصيل الرسالة فحسب بل يكونوا هم الرسالة. لا يقدموا رسالة عن يسوع، لكن يكونوا متشبهين به. إن هذا الأمر كان بمثابة تحدي واستغرق وقتاً كافياً، واستلزم جهداً كبيراً.

في كثير من الأحيان تملك التلاميذ شعور بالضلال والحرج والسلوك حسب الجسد. كان الرب يسوع يكشف نقاط عدم الإيمان في حياتهم، فعلى سبيل المثال نجد هذا عندما أتاه الرجل الذي كان في ابنه روح نجس، قائلاً أن التلاميذ لم يقدروا أن يخرجوا الروح النجس (مر ٩ :١٤-٢٩). وفي مناسبة أخرى عندما سألهم الرب يسوع عن الذي كانوا يتجادلون عنه في الطريق (مر ٩ : ٣٣-٣٧) سكتوا، لأنهم لم يستطيعوا أن يخفوا ما حدث، وبدأ يسوع يعلمهم عن ملكوت الله. وضّح لهم أن الملكوت ليس كهذا العالم الذي يريد فيه كل شخص أن يكون أفضل من الآخر وأن القوي هو الذي يسود. لكن يجب أن نكون مثل الأطفال الذين يحملهم الرب بين ذراعيه.

الرب يسوع متعدد الجوانب

تحدث الرب يسوع مع أنماط مختلفة من الناس بطرق مختلفة. فقد تحدث مع تلاميذه بطريقة تختلف عن الطريقة التي تكلم بها مع الجموع. كانت رسالته واحدة، لكن الطريقة كانت مختلفة. نراه مع تلاميذه حازماً ومتحدياً لقدراتهم لأنه هو مدربهم. كان يتابع معهم كل شيء قاله وعمله لأجلهم. لكن مع الأشخاص الذين كانوا يطلبون منه المعونة، كان دائماً مشجعاً، بغض النظر من هم، وكان دائماً يقدم لهم المساعدة. لم يرجع أحد منهم إلى بيته وهو فارغ اليدين أو خائب.

لم يشعر أحد منهم بأن الرب يسوع قد أهمله أو أبعده. لكن نجده يتكلم بكلمات قاسية مع المقاومين من الفريسيين. لم يتكلم إليهم بنبرة حقد أو انتقام، إلا أنه كان يتكلم بوضوح وبكلمات موجهة إلى القلب (مت ٢٣ :١-٣٦). كان الرب يسوع متعدد الجوانب وكان يعرف ما يقوله في كل ظرف لكي يقدم المساعدة المناسبة. إن هذا أيضاً انطبق على أعدائه، الذين غفر لهم وهو على الصليب عندما قال: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣ :٣٤).

الرب يسوع يمتحن التلاميذ

كما ذكرت من قبل، امتحن الرب يسوع تلاميذه. ففي كل المدارس توجد امتحانات، وبدون هذه الامتحانات لا يمكن أن يأخذ الطالب درجة علمية. عندما نام الرب يسوع في السفينة أثناء العاصفة، كان يمتحن التلاميذ. كان الامتحان يحدد أين هم من حياة الإيمان. واكتشفوا أنهم مازالوا بعيدين عن المستوى الذين يظنون أنهم وصلوا إليه. كان هناك عدم توافق بين مقامهم وسلوكهم الخارجي، لذاك كان على الرب يسوع أن يستمر في تدريبهم. في حادثة إطعام الخمسة آلاف امتحنهم الرب يسوع مرة أخرى. لقد كان هذا الامتحان يهدف إلى عدم الاكتفاء بما هو ظاهر، بل الإيمان بأن الله قادر على فعل الكثير بواسطة القليل، وأن المصادر الخارقة متاحة دوماً. كان من المهم أن يُعلِّم الرب يسوع تلاميذه أن لا تحد الظروف الطبيعية من قدرتهم. عندما أتت إليه المرأة التي كانت ابنتها مريضة، أراد التلاميذ أن يصرفوها بدون أن تُحل مشكلتها (مت ١٥ :٢١-٢٣). لم يقبل الرب يسوع هذا، وكان على التلاميذ أن يدركوا أن يسوع كان معجباً بإيمان تلك المرأة. نفس هذا الأمر تم مع الأطفال، الذين أراد التلاميذ أن يمنعوهم من الرب يسوع. لقد أدان التلاميذ الرجل الذي كان يشفي ويخرج شياطين باسم الرب يسوع لأنه لم يكن واحداً منهم. كان عليهم أن يتفحصوا أولوياتهم ،اتجاه

تفكيرهم، طريقة عملهم ومبادئهم. كان الرب يسوع يمتحنهم يومياً لكي يرسخ مبادئ ملكوت الله في قلوبهم.

لأنهم تلاميذ، كان الرب يسوع يدرك أنه ينبغي أن يطور إمكاناتهم خطوة بعد الأخرى. لا يمكن أن يتخرج التلميذ بعد أسبوع من تدريبه!

كان الرب يسوع يحل المشاكل

كان على الرب يسوع أن يتعامل مع مشاكل مختلفة في حياة تلاميذه: عدم الإيمان، الخوف، الأنانية، الغرور، الاستغلال، الطموح السيئ، التفكير المحدود، الاكتئاب، التنافس، الغضب، السلبية، التحيز،الاعتداد بالذات، نقص الحب، عدم الفهم، التبلد الروحي، عدم القدرة على فهم الأمور الروحية، الشك، التحامل، التفسير الخاطئ للأمور، الرغبة في إرضاء الناس، الجبن، الإنكار، الارتداد وأكثر من هذا. لكن في كل هذه الأمور، كان الرب يسوع يتعامل معهم بدون أن يخسر واحد منهم، إلا ابن الهلاك، يهوذا، لكي يتم الكتاب (يو ١٧ :١٢).

ما الذي جعل التلاميذ يستمرون مع الرب يسوع؟

هناك أمر ما في الرب يسوع جعل التلاميذ يستمرون معه، في حين تركه الآخرون. عندما بدأ يتحدث عن أنه على الناس أن يأكلوا جسد ابن الإنسان ويشربوا دمه، تركه الكثيرون لأن هذا الكلام كان «قولاً صعباً مبهماً» بالنسبة لهم. بدلاً من أن يقوم الرب يسوع على تهدئة الجموع، سأل تلاميذه إن كانوا يريدون هم أيضاً الرحيل. وهنا تحدث بطرس الذي كان مقداماً في الكلام وقال: «يا رب إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك» (يو ٦ :٦٨). لم يكن الرب

يسوع يجبر أحداً على البقاء إلى جانبه، بل كان يعطي الكل حرية الاختيار.

إن ملامة الروح القدس، وحرية الاختيار جعلت التلاميذ يبقون إلى جانب يسوع. أحيانا تسيطر بعض المنظمات الدينية على الناس، ولا يُسمح لهم أن يتركوها أو يتجرؤوا ويطلبوا هذا الأمر. قد يكلفهم ترك هذه المنظمات الكثير، أو قد تُلوث سمعتهم. لم يكن هذا هو أسلوب الرب يسوع، فهؤلاء الذين تبعوه كان لهم مطلق الحرية لأن يتركوه في أي وقت. لم يكن يحتاج إليهم ، لكنه عاش من أجلهم. إن عدد العضوية والإحصاءات لا يجوز بأي حال من الأحوال أن تجعل الطائفة أو المنظمة تبدو وكأنها على أفضل حال، بل على القيادة أن تعمل على توجيه الناس. إن رحل البعض من المنظمة أو الكنيسة، لا داعي للتوتر، بل يجب إعادة النظر في الأمور إن كان كل شيء على ما يرام. إن أهم أمر في الكنيسة هو قوة الأعضاء ورفاهيتهم، لا عددهم.

الهرم الوظيفي يعني الخدمة

اسمحوا لي أن أقول بضع كلمات عن الهرم الوظيفي وارتباطه بالخدمة. في عصرنا، كما سبق وذكرت، ينظر الناس إلى عبارة «الهرم الوظيفي» نظرة سلبية. إلا أنه في الكتاب المقدس وفي حياة الرب يسوع نرى دليلاً واضحاً على التدرج الوظيفي (يو ٥ :١٩، ٣٠ ؛ ٦ :٣٨). إن المشكلة لا تكمن في الهرم الوظيفي، لكن في قلب وروح من يشغلون هذه الوظائف. ليس هناك أدنى شك في أن الرب يسوع كان خاضعاً للآب، لكن هذا الخضوع كان مبنياً على الحب، والالتزام القلبي. ولأن الرب يسوع بحب وطواعية أخضع نفسه للآب، كان بإمكانه أن ينقل هذا الأمر لتلاميذه ويتوقع منهم أن يسيروا على خطاه. كان الرب يسوع هو السيد والمعلم ، وكانوا هم التلاميذ الذين يتبعونه ويطيعونه. كان البناء هرمي، لكنه كان يطغي عليه الحب والحنان من قبل الرب. لقد حفظهم يسوع

(حرسهم) (يو ١٧ :١٢)، وقد خدمهم بأن غسل أرجلهم (يو ١٣ :٤-٥). لقد صلى لأجلهم (يو ١٧)، لقد شجّعهم بعد عثراتهم، شكوكهم، إحباطاتهم، وحتى بعد أن أنكره بطرس (يو ٢١: ١٥-١٩).

مهام وأهداف محددة

كان جزء من تدريب التلاميذ أن يكون لديهم مهام خاصة وأهداف محددة. كان الرب يسوع دقيقاً جداً. لقد أعطاهم مهمة محددة وهي أن يشفوا المرضى، فقال لهم «اشفوا مرضى. طهروا برصا. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجانا أخذتم مجانا أعطوا» (مت ١٠ :٨). إن إحدى المشاكل الرئيسية في كنائسنا اليوم هو عدم وجود أهداف محددة، ومهام واضحة المعالم. كان الرب يسوع واضحاً في هذه الأمور، فمثلاً يقول: «إذا دخلتما المدينة يستقبلكما إنسان حامل جرة ماء. اتبعاه إلى البيت حيث يدخل» (لو ٢٢ :١٠). فأعطاهم مهمة محددة، من الممكن متابعتها وإتمامها. وأيضاً عندما قال: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (مت ٢٨ :١٩-٢٠). هنا الهدف والمهمة لا يمكن أن يكونا أكثر وضوحاً!

كان الرب يسوع قائداً رائعاً. لقد كان يحث تلاميذه، خصوصاً من خلال تعاليم وأمثال ملكوت السموات. كل الأمور التي تخص الملكوت كان لها أولوية خاصة، أما بقية الأمور فكانت ثانوية. لقد حفز تلاميذه ليكونوا صيادي بشر ويتركوا كل شيء ويتبعوه. لقد نشّطهم من خلال المسؤوليات التي وضعها على عاتقهم. مرة ومرات أرسلهم ليكرزوا ويشفوا المرضى. في كل هذه الأمور كان يريد أن يدربهم وينمي مهاراتهم. كان يسير معهم ويراقب مدى نموهم. كان يتابعهم، يشجعهم، يصحح من أخطائهم، ويشرح لهم المشاكل المعقدة ويحلها.

في كثير من الأحيان كانت تصادفهم مواقف صعبة، على سبيل المثال واجهتهم مشكلة ذلك الصبي الذي كان فيه روح نجسة. لم يستطيعوا دائماً فهم تعاليم الرب يسوع أو تفسير بعض الأمور المعقدة. كان الرب يسوع يأخذهم جانباً ويشرح لهم ما تكلم به. كان مهتماً لأن يفهموا كل هذه الأمور. حتى بعد القيامة، تابع ما كان يحدث معهم. في الطريق إلى عمواس، وضَّح لهم الكتب، وشرح لهم أن المسيا كان ينبغي أن يموت ويقوم من الأموات (لو ٢٤ :١٣-٣٥).

كان تدريب الرب يسوع للتلاميذ متعدد الأوجه. كان يريد أن ينمي مهاراتهم، ليكونوا رعاة، معلمين، مستشارين، قادة، مدبرين. على سبيل المثال، عندما أطعم الرب يسوع الخمسة آلاف في (مر ٦ :٣٧-٤٠)، قسم الجمع إلى مجموعات صغيرة، وطلب من تلاميذه أن يرتبوهم. ولكن هم كانوا سيصبحون مبشرين ومعلمين وأنبياء. كل هذه الأمور استلزمت تدريبات دقيقة، الأمر الذي كان يقدمه الرب يسوع باستمرار بطريقة عملية رائعة.

تكوين الشخصية

كان الرب يسوع يقوم بتدريب التلاميذ، وتنمية مهاراتهم وصقلهم. إن مواهب الروح وثمر الروح يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب. إلا أن مدرسة الر ب يسوع لم تكن مدرسة لمجرد تشكيل الشخصيات، ففي البيئة اليونانية كان هناك العديد من هذه المدارس التي تؤسس على فلسفات مختلفة. لقد درب الرب يسوع تلاميذه على الوثوق به، والالتزام بتعاليمه، وتقدير كلمته والثبات فيه. كذلك علمهم أن يصلّوا، يتأملوا في الكلمة، ينكروا ذواتهم، وأن يختبروا الاتكال على الله بذات الطريقة التي يتكل بها الرب يسوع على الآب. لقد فعل الرب يسوع ذلك ليحقق أمرين: أن يرى ثمراً في حياتهم الشخصية، لكن من جانب آخر، أن تأتي حياتهم بثمر له. إن الثمر في حياتهم كان سبباً في امتداد الملكوت لكل العالم. لكن في

ذات الوقت كان الرب يسوع يدرك أنهم لن يكونوا مدربين التدريب الكامل في هذه الحياة. لقد أرسلهم قبل أن يأخذوا التدريب الكافي، الأمر الذي يعبر عن ثقة الرب بهم، إذ أرسلهم ليكرزوا بالإنجيل ، وينشروا ملكوت الله ويبدءوا في تأسيس الكنائس. كان الرب يسوع يدرك تماماً أنهم ليسوا كاملين، لكنه كان يثق أنهم سوف يلتزمون بما تعلموه منه. كما أنه وعدهم بأنه سيكون معهم حتى انقضاء الدهر. كان عليهم أن يثبتوا فيه ويسمحوا لكلمته أن تتأصل في داخلهم، وأن يثقوا فيه، ويصغوا له ، ويعتمدوا عليه، ويطيعوه ويقتفوا خطاه. إن فعلوا هذا عندئذ سيساعدهم لكي يتمموا كل ما تعلموه منه. إن المعين الجديد، الروح القدس، الذي وعد به الرب يسوع أنه سيأتي، ويمكث معهم، كان يرشدهم ويذكرهم بكل شيء قاله وفعله الرب يسوع.

إن قدرة الرب يسوع على تصوير الهدف جيداً كان أمراً مهماً بالنسبة للتلاميذ. كان المحرك للتلاميذ هو الرؤيا. من خلال الروح القدس، منحهم الرب يسوع القدرة على صنع الآيات والمعجزات، وقد أصبحت جزءاً من حياتهم وخدمتهم. وهكذا تظهر صفات الرب يسوع في حياة التلاميذ. فكما كان الرب يسوع معتمداً على الآب ، كانوا هم أيضاً معتمدين عليه. اختبروا قيادة روح الله كما اختبرها هو. وهكذا بدأت الكنيسة بالنمو. وطالما أن يسوع هو الذي درب تلاميذه ، فكان على الإنجيل أن يصل إلى جميع أنحاء العالم، وبه بُني جسد المسيح عبر الدهور. لقد أصبحت الكنيسة مسكناً للرب في الروح، والعروس التي سيأخذها لعنده يوماً.

النجاح الكامل للرب يسوع

إن عملية البناء الفريدة هذه، الذي ستستمر عبر العصور إلى أن يأتي الرب يسوع ثانية، لم يكن من الممكن أن تتم إن لم يكن الرب قد اختار التلاميذ الإثني

عشر، الذين كرّس لهم ذاته، ودربهم، أوهَّلهم، ثم أرسلهم. كانت النتيجة مذهلة، فاقت كل تصورات البشر. إن تأسيس أورشليم الجديدة التي تحمل أسماء التلاميذ الاثني عشر تقف مثل النصب التذكاري لتشهد على نجاح كامل للرب يسوع في موضوع القيادة (رؤيا ٢١: ١٤).

إن الوقت والجهد الذين خصصهما الرب يسوع في تدريب وتنمية تلاميذه، أتى بثمر كثير. إن أسماء التلاميذ، حياتهم، عملهم، كان هو أساس أورشليم الجديدة، التي سيقيم فيها المُخلَّصون إلى الأبد. فلا عجب أنّ إعدادهم وتدريبهم كان أمراً هاماً لهذا الحد!. ولا عجب إن كان الرب يسوع قد قضى معهم كل هذا الوقت! كل شيء أودعه الرب يسوع فيهم أتي بنتائج أبدية وفيرة.

الرب يسوع هو الأعظم في كل الأمور، فهو الأعظم فيما يتعلق بالفداء، الخلاص، التجديد والبركة، لكنه أيضاً الأعظم عندما يتعلق الأمر بالتدريب وتنمية المهارات، والإرسالية. نحن في حاجة لقبول عمله الكفاري عنا على الصليب، كما نحتاج أن نحتذي به في تلمذة الآخرين. عندئذ نعيش حياة الفرح والاكتفاء والإثمار. في كل هذه الأمور سنكون أعظم من منتصرين، وسيتمجد الله من خلالنا عندما نأتي بثمر كثير. إن اتبعنا الرب يسوع، وعملنا الأمور بذات طريقته، في طاعة كاملة له ولروحه، سنرى نتائج عظيمة، وسنكون بركة من أجل الكثيرين الذين سيأتون لرؤية المخلّص المقام، الرب يسوع المسيح.